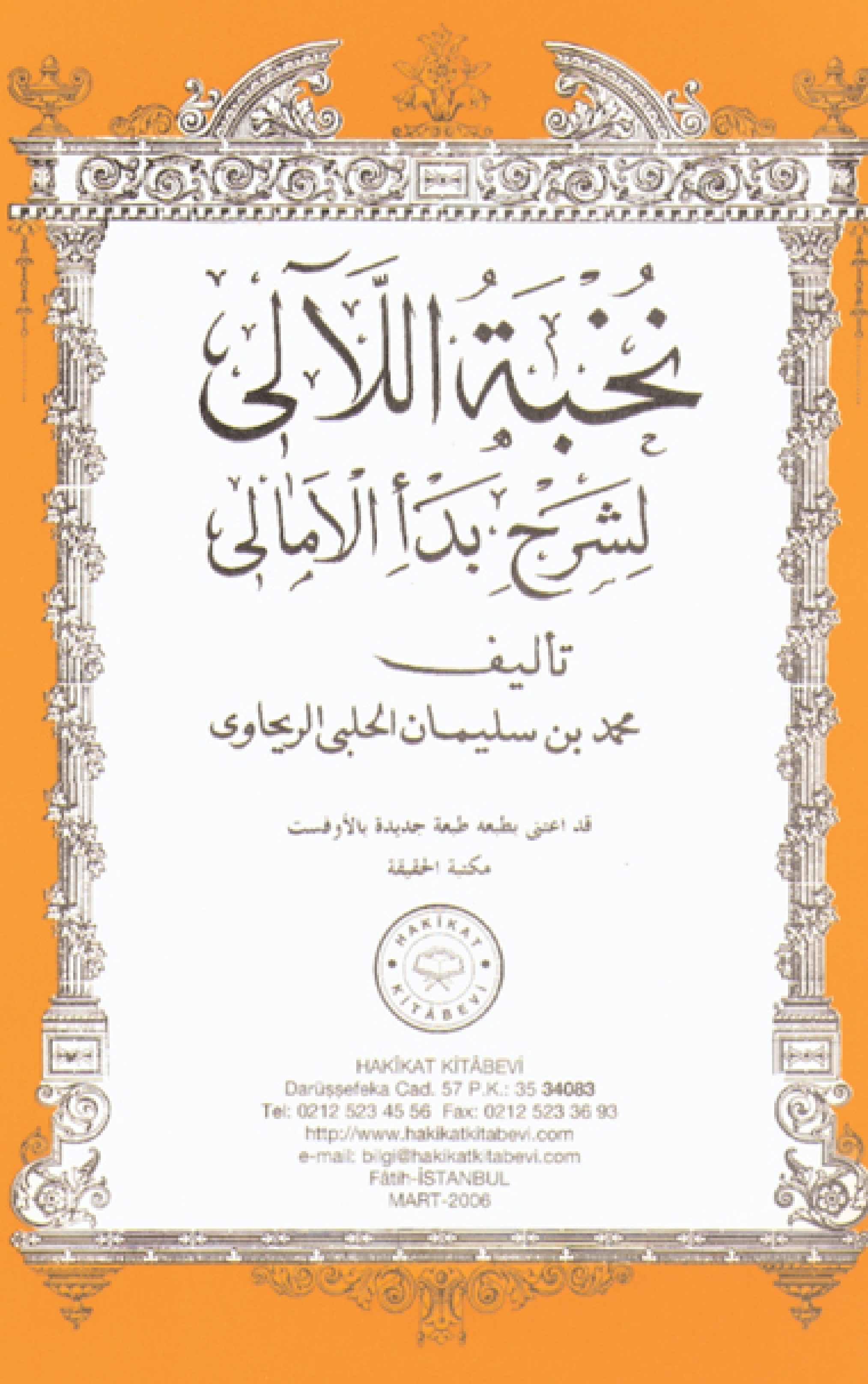


نخبة اللآلي
لشرح بدء الأمالي

تأليف

محمد بن سليمان الحلبي الريحاوي

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة

HAKİKAT KİTÂBEVİ
Darüşşefeka Cad. 57 P.K.: 35 34083
Tel: 0212 523 45 56 Fax: 0212 523 36 93
http://www.hakikatkitabevi.com
e-mail: bilgi@hakikatkitabevi.com
Fâtih-İSTANBUL
MART-2006

نُخْبَةُ اللآَلِي

لِشَرْحِ بَدْءِ الأَمَالِي

تأليف

محمد بن سليمان الحلبي الريحاوي

شارح الكنز المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ. [١٨١٣ م.]

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول–تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤٣٣	١٣٩٠	٢٠١٢

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**) وقال ايضا (**خذوا العلم من افواه الرجال**).

ومن لم تتيسّر له صحبة الصالحين وجب له ان يذكّر كتبا من تأليفات عالم صالح وصاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحنفي والسيد عبد الحكيم الارواسي الشافعي واحمد التيجاني المالكي ويتعلم الدين من هذه الكتب ويسعى نشر كتب أهل السنة بين الناس ومن لم يكن صاحب العلم أو العمل أو الإخلاص ويدعي أنه من العلماء الحق وهو من الكاذبين من علماء السوء. واعلم انّ علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي وأمّا علماء السوء هم جنود الشياطين.[1]

(١) لاخير في تعلّم علم مالم يكن بقصد العمل به مع الإخلاص (الحديقة الندية ج: ١ ص: ٣٦٦، ٣٦٧ والمكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩ من المجلّد الأوّل من المكتوبات للإمام الرّبّاني المجدّد للألف الثاني قدّس سرّه)

تنبيه: إنّ كلاّ من دعاة المسيحية يسعون إلى نشر المسيحية والصهاينة اليهود يسعون إلى نشر الادعاءات الباطلة لحاخاماتها وكهنتها ودار النشر – **الحقيقة** – في استانبول يسعى إلى نشر الدين الاسلامي وإعلائه اما الماسونيون ففي سعي لإمحاء وازالة الاديان جميعا فاللبيب المنصف المتصف بالعلم والادراك يعي ويفهم الحقيقة ويسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق ويكون سببا في إنالة الناس كافة السعادة الابدية وما من خدمة اجلّ من هذه الخدمة اسديت إلى البشريّة.

Baskı: İhlâs Gazetecilik A.Ş.
29 Ekim Cad. No: 23 Yenibosna-İSTANBUL
Tel: 0.212.454 30 00

بسم الله الرّحمن الرّحيم

نحمد من وجب له الوجود كما وجب له السجود وفاض منه الجود ففاض منه كل موجود المقدس بصفات الجلال وجلال الصفات المتوحد ربوبيته في الوحدانية وواحدية الذات المتفضل بصلات النوال ونوال الصِلات * السميع البصير العليم الخبير بالجزئيات والكليات من سائر المصنوعات والمعلومات المتره عن الحدود والجهات وعن الوالد والولد والزوجات المتعالى عن كل ما تصوره الخيالات وتخيله افكار الذوات وتقدره بالامثلة والاحتمالات حمدا لا يحويه الحدّ ولا يحصيه العدّ على ما شرح صدورنا بنور التوحيد ونور قلوبنا بنور يقين يقيها من ترديد التقليد ونشهد أن لا الاه الاّ الله الحميد المجيد ونشهد أنّ سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد المخلوقات واشرف الموجودات المؤيد بالمعجزات الباهرات والآيات البينات صلى الله عليه وسلم وكرم وعظم وعلى آله الذين بلغوا بشرفه اشرف الغايات وعلى اصحابه الذين نالوا بصحبته ارفع الدرجات ما لاح مصباح وانفلق اصباح وسلم تسليما.

وبعد فيقول العبد المفتقر الى رحمة ربه الغني المنان محمد بن سليمان الحلبي الريحاوي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي وغفر له ولوالديه واحسن اليهما واليه لما رأيت منظومة العلامة سراج الدين ابي الحسن علي بن عثمان الأوشي[١] نسبة الى اوش قرية من قرى فرغانة الموسومة ببدإ الأمالي في علم الكلام قد مدّ اليها بعض اهل زماننا يد المسخ والتبديل وكدّر صورةَ وجهها الجميل مع انها مكتفيه عن القيل والقال بما وضع عليها من شروح ذوي الافضال للائمة المحققين والفضلاء المدققين[٢] وإن كان منهم من اقل فاخل ومنهم من اكثر فامل فاردت أن أَجْلى عنها تلك الكدورات التي لحقتها والشوائب التي تبعتها بشرح يزيل عن وجنة تراكيبها الصعاب

---

(١) علي الاوشي مؤلف (السراجية) توفي سنة ٥٦٩ هـ. [١١٧٣ م.]

(٢) شارح بدإ الأمالي عز الدين محمد ابن جماعة توفي سنة ٨١٩ هـ. [١٤١٦ م.]

ويكشف عن وجوه معانيها النقاب مغن عن بقية الشروح والايضاح اغناء الصباح من المصباح ناكبا عن الايجاز المخل والاطناب الممل متمسكا بقوله عليه السلام (**خير الكلام ما قلّ ودلّ**) وإن كنت في الاواخر وكم ترك الاول للآخر مع ما بي من اشتغال البال وعدم النتظام الحال سائلا من الكريم المتعال الحفظ عن الزلل في المقال والصيانة عن الخلل في الاقوال وراجيا ممن وقف على ما في هذه الاوراق وان لم يكن مما لاق بنظره اوراق ان يغض الطرف بعد الامعان عن مواضع زَلَلِي ويقض الحرف بعد الاتقان من مواقع خللي ويعذرني فيما لم يصب فيه سهمي ولم يصل فيه الى الحقيقة فهمي فإني بقصور الباع عن هذا الشان مقرّ وعلى هذا الاعتراف ما حييت مصرّ على أن الامر بيد الله يفعل ما يريد وينقص من خلقه ما يشاء ويزيد وهو المسؤل لنيل الرشاد ومنه المبدأ وإليه المعاد. وسميته **نخبة اللآلي لشرح بدإ الأمالي** التي هي من العروض الاولى والضرب الاول من البحر الوافر سمي به واتي بها منه لوفور اجزائه وتدًا فوتدًا وهو البحر الاول من الدائرة الثانية وهي الدائرة المؤتلفة

مقدمة: اعلم أنّ اول الواجبات الاشتغال بعلم الكلام اذ هو اصول اصول الشرائع كلها والفائدة فيه أتمّ وبه الهدى وسمي كلاما لأن الاشتغال بالتعليم والتعلّم لا يكون الاّ بالتكلم ولم يسم غيره من العلوم به للتمييز قال المولى سعد الدين رحمه الله[١] سموا ما يفيد معرفةَ الاحكام العملية عن ادلتها التفصيلية بالفقه ومعرفَ احوال الادلة اجمالا في افادتها الاحكام باصول الفقه ومعرفةَ العقائد عن ادلتها بالكلام لان عنوان مباحثه كان قولهم الكلام في كذا وكذا انتهى واختلف في معنى العلم المفروض في قوله عليه الصلاة والسلام (**طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة**) فقيل علم الكلام وقيل علم الفقه وقيل علم التفسير والحديث والحق ان كل ما يجب على المكلف فعله او تركه او اعتقاده يجب العلم به لان متابعة الشارع واجبة وهي

(١) سعد الدين مسعود التفتازاني توفي سنة ٧٩٢ هـ. [١٣٩٠ م.] في سمرقند

متوقفة على ذلك وما توقف عليه الواجب فهو واجب لكن اوله اعتقاد انّ للعالم صانعا واحدا قادرا لا شريك له * ثم الصلاة والصوم والحج والزكاة ونحو حرمة الخمر والسرقة وقتل النفس والزنا وغير ذلك مما هو من ضرورات الدين التي تعرفها العامة فان معرفة هذا القدر فرض عين على كل مسلم ومسلمة وصحة ذلك متوقفة على صحة الاعتقاد وصحته متوقفة على علم التوحيد فتعين تقديم هذا العلم على بقية العلوم وسئل ابو حنيفة رضي الله عنه عن التفقه في الدين والتفقه في العلم ايهما افضل فقال التفقه في الدين افضل لانه اصل والتفقه في العلم فرع وفضل الاصل على الفرع معلوم قال تعالى (**اِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ اْلاِسْلاَمُ** * آل عمران: ١٩) ولا شك ان العبد يلزمه اولا الاسلام لقوله تعالى (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَاْلاِنْسَ اِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** * الذاريات: ٥٦) اي ليوحدوني فالدين هو التوحيد والعلم هو الديانة اعني الشرائع وهي بعد التوحيد فالدين عقل على الصواب والديانة سيرة على الصواب ولكن العلم افضل من العقل خلافا للمعتزلة ودرجة العلم بقدر المعلوم والمعلوم بعلم الكلام ذات الله تعالى وصفاته والله اعلى واجل واعظم واعز فما توصل به الى معرفة ذاته يكون اعلى درجة واعظم منزلة من سائر العلوم ولانه لا يتخلص من الكفر الاّ بمعرفة الايمان كما قيل وبضدها تتميز الاشياء ألا ترى أنّ من قال لا اعرف الكافر كافرا فهو ضال لانه لما لم يعرف الكفر لم يكن عارفا الايمان وكذا من لم يعرف البدعة والضلالة لم يكن عارفا الاهتداء والاستقامة فلا يأمن ان يقع في البدعة والضلالة وقد قال عليه الصلاة والسلام (**من احدث حدثا في الاسلام فقد هلك ومن ابتدع بدعة فقد ضلّ ومن ضلّ ففي النّار**) وفيه دليل على أنّ اهل الاهواء والبدع والضلالة كلهم في النار وانهم اصناف شتى باختلاف بدعهم وان زعموا انهم من اهل الاسلام قيل اصولهم اربع فرق: القدرية، والصفاتية، والشيعة، والخوارج ويتشعبون الى اثنين وسبعين فرقة قال ملا خسرو رحمه الله[١] اهل الاهواء هم اهل القبلة الذين

---

(١) ملا محمد خسرو ثالث شيخ الاسلام في الدولة العلية العثمانية توفي سنة ٨٨٥ هـ. [١٤٨٠ م.] في بلدة بروسة

لا يكون معتقدهم معتقد اهل السنة وهم الجبرية والقدرية والروافض والخوارج والمبطلة والمشبهة وكل منهم اثنى عشر فرقة فصاروا اثنين وسبعين فرقة انتهى والفرقة الناجية هم اهل السنة والجماعة ما روى انه عليه السلام قال: (**ستفترق امّتي من بعدي على بضع وسبعين فرقة كلّها في النار الاّ واحدة قيل من هم قال الّذين هم على ما أنا عليه وأصحابي**) وفي رواية (**فرقة ناجية والباقون في النّار**) قيل وما النّاجة قال (**من كان على ما انا عليه واصحابي اتّبعوني ولا تختلفوا عليّ فانّما هلك من كان قبلكم باختلافهم على انبيائهم وصلّوا كما رأيتموني ومن اتّبعني حذو القذفة بالقذفة ومن خالف الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه**) وقال عليه السلام (**لكلّ شئ آفة وآفة هذا الدين هذه الاهواء**) وسيأتي تمامه ان شاء الله تعالى فتحصل لك ان علم التوحيد اشرف العلوم لكونه اساس العلوم الشرعية ورئيس العلوم الدينية وقانون العقائد الاسلامية ومعلومات المقاصد الاصلية وغايته المواهب الالهية والسلامة من ظلمات الفرق الاعتزالية والفوز بالسعادة الدينية والدنيوية وبراهينه الحجج القطعية المؤيد اكثرها بالادلة السمعية وما نقل عن بعض السلف من الطعن في علم الكلام والمنع عنه فانما هو للمتعصب في الدين والقاصر عن تحصيل اليقين والقاصد الى افساد عقائد المسلمين المشتغل فيه بما لا يعني عما يعني والاّ فكيف ينهي عما يتوقف عليه صحة الاسلام من علم الكلام والحمد لله على نعمة الايمان[١].

قال عليه رحمة الرّحمن:

١ يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الْأَمَالِي * لِتَوْحِيدٍ بِنَظْمٍ كَاللَّآلِي

يقول فعل مصارع اصله يفعل بسكون فائه وضم عينه ثم نقلت ضمة عينه الى فائه واشتقاقه من القول وهو كما قال النحاة اللفظ الدال على معنى وهو اعم من

(١) في الفتاوى الهندية في المجلد الخامس تعلم الكلام والنظر والمناظرة فيه وراء قدر الحاجة مكروه كثرة المناظرة يؤدي الى اشاعة البدع والفتن كتب الكلام بعضها للفلاسفة فلا يجوز النظر في تلك الكتب والكتب للمعتزلة والمجسمة كيلا تحدث الشكوك ولا يتمكن الوهن في العقائد فمن وقف على المسائل الكلامية فلا بأس بالنظر في كتبهم

الكلام والكلم والكلمة كما اشار اليه ابن مالك بقوله: والقول أعم. لانه يطلق على من الثلثة حقيقة وهو اخص من اللفظ لاطلاقه على المهمل خلافا لمن جعلهما مترادفين ولا يشترط في دلالته الصدق بقطع النظر عن قائله والاّ فقد يكون مقطوعا بصدقه كقوله تعالى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون بكذبه كاقوال مسيلمة لعنه الله واتى به مضارعا دون الماضي لدلالته على الاستقبال المناسب لمقوله لانه مشترك بين الحال والاستقبال على الارجح وقيل حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال وقيل عكسه وقيل حقيقة في الحال ولا يستعمل في الاستقبال اصلا وقيل عكسه **والعبد** من التعبد وهو التذلل والخضوع وَصَفَ به نفسَه لانه احب الاوصاف الى الله تعالى وارفعها اليه ومن ثمة وصف به نبيه عليه الصلاة والسلام في اشرف المقامات فذكره في انزال القرآن عليه بقوله (**مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا** * البقرة: ٢٣) (**اَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ** * الكهف: ١) (**نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ** * الفرقان: ١) وفي مقام الدعوة اليه (**وَاَنهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ الله يَدْعُوهُ** * الجن: ١٩) وفي مقام الإسراء والوحي (**فَاَوْحَى اِلَى عَبْدِهِ** * النجم: ١٠) ومن ثمة لما خيّر صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار الثاني وسليمان عليه السلام سأل الاول فانظر بعد ما بين المرتبتين وانشد في شرف العبودية قوله:

لا تدعني الاّ بيا عبدها * فانه اشرف اسمائي

قبله بيت وهو:

يا قوم قلبي عند زهراء * يعرفها السامع والرائي تحفة الاعالي

والامالي في الاصل جمع الاملا كعليا وعلايي وهو الكتابة عن ظهر القلب من غير نظر الى مكتوب ثم صار علما منظومته هذه وقوله **لتوحيد** اي لعلم التوحيد والصفات وانما سمي هذا العلم به ايضا لتوحّده في اثبات اعظم المقاصد وهو الوحدانية له تعالى لان اشرف مباحثه واعظم مقاصده وأصل المقصود به: اثبات وحدانيته تعالى وفيه براعة الاستهلال كما لا يخفى على اهل الكمال وقوله **بنظم** هو

لغة الجمع والترتيب بين الاشياء المتناسبة اخص من الضم ومن مطلق الجمع ومن التأليف ايضا اذ المراد به ضد النشر وهو الكلام المنظوم الموزون المقفى بالقصد زيد القيد الأخير لاخراج نحو قوله عليه السلام (**مَا اَنْتِ اِصْبَعُ دُمِيتِ * وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ**) وهو مصدر بمعنى اسم مفعول كالخلق بمعنى المخلوق ووقع ههنا صفة لمحذوف اي بكلام منظوم او قول و**اللآلي** جمع لؤلؤة وهو المستخرج من جوف الصدف.

(**الاعراب**): العبد فاعل يقول وفي ظرفية ومجرورها ظرف للقول واللام في لتوحيد للاختصاص متعلق بالامالي او بيقول وهو الاظهر ان جعل الامالي علما على هذه المنظومة والاّ فالاول اظهر فتدبر وبنظم في محل جر صفة لتوحيد اي لعلم توحيد منظوم كنظم اللآلي ومقول القول قوله الآتي: اله الخلق مولانا انتهى.

(**وحاصل معنى البيت**): يقول عبد الله في ابتداء كلامه المسمى بالأمالي او في ابتداء اماليه لبيان توحيد عظيم لرب كريم بنظم كلام حسن الترتيب والسبك متناسب الكلمات مثل اللآلي المنظومة في سلك واحدة عند البصيرة والباصرة.

واعلم انه ينبغي لكل طالب علم ان يعلم حده وموضوعه وفائدته ليكون على بصيرة اذ ربما كان اشتغالا بما لا يعني فيكون عبثا او لعبا وقد نهي عن كل منهما فنقول: حد هذا العلم معرفة العقائد الدينية عن ادلّتها اليقينية او هو علم يبحث فيه عما يجب اعتقاده واختلف في موضوعه فقيل المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد الدينية من جهة ما يجب للذات المقدسة العلية او ينفي عنها من الصفات الوجودية والسلبية ونحو ذلك وقيل هو ذات الله تعالى من حيث هو وذات الممكنات من حيث اسنادها اليه وقيل هو الموجود بما هو موجود والاول احسن واليق بالادب كما لا يخفى على اهل الادب وفائدته ارشاد العبد الى ما يفوز به في دينه ودنياه وينجو به من بدع اهل الضلال والاشتباه وهي غايته وهي اشرف الغايات قال بعض الشراح وما نقل عن بعض السلف كالشافعي ومالك وغيرهما من ذم الخوض فيه وانه بدعة محرمة ولان يلقى اللهَ العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه

بشئ من علم الكلام فقد اجيب عنه انتهى وقدّمنا جوابه والاّ فكيف يتصور الذّم والمنع خصوصا من هؤلاء الائمة الاعلام من تعلم ما هو واجب عينا او كفاية لانا نحتاج الى ردّ ما يردّ علينا من شبه المخالفين الضّالّين فيجب ان يوجد في كل بلدة عالم متقن هذا العلم حتى جوّزوا الاشتغال بعلم المنطق لذلك ويجب على كل مكلف عينا ان يقرّ اوّلا بلسانه ويصدّق بجنانه بوحدانية الله تعالى انه واحد احد فرد صمد لا شريك له ولا ضد له ولا شئ مثله ولا شئ يعجزه ولا اله غيره ولا ربّ سواه غنيّ عن الشريك والوزير متعال عن الصاحب والنظير وعن الوالد والولد والازواج وهو إله السموات والارض خالق الخلائق اجمعين وان يعلم ما يجب له تعالى وما يمتنع في حقه الى غير ذلك ومعرفة ذلك كله يتوقف على هذا العلم فيكون الاشتغال به واجبا وبما ذكرنا اندفع ايضا ما قيل انه انما نُهي عنه لكونه محدثا لم يكن في زمن الصحابة والتابعين وقد قال عليه السلام (**شرّ الامور محدثاتها وايّاكم ومحدثات الامور ومن احدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو ردّ**).

وحاصل الجواب بعد ما قدمنا انه ان اريد انّ البحث عن دليل وجود الصانع وتوحيده والنبوة وغيرها كالمبدإ والمعاد بدعة ومحدث فهو ممنوع اذ القرآن مشحون به وان اريد ان الاشتغال به على الوجه المتعارف بيننا كذلك فمسلّم لكنه امر حسن قد مسّت اليه حاجة لم تكن في زمن الصحابة والتابعين وكذلك الادلة المصنوصة والامارات الموضوعة للاحكام الفقهية كانت قائمة في زمانهم والملكة المسمّاة بالفقه حاصلة لآحادهم وان لم يكن هذا الترتيب والتدوين وبالجملة فمن المبتدعات ما هي حسنة بل بعضها واجب كالاشتغال بالعلوم العربية المتوقف عليه فَهْم الكتاب والسنة فان الزمان يختلف والاستعدادات متفاوتة فقد يستدعي الوقت مصلحة يجب على اهلها رعايتها وان لم تكن فيمن سلف ولذا قال الامام الرازي[1] ولو بقى الناس على

([1]) محمد فخر الدين الرازي توفي سنة ٦٠٦ هـ. [١٢٠٩ م.] في هرات

ما كانوا عليه في صدر الاسلام لما اوجبنا الاشتغال بعلم الكلام كما لم يشتغل به الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ولانه اختلف في صحة ايمان المقلّد كما سيأتي توضيحه ان شاء الله تعالى وقد اتفقوا على ان الايمان باللسان من غير تصديق بالقلب لا ينفع ولا تصديق القلب بغير اللسان على قول كما سنبيّنه بل الايمان على الجارحتين: القلب واللسان فالاقرار والتصديق ركناه وهو المروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه لان اللسان عبارة عن الروح والجسد فيجب لكل منهما حصة من الايمان وذهب قوم الى انه التصديق فقط والاقرار باللسان شرط لاجراء الاحكام في الدنيا لان تصديق القلب امر باطن فلا بد من علامة تدل عليه وهو النطق فهو شرط لا شطر وبالجملة فتصديق القلب متفق عليه عند اهل السنة والخلاف انما هو في الاقرار هل هو شرط او شطر فعلى الاول يكون مؤمنا عند الله لا على الثاني وبالاتفاق لا تجري عليه احكامه في الدنيا وعلى كل حال فكمال الايمان وما يتبعه من الاحكام متوقفة على علم الكلام والسلام.

فإن قيل هل الايمان مخلوق ام غير مخلوق فالاصح في الجواب أن يقال ان الايمان اقرار وهداية فالاقرار صنع العبد وهو مخلوق والهداية صنع الرب وهو غير مخلوق فانقياد العبد وقبوله وقوله لا اله الاّ الله واقراره ونحو ذلك وتحريك لسانه وتصديق جنانه مخلوق اذ هو بجميع ذاته وافعاله مخلوق له تعالى وحصول ذلك بهدايته تعالى وقدرته وتوفيقه وهو تعالى بجميع صفاته غير مخلوق فمن العبد المعرفة والاقرار والطاعة والانقياد ومن الله تعالى التوفيق والتعريف فافهم والله اعلم. فان قلت قد جرت عادة المصنفين الابتداء في مصنفاتهم باسمه تعالى اقتداء بكتابه العزيز وعملا بخبر (**كلّ امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو اقطع او ابتر او اجزم**) ولا شك ان منظومته هذه امر ذو بال فلم لم يبدأها باسمه تعالى قلت اتى في اولها بالبسملة لفظا وخطا وهي موجودة في سائر متونه وعليها شرح المقدسي على انه وان تركها خطّا لا يقال في مثله انه تركها لفظا وبه يحصل المقصود وما قيل انه تركها اصلا اشارة

الى عجزه عن اداء شكر الله تعالى وحمده فكلام واه لا يصغى اليه.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢ اِلَهُ الْخَلْقِ مَوْلاَنَا قَدِيمٌ * وَمَوْصُوفٌ بِاَوْصَافِ الْكَمَالِ

لفظ **اله** في الاصل موضوع لكلّ معبود مطلقا ثم غلّب على المعبود بحق كالنجم للثريا والكتاب لكتاب سيبويه والصّعق لخويلد بن نفيل مع انه موضوع لكل من اصيب بصاعقة واشتقاقه من اَلِهَ يَأْلَهُ كعلم يعلم اذا عبد فهو بمعنى اسم المعبود وقيل غير ذلك ثم حذفت همزته وعوّض عنها الالف واللام ثم ادغمت اللام في اللام فقيل الله وعند البصريين دخلت عليه اَلْ فصارت أَلاِلَهْ فحذفت همزته غيرَ قياس وعند الكوفيين اصله لاه دخلت عليه أل وقيل الله: اسم موضوع كاسماء الأعلام لا اشتقاق له وهو مذهب أهل الحق فهو مختص به تعالى ابتداء ومما يدل عليه أن غيره من الاسماء نقل عن العرب اشتقاقاتُها الاّ هذا الاسم الكريم لا قبل الرسول ولا بعده وهو جامع لصفات الالوهية والربوبية ولذا كان اعظم التسعة والتسعين اسما لدلالته على الذات الجامعة لجميع الصفات وقد رُئِيَ الخليل بن احمد بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بقولي في اسمه تعالى انه غير مشتق وذكر بعضهم انه الاسم الأعظم وقد ذكر في الكتاب العزيز في الفين وثلاثمائة وستين موضعا واختار النووي تبعا لجماعة ان الاسم الأعظم هو الحيّ القيّوم قال ولذا لم يُذكَرْ في القرآن الاّ في ثلاثة مواضع في البقرة وآل عمران وطه لكن كون اسمه تعالى الاعظم الذي هو المختص به وهو الله اظهر فتدبر و**الخلق** بمعنى المخلوق من اطلاق المصدر وارادة اسم المفعول واللام فيه للاستغراق اي اله جميع المخلوقات وهي ما سواه تعالى و**المولى** من الولاء وله نيف وعشرون اطلاقا مدلولها غالبا من حصلت منه النعمة كالرب والمالك والسيد والمنعم والناصر والمعتَق بالفتح والعبد والمنعم عليه وقد تكون من الطرفين كالجار وابن العم والحليف والصهر ومن اختص بها كالاولى بالشئ وقد اطلقه بعضهم على كل من ولى أمرا ويصح ههنا ارادة احد الخمسة الاولى و**القديم** ههنا

هو الذي لم يسبق بعدم فهو في حقه تعالى سلب العدم السابق على الوجود او عدم الاوّليّة لوجوده اذ العدم عبارة عن نفي السبق لانه تعالى لو لم يكن قديما لاقتضى محدِثًا واحتاج هذا المحدِث ايضا الى محدِث وهكذا فيدخل التسلسل وهو محال او ينتهي الى صانع قديم محدِث للكل وذلك هو المطلوب الذي سمّيناه قديما صانع العالم وخالقه ومبدعه واذا ثبت انه قديم لا اول له فاعلم انه ابديّ لا نهاية له مستمرّ الوجود لا آخر له قيّوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لا يقضى عليه بالانفصال وتصرّم الاباد وانقراض الاجال اذ ما ثبت قدمه استحال عدمه فهو متضمن لصفة البقاء وعدم سبق العدم في حقه تعالى واما القدم الزماني في حق غيره تعالى فهو حادث مسبوق بالعدم وذلك محال في حقه تعالى قال تعالى (**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** * يس: ٣٩) (**اِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ** * يوسف: ٩٥) اي في خطإك الذي حدث لك في الزمن السابق من افراطك في محبته ورجاء لقائه قال بعضهم اقل زمن يوصف به زمن القِدم الزماني الحادث حَوْلٌ فلو علّق حرية القديم من عبيده او اوصى بعتقه عتق من له حول في ملكه **واوصاف** الكمال اراد بها الثبوتية وهي ما يلزم من نفيه نقيضه كالعلم والقدرة والحياة ونحو ذلك وقال بعضهم الاَوْلى ان يراد بها الاعم من الثبوتية والسلبية اذ نفي النقائص كمال كما ان الوصف بالكمال كمال اذ لو لم يتصف بذلك لاتصف باضداده وهي نقائص لكن الثاني ظاهر الاستحالة لانه من امارات الحدوث وافاد بقوله وموصوف الى انه ليس بصفة لظهور إستحالته قال المقدسي رحمه الله[١] ودليل كونه موصوفا لا صفة انه لو كان صفة لاستحال قيام المعاني به ولو لم تضمّ به الصفات التي هي معان لاستحال اتصافه لكنه قد اتصف باحكام الصفات فوجب ان يكون موصوفا بالمعاني الموجبة لتلك الاحكام الواجبة له شرعا وعقلا وكما يجب وصفه باوصاف الكمال يجب تنزيهه عن النقائص.

---

(١) عبد الله المقدسي محشي (صحاح اللغة) لاسماعيل الجوهري توفي سنة ٥٨٢ هـ. [١١٨٦ م.]

(**الإعراب**): اله الخلق مضاف ومضاف اليه مبتدأ وفائدة الاضافة فيه نفي الاشتراك ومولانا بدل وهو الاظهر من كونه عطف بيان كما لا يخفى على ذوي الاذهان وقديم خبر وموصوف عطف على الخبر وباوصاف متعلق بموصوف واضافته الى الكمال بيانية وقيل على معنى اللام وقيل للتخصيص.

(**وحاصل معنى البيت**): يقول عبد الله ان المعبود بحق الخالق لجميع المخلوقات كلها وهو الله تعالى قديم واجب القدم والوجود بالذات واجب البقاء ابدا وكمال الصفات لا يجري عليه عدم سابق ولا لاحق.

تتمة: قال الرازي خلق الله الخلق بعلمه وقدّرهم اقدارا وضرب لهم آجالا لم يخفَ عليه شئ بعد ان خلقهم وعلم ما هم عاملون قبل ان يخلقهم ومن قال إنه لم يكن خالقا قبل ان يخلق الخلق فلما خلق الخلق صار خالقا فقد كفر انتهى قال علي القاري ثم الخلق من صفات الافعال وهي قديمة عندنا فانه تعالى كان خالقا قبل ان يخلق الخلق خلافا للاشاعرة فما قال شارح من ان من قال إنه لم يكن خالقا قبل أن يخلق الخلق فقد كفر نشأ من جهله بتحقيق المرام انتهى وظاهر انه اراد به ما قدمنا عن الرازي لكنه لم يبيّن تحقيق المرام ونحن نقول بعون الملك المنان ان حاصل هذا على ما سيأتي راجع الى مسألة التكوين وهو المعنى الذي يعبر عنه بالفعل والخلق والتخلق والايجاد والاختراع ونحو ذلك وقد اثبته الحنفية صفة حقيقة قديمة مغايرة للقدرة والارادة وفسروه باخراج المعدوم من العدم الى الوجود وعبروا عنه بالخلق والتخليق ونحوهما وهو وصف له تعالى ازلي لاطّباق العقل والنقل على انه تعالى خالق للعالم مكون له قال تعالى (**اَللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** * الزمر: ٦٢) فقد وصف ذاته في كلامه القديم الازلي بانه الخالق فلو لم يكن متصفا في الازل بكونه خالقا لزم الكذب في كلامه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولامتناع اطلاق الاسم المشتق اطلاقا حقيقيا من غير ان يكون مأخذ الاشتقاق وصفا له قائما به حال الاطلاق ومذهب الاشعري ان التكوين من الاضافات والاعتبارات العقلية مثل كون الصانع

تعالى قبل كل شئ ومعه وبعده ومحييا ومميتا ونحو ذلك والحاصل في الازل مبدأ التخليق والترزيق والاحياء والاماتة وغير ذلك وتكوينه للعالم ولكل جزء من اجزائه لا في الازل بل لوقت وجوده على حسب علمه في الازل وارادته فالتكوين ثابت ازلا وابدا والمكوّن حادث لحدوث التعلق كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها فافهم وسيأتي له زيادة تحقيق قال السعد رحمه الله في شرح العقائد ينبغي للعاقل ان يتأمل في امثال هذه المباحث ولا ينسب الى الراسخين من علماء علم الاصول ما يكون استحالته بديهية ظاهرة لمن له ادنى تمييز بل يطلب لكلامه محملا يصلح محلا لنزاع العلماء فان من قال التكوين عين المكون اراد ان الفاعل اذا فعل شيئا فليس هناك الاّ الفاعل والمفعول واما المعنى الذي يعبر عنه بالتكوين والايجاد ونحو ذلك فهو امر اعتباري يحصل في الفعل من نسبة الفاعل الى المفعول وليس امرا محققا مغايرا للمفعول في الخارج ولم يرد ان مفهوم التكوين هو بعينه مفهوم المكون ليلزم المحالات ثم قال ولا يتم ابطال هذا الرأي الاّ باثبات ان تكون الاشياء وصدورها عن الباري تعالى يتوقف على صفة حقيقية قائمة بالذات مغايرة للقدرة والارادة والتحقيق ان تعلق القدرة على وفق الارادة بوجود المقدور لوقت وجوده اذا نسب الى القدرة يسمى ايجادا واذا نسب الى الخالق يسمى الخلق والتكوين ونحو ذلك فحقيقة كون الذات بحيث تعلقت قدرته بوجود المقدور لوقته ثم يتحقق بحسب خصوصيات المقدورات خصوصيات الافعال كالترزيق والتصوير والاحياء والاماتة وغير ذلك الى ما لا يكاد يتناهي واما كون كل من ذلك صفة حقيقية ازلية فمما تفرد به بعض علماء ماوراء النهر وفيه تكثير القدماء جدا وان لم تكن مغايرة والاقرب ما ذهب اليه المحققون منهم ان مرجع الكل الى التكوين فانه ان تعلق بالحياة يسمى احياء وبالموت اماتة وبالصورة تصويرا وبالرزق ترزيقا الى غير ذلك فلكل تكوين وانما الخصوص بخصوصية المتعلقات انتهى فعلم ان في التكوين والترزيق والخلق وغيرها مذاهب ثلاثة:

الأول أن كل واحد من تلك الصفات صفة حقيقية ازلية قائمة بذاته تعالى كالعلم والحياة والقدرة وغيرها من الصفات.

والثاني أن كل واحد منها عبارة عن تعلق القدرة بوجود المقدور لوقت وجوده فيكون من قبيل الصفات الاضافية لا من قبيل الصفات الحقيقية.

والثالث أن التكوين صفة ازلية حقيقية قائمة بذاته تعالى وان التصوير والترزيق والاحياء والاماتة يحصل من تعلق التكوين بالمكونات على وجه مخصوص وهو مذهبنا قال ملا رمضان الاقرب الى الحق من هذه المذاهب الثلاثة هو المذهب الثالث دون الاول والثاني فافهم والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

٣ هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلَّ اَمْرٍ * هُوَ الْحَقُّ الْمُقَدِّرُ ذُو الْجَلاَلِ

الحيّ من ثبت له الحياة وهو ضد الموت قال الله تعالى (**هُوَ الْحَيُّ لاَ اِلَهَ اِلاَّ هُوَ** * المؤمن: ٦٥) (**اَللهُ لآ اِلَهَ اِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** * البقرة: ٢٥٥) والحياة صفة من شأنها حصول العلم ونحوه لمن قامت به وهي في حقه تعالى صفة ازلية قديمة من صفات الذات ولا تعلق لها كما سيأتي و**المدبّر** اسم فاعل من التدبير وهو لغة التأمل والتفكر في ايقاع الفعل وفي حقه تعالى تنزيل الامور في مراتبها على احكام عواقبها حسب ما سبق به علمه الازلي فهو شؤون يبديها ولا يبتديها قال الله تعالى (**يُدَبِّرُ اْلاَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ اِلَى اْلاَرْضِ** * السجدة: ٥) و**كل** هنا كلية لا كل ولا كليّ و**الامر** يطلق حقيقة على القول ومجازا على الفعل قال تعالى (**وَشَاوِرْهُمْ فِي اْلاَمْرِ** * آل عمران: ١٥٩) اي الفعل الذي تعزم عليه فهو في كلام الناظم مجاز شائع لاطلاقه على كل ما يفعل والاظهر ان يراد بالامر ههنا الاعم من القول والفعل فيكون الشئ اذ كلها تدبيره تعالى فمعنى المدبر كل امر اي الموقع كل شئ على قدر مخصوص في وقت مخصوص بقضائه وقدره حسب ما سبق في علمه و**الحق** لغة الثابت من حق الشئ اذا ثبت والمراد في حقه تعالى الثابت الوجود على وجه الوجوب وهو من اسمائه تعالى

وله اطلاقات فيطلق على الدّين الثابت في الذمة والمطالبات والامر العظيم الشأن والاقوال والعقائد والاديان والحكم المطابق للواقع وغير ذلك بخلاف الصدق فانه شاع في الاقوال خاصة ويقابله الكذب والحق يقابله الباطل و**المقدّر** بكسر الدال موجد الاشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها واحوالها فهو اسم فاعل من قدر يقدر فهو مقدر وهو من له القدرة على ذلك وهي صفة تخالف العجز وتؤثر في الشئ عند تعلقها به لكن تعلقها به مرتب على تعلق الارادة وتعلق الارادة مرتب على تعلق العلم ولا قصور في عدم تعلق الارادة والقدرة بالواجب والمستحيل اذ لو تعلقا بهما لزم القصور لانه يلزم على هذا ان يجوز تعلقهما بانعدام انفسهما بل واعدام الذات العلية واثبات الالوهية لمن لا يقبلها من الحوادث وسلبها عمن تجب له وهو المولى جلّ وعلا واي نقص وفساد اعظم من هذا و**ذو** ههنا بمعنى الصاحب و**الجلال** العظمة والاستغناء المطلق لوسع مجده وعلاه وسلطان ملكوتيته على ما سواه ويشمل ذلك الصفات الثبوتية والسلبية وانكار المعتزلة ثبوت العلم والقدرة والحياة ونحوها من سائر اوصاف الكمال وقولهم انه لا يوصف بها لانه لا يخلو اما ان تكون قديمة فيتعدد القدماء او حادثة فيكون محلا للحوادث فهو قول باطل مردود بالادلة القطعية لانه وصف ذاته المقدسة متمدحا بها قال تعالى اِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ * اَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ * وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ * هُوَ الْحَيُّ كما قدمنا فقد اثبت لنفسه العلم والقدرة والحياة ونحوها فانكار هذه الصفات الثابتة بنص الكتاب كفر بلا نزاع.

(**الإعراب**): هو الحي مبتدأ وخبر والمدبر خبر بعد خبر وكذا هو الحق المقدر وكل بالنصب مضاف الى امر مفعول المدبر دال على مفعول المقدر المحذوف اي المقدر كل امر.

(**وحاصل معنى البيت**): انه تعالى حي لا يزال وهو الموجد لجميع الاشياء من خير وشر ونفع وضر وحلو ومرّ بقضائه وقدره على اقدار مخصوصة في اوقات مخصوصة قال تعالى (**اِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** * القمر: ٤٩) فيجب اعتقاد انه تعالى حي باق ازلا

وابدا واجب الوجود وكل ما في الوجود بتدبيره وتقديره لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وفيه اشارة الى دخول افعال العباد في كل مخلوق ردًا على المعتزلة في قولهم ان افعال العباد مخلوقة لهم وقول بعضهم بعضها مخلوق لهم كما سيأتي وتمسكوا في ذلك بما هو مذكور مع رده في المطولات من هذا الفن.

قال الناظم رحمه الله:

٤ مُرِيدُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ الْقَبِيحِ * وَلَكِنْ لَيْسَ يَرْضَى بِالْمُحَالِ

المريد اسم فاعل من الارادة وهي عبارة عن صفة في الحيّ تقتضي الحياة وفي حقه تعالى صفة من صفات الذات له تعالى تقتضي تخصيص احد طرفي الشئ من الفعل والترك بالوقوع في وقت دون وقت وترادفها المشيئة و**الرضاء** عبارة عن الارادة ويرادفها المحبة وهذا ما ذهب اليه اكثر اهل السنة وقالت المعتزلة الرضاء والمحبة نفس المشيئة والارادة وقال بعضهم انه تعالى مريد بارادة حادثة لا في محل وقالت الفلاسفة انه موجب بالذات لا بارادة ولنا الآيات الناطقة باثبات صفة الارادة والمشيئة له تعالى (**يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ** * آل عمران: ٤٠) (**انَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** * المائدة: ١) (**اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْئٍ اِذَآ اَرَدْنَاهُ اَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ** * النحل: ٤٠) قال الكستلي وجزم اصحابنا القول باستواء نسبة العلم الى الضدين كالقدرة وان العلم بالمصلحة لا يكون داعيا الى الفعل ما لم تحصل الحالة المعلومة بالوجدان المسماة بالارادة ونبهوا على ذلك بانه لا موجود الاّ ويمكن تصوره على وجه احسن منه فوقوعه على ما هو عليه تخصيص من غير مخصص لكن اورد عليه انه اذا جاز تعلق الارادة بكل واحد من الضدين بدلا عن الآخر فتعلقها باحداهما ترجيح بلا مرجح وان لم يكن كذلك بل كان تعلقها باحدهما مقتضى ذاتها فالمريد غير قادر على الفعل بالمعنى المذكور اذ قد وجب وجود احد الضدين فيه لا وجوبا مرتبا على تعلق ارادته بل لم يجز منه الاّ وقوع هذا الضد وغاية ما يمكن ان يجاب عنه بان تعلق الارادة باحد الضدين لذاتها لا بمعنى انّ ذاتها تقتضي المتعلق به البتة بل بمعنى انها لا تحتاج في

ذلك الى مرجح غير ذاتها وهذا خاصة الارادة فلا يجوز مثلها في القدرة هنا فافهم والمحال هنا هو الذي احيل من جهة الصواب الى غيره والذي قبحه الشرع كالكفر والمعاصي وهو الذي اراده المصنف رحمه الله بالشر فهو واقع بارادته لكن لم يرض به قال تعالى (**وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** * الزمر: ٧) لا المحال الذي يستحيل وقوعه اذ الكفر والمعاصي موجودان واقعان بارادته تعالى لا برضاه ولا يخفى ان المحال هو الممتنع لكن امتناعه اما شرعا او غيره وغيره اما عقلا وعادة كالجمع بين الضّدين فهو امتناع لذاته او عادة فقط كطيران الانسان او عقلا فقط كالايمان ممن علم الله انه لا يؤمن فهو فيهما امتناع لغير ذاته والمراد ههنا الاول اي الممتنع شرعا كما ذكرنا اذ الممنوع ما خالف المطلوب شرعا وهو الفعل المنهي عنه حراما كان او مكروها او خلاف الاولى يشمل الكفر وسائر المعاصي والمناهي والمطلوب شرعا هو الفعل الفرض والواجب والمستحب يشمل الايمان وسائر الطاعات.

(**الإعراب**): مريد اسم فاعل مضاف الى مفعوله خبر مبتدإ محذوف اي هو مريد الخير والشر عطف على الخير والقبيح صفة كاشفة للشر اذ ما قبح شرعا ليس فيه حسن ولكن للاستدراك دفعا لتوهم رضاه تعالى به حيث كان مرادا له واسم ليس مستتر راجع الى المبتدإ المقدر وجملة يرضى خبرها وبالمحال متعلق بيرضى المنفي.

(**وحاصل معنى البيت**): انه يجب اعتقاد انّ وقوع جميع الاشياء من خير وشر وايمان وكفر وطاعة ومعصية بارادته تعالى لكن ما كان بعيدا عن الصواب عند اولي الالباب كالكفر والقبائح والمعاصي فانه مريد له لكنه غير راض به فيقع بمشيئته وارادته لا برضاه ولا بمحبته قال تعالى (**وَمَا تَشَآؤُنَ الاَّ اَنْ يَشَآءَ اللّٰهُ** * الإنسان: ٣٠) وقال تعالى (**وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** * الزمر: ٧) وهذا مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة جميع المعاصي واقعة بارادة العبد على خلاف ارادة الرب فالخير من الله والشر من العبد كيلا ينسب القبيح اليه تعالى وهو مردود بما قدمنا وبقوله تعالى (**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ** * النساء: ٧٨) (**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ** * الأنعام: ١٠١) (**يُضِلُّ مَنْ يَشَآءُ وَيَهْدِي**

مَنْ يَشَآءُ * النحل: ٩٣) وظهور ذلك من العبد انما هو بتقدير الله تعالى ومؤاخذة العبد به انما هو بحسب كسبه واقبح من قولهم قول النظام ان الله تعالى لا يقدر على خلق الجهل والقبيح مستدلا بانه لو قدر على خلق ذلك لزم ان يكون جاهلا وقبيحا لان خالق الجهل جاهل وخالق القبيح قبيح وهو مردود وفساده ظاهر أيضا بعموم ما قدمنا ولا يلزم ما ذكره اذ المتصف بذلك من قام به المعنى وهو الجاهل كقائل هذا القول لا خالقهما كالكسر والجرح ونحوهما فانه انما يقوم بالمكسور والمجروح لا بالجارح والكاسر وما احسن قول القائل:

قضى الربّ كفر الكافرين ولم يكن * ليرضاه تكليفا لدى كلّ ملة

دعا الكل تكليفا ووفق بعضهم * وخص بتوفيق وعم بدعوة

اليك اختيار الكسب والله خالق * مريد بتدبير له في الخليقة

ولم يرض فعلا قد نهى عنه شرعه * تعالى وجلّ الله ربّ البرية

قال الناظم رحمه الله:

٥ صِفَاتُ اللهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ * وَلاَ غَيْرًا سِوَاهُ ذَا انْفِصَالِ

الصفات جمع صفة وهي الامارة اللازمة لذات الموصوف التي يعرف بها والصفة والوصف سيان من حيث اللغة وبينهما تغاير من حيث الاصطلاح وذلك ان الوصف ما قام بالواصف من حيث انه واصف والصفة ما قام بالموصوف من حيث انه موصوف وبهذا اندفع قول بعضهم ليت شعري من اين هذه التفرقة فان كلا منهما مصدر يصح ان يتصف به الواصف وان يتصف به الموصوف فافهم وصفاته تعالى مختصة لذاته لا هي هو ولا غيره هذا عند اهل السنة والجماعة وليست بمحدثة سواء كانت من صفات الذات او من صفات الافعال فلا يقال هي هو ولا بعضه ولا هي اغيار له بل هي صفات ازلية قديمة قائمة بذاته تعالى ليست كصفات البشر ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر واشار الناظم رحمه الله بقوله **ليست عين ذات** ردا لما تزعمه المعتزلة من انها عين الذات يفرون من تعدد القدماء

وبقوله **ولا غيرا سواه** ردا لما تزعمه الكرامية من قولهم انها غيره ذو انفصال عن الذات وهي عندهم حادثة لئلا يلزم تعدد القدماء اذ النصارى كفروا باثبات ثلاثة فما بال الثمانية وهي الحياة والقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام والتكوين والنصارى وان لم يصرحوا بالقدماء المغايرة ولكن لزمهم ذلك من زعمهم لانهم اثبتوا الاقانيم الثلاثة التي هي الوجود والعلم والحياة وسموا الوجود بالاب والعلم بالابن والحياة بالروح القدس وزعموا ان اقنوم العلم قد انتقل الى بدن عيسى عليه السلام فجوزوا الانفكاك والانتقال فكانت الاقانيم الثلاثة ذوات متغايرة وايضا وصفوا الاقانيم الثلاثة بصفات الالوهية وقد كذبهم الله تعالى بقوله (**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللّٰهَ ثَالِثُ ثَلٰثَةٍ** * المائدة: ٧٣) وبقوله عقيبه (**وَمَا مِنْ اِلٰهٍ اِلاَّ اِلٰهٌ وَاحِدٌ** * الأنعام: ١٩) وبقوله (**قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يوُلَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا اَحَدٌ**) وقول المعتزلة ايضا ظاهر البطلان لان الصفة لو كانت عين الموصوف لزم تعدد الذات باعتبار تعدد الصفات وهو باطل ولو كانت غير ذاته لا يخلو اما ان يتصف بها غيره او تقوم بنفسها وكلاهما باطلان **أمّا الاول** فلانه يلزم ان توجد صفاته الكاملة في غيره فيكون ناقصا في ذاته مستكملا بالغير وهو باطل **وأمّا الثاني** فلانه يلزم قيام العرض بنفسه وهو باطل ايضا وليست بعضا كما قال بعضهم لانه لو كان كذلك لادى الى ان لذاته تعالى حدا ونهاية حتى يتبعض ويتجزى وهذا من امارات الحدوث وصفات الامكان وهو باطل فثبت بهذه الدلالات انها لا عين ولا غير قالوا فهي كالواحد من العشرة ليس هو عين العشرة لاستحالة حد العينية ولا غيرها لانعدام حدّ الغيرية والواحد وان كان بعض العشرة الاّ انه يستحيل في حقه تعالى التركيب والتبعيض والتجزي فالتمثيل للتقريب لا للتسوية وفي قوله **ذا انفصال** اشارة الى ان المراد بالغيرية الغيرية الاصطلاحية وهو الذي يمكن انفصاله عن الذات انفصالا لا يقتضي المغايرة فهو كالتأكيد للغيرية.

(**الإعراب**): صفات الله مبتدأ واسم ليس مستتر وعين خبرها مضافا الى ذات

وجملة ليس مع اسمها وخبرها في محل رفع خبر المبتدإ ولا عطف على ليس وغيرا خبرها وحذف اسمها لدلالة الاول عليه اي وليس غيرا فهو من عطف الجمل ويصح أن يكون عطفا على عين فيكون من عطف المفردات وسواه للتأكيد وضميره للذات وذكر الضمير تأدبا ومراعاة للمعنى وذا انفصال صفة للغير ومعنى البيت ظاهر.

قال الناظم رحمه الله:

٦ صِفَاتُ الذَّاتِ وَٱلْأَفْعَالِ طُرًّا * قَدِيمَاتٌ مَصُونَاتُ الزَّوَالِ

صفات الذات ما دل عليه فعله تعالى لتوقف الفعل عليها وهي العلم والقدرة والارادة والحياة وما دلّ عليه التتريه له تعالى عن النقص وهي السمع والبصر والكلام والبقاء وصفات **الافعال** قد اختلف فيها فمذهب ائمتنا الحنفية هي قديمة ايضا كالاولى ومذهب الاشاعرة انها حادثة باعتبار تعلقها التنجيزي كالتكوين والابداء والانشاء والترزيق والاماتة والاحياء وفسر بعضهم صفات الذّات بانها كل ما يلزم من نفيه نقيضه والفرق بين الذات والصفات ان الذات كل ما يمكن تصوره بالاستقلال بخلاف الصفات فانها كل ما لا يمكن تصوره الاّ تبعا وكل منهما يدل على معنى زائد على معنى الواجب لا كما تزعمه المعتزلة انه تعالى عالم لا علم له قادر لا قدرة له الى غير ذلك فانه محال بمترلة قولنا اسود لا سواد له وقد نطقت النصوص بثبوت علمه وقدرته وغيرهما ودلّ صدور الافعال المتقنة على وجود الافعال المتقنة على وجود علمه وقدرته لا على مجرد تسميته عالما وقادرا وليس التراع في العلم والقدرة التي من جملة الكيفيات والملكات لما صرح مشايخنا من انه تعالى حي وله حياة ازلية ليست بعرض ولا مستحيل البقاء والله تعالى عالم وله علم ازلي شامل ليس بعرض ولا مستحيل البقاء ولا ضروري وما مكتسب وكذا سائر الصفات بل التراع في انه كما ان للعالم منا علما هو عرض قائم به زائد عليه حادث فهي للصانع العالم علم هو صفة ازلية قديمة قائمة زائدة عليه وكذا جميع الصفات فانكره الفلاسفة والمعتزلة وزعموا ان صفاته عين ذاته بمعنى ان ذاته تسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالما وبالمقدورات

قادرا الى غير ذلك فلا يلزم تكثير في الذات ولا تعدد في القدماء والواجبات.

والجواب ان المستحيل تعدد الذات القديمة وهو غير لازم ويلزمهم كون العلم مثلا قدرة وحياة وعالما وحيا الى غير ذلك من المحالات وقوله **طرّا** بضم الطاء اي جميعا وبفتحها أي قطعا من طرّ الثوب اذا قطعه فهو طرّار والاول انسب ههنا وقوله **قديمات** جمع قديمة وتقدم معنى القديم اي ازلية لا كما تزعمه الكرامية من ان له صفات الاّ انها حادثة لاستحالة قيام الحوادث بذاته تعالى **مصونات** اي محفوظات عن الزوال عن ذاته تعالى لان صفاته تعالى ازلية ابدية لا يزال عنها أبدا فلا تزايله ولا تفارقه اذ المزايلة والمفارقة من صفات الحدوث ومولانا بجميع صفاته قديم.

(**الإعراب**): صفات الذات مبتدأ والافعال عطف على الذات وطرا نصب على الحال وقديمات خبر المبتدإ ومصونات الزوال خبر بعد خبر.

(**وحاصل معنى البيت**): ان صفاته تعالى مطلقا ذاتية كانت او فعلية كلها قديمة مصونة عن الزوال عن الذات المقدسة وعن الزوال بمعنى الفناء والعدم قال شارح ويجوز ان يراد كلا المعنيين وهو الاصح وصفات الافعال عند الاشاعرة حادثة باعتبار تعلقها التنجيزي وهو حادث واما باعتبار تعلقها الازلي ويسمونها المعنوية فهي قديمة لان التكوين باعتبار رجوعه الى صفة القدرة يكون ازليا فالتخليق مثلا هو القدرة باعتبار تعلقها بالمخلوق فحينئذ لا خلاف في المعنى ذكره الامام النووي وغيره انتهى وفيه نظر ولذا نقله علي القاري[١] وقد قدّمنا تحقيقه.

---

(١) حاصل ما قدمه ان الامام الرازي اثبت الكفر لمن نفى خالقية الله تعالى قبل ان يخلق المخلوقات من المخالفين اي اهل العقائد الباطلة ورده علي القاري بان الاشاعرة ايضا من المخالفين فانهم لا يوصفون الله تعالى بانه خالق قبل ان يخلق الخلق مع انهم الفرقة الناجية كما في المواقف والعضدية و لم يعترض عليهما الشروح والحواشي هذا والحق ما قاله الامام النووي رحمه الله من ان الخلاف لفظي ولا معنى للنظر فيه اعتناء بنقل علي القاري فانه يوهم التعصب وان فتشت كتب الكلام كحواشي شرح المواقف وجدت كلام الماتريدية مضطربا في اجوبتهم لدفع اعتراضات الاشاعرة على اثبات التكوين صفة زائدة لا سيما كلام صاحب نظم الفرائد حيث اتى بتكلفات باردة لدفع تلك الاعتراضات بنقول مختلفة لا تخلو عن العصبية. لمحرره احمد حلمي القوغي

والحاصل انه يجب على المكلف بالشرع معرفة ما قام عليه دليل عقلي او نقلي من الصفات مع اعتقاد انها كلها قديمة وهي عشرون صفة: الوجود، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية، والحياة، والعلم، والارادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، وكونه حيا، وعالما، ومريدا، وقادرا، وسميعا، وبصيرا، ومتكلما. ويستحيل في حقه تعالى كل ما ينافي الصفات الواجبة كالعدم، والحدوث، والفناء، والمماثلة للحوادث، وكونه صفة، والاحتياج الى الفاعل، والتركيب في الذات، والمثل فيها او في الصفات، ووجود الشريك في الافعال، والعجز، والجهل وما في معنى ذلك وافراد الجائز في حقه تعالى لا تنحصر في عدد بل هي الفعل والترك لكل ما يقضى العقل بجوازه وامكانه ونظم بعضهم صفات الذات بقوله:

حياة كلام ثم علم وقدرة * ارادته سمع صفات مع البصر
لذات الاله عند كل محقق * وزيد بقاء عند حبر مع النظر

قال الناظم رحمه الله:

٧ نُسَمِّي[١] اللّهَ شَيْئًا لاَ كَالْاَشْيَا * وَذَاتًا عَنْ جِهَاتِ السِّتِّ خَالِي

(١) **نسمي** صيغة متكلم معلوم لا غائب مجهول كما في بعض النسخ اذ يرده نصب قوله وذاتا علي القاري قوله (اذ يرده) اي يرد بعضَ النسخ الذي فيه بناؤه للغائب المجهول نصبُ قوله **وذاتا** قال بعض الفضلاء بعد ان ذكر كلا من النسختين واقول لم يظهر وجه الرد فان ذاتا منصوب على كل حال سواء بنى نسمي للمعلوم او المجهول على انه مفعول ثان لنسمي ولفظ الجلالة نائب الفاعل على الثاني اي جعلِه مبنيا للمجهول ومفعول اول على الاول اي جعلِه مبنيا للمعلوم نعم يظهر ترجيح النسخة الاولى من حيث انها نص في نسبة القول الى اهل السنة والاشارة الى خلاف المعتزلة بخلافه على بناء المجهول لفوات تلك الاشارة ولعدم نكتة حذف الفاعل التي اشار اليها النحاة فتأمل تحفة الاعالي على شرح علي القاري وقد كتب على هذا الموضع قطب الارشاد قامع الفساد دستور العلماء العاملين ملجأ المريدين والسالكين شيخنا ومولانا الشيخ محمد شريف العربكندي [قصبة من قصبات دياربكر] فاظهر الرموز وكشف الكنوز واليك ما كتبه: (**اذ يرده نصب قوله وذاتا** انتهى) فارتبك فيه كثير حيث لا فرق بين المعلومية والمجهولية في نصب ذاتا فلاح لي بعد مدّة ان الفرق بحسب المعنى لا اللفظِ والاعرابِ فقلت ان قيل كيف يرد المجهوليةَ نصبُ ذاتا وهو منصوب عطف على شيئا المفعول الثاني متكلما

اي نحن اهل السنة والجماعة نسمي الله تعالى شيئا اي نطلق عليه هذا اللفظ بناء على ان الشئ عندنا هو الموجود فهو اولى باطلاقه عليه لانه تعالى واجب الوجود لكن لا نعتقد انه كسائر الاشياء لانها ممكنة الوجود وممتنعة الشهود ومولانا قديم واجب الجوجود واما اذا كان الشئ مصدر شاء من المشيئة فان اريد به معنى الفاعل جاز ايضا اطلاقه عليه تعالى وان اريد به معنى المفعول فلا يجوز وهو الذي احترز عنه المصنف بقوله لا كالاشيا لانها كلها مشيئة له تعالى موجودة بخلقه ونسمي الله تعالى ذاتا ايضا لكن لا كالذوات لان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق كما ان صفاته تعالى مخالفة لجميع الصفات وكل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك ولان الذوات لا تخلو عن الجهات الست اعني الفوق والتحت واليمين والشمال والامام والخلف وهو تعالى بذاته عن الجهات الست خال لان البرهان القاطع قام على انه تعالى غير متحيز في مكان اذ التحيز عند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي

معلوما او غائبا مجهولا كما عطف هو نفسه بقوله بعد ونسميه ذاتا لا كسائر الذوات وما وجه الرد يقال ليس الرد من حيث الاعراب وجانب اللفظ اذ لا فرق بين النسختين من هذه الحيثية بل من حيث المعنى وجانبه لان المعنى على تقدير كونه مجهولا يسميه اهل الاعتقادات مطلقا منا او من غيرنا كما يفيده ظاهر المجهولية وليس كذلك لان المعتزلة والقدرية والمشبهة والكرامية لا يسمونه ذاتا متصفا بهذه الصفة المذكورة من كونه لا كالذوات لخلوه عن الجهة والمكان كما سيأتي و هو قول القاري: وفيه اي في هذا البيت رد على المعتزلة والقدرية ان الله في كل مكان واعلى المشبهة والكرامية انه على العرش سبحانه وتعالى انتهى) في آخر شرح البيت بخلاف المعنى على تقدير كونه متكلما معلوما فانه نص حينئذ في التسمية عند اهل السنة فان قيل اذا كان الرد المذكور من هذه الحيثية فما وجه اختصاص الرد بنصب ذاتا مع ان نصب شيئا ايضا كذلك بخلاف الجهمية حيث قالوا انه سبحانه لا يوصف بانه شئ لانهم لا يرون اتصافه تعالى بما يشارك فيه غيره قلت لعدم العبرة بخلافهم لكونهم مفرطين في هذا الرأي لاستلزامه نفي اتصافه تعالى بكثير من الصفات الكمالية كانه لا خلاف بخلاف الذاتية المذكورة فان فيها خلافا من فرق كثيرة اولى دراية وان اخطئوا و لم يصيبوا جعلنا الله واخواننا مصيبين غير مخطئين في العقائد كلها هذا ما بلغ اليه فكري الفاتر ونظري القاصر والله اعلم بالصواب ثم يا اخواني والله لست من رجال ميدان المشكلات لاني كثيرا ما اقف في ادنى مسألة من كل باب ولكن قليلا ما يلوح لي شئ في بعض العويصات من القوة المدركة والله بل كالالهام فاتكلم فيه بما خُيِّلَ والله ملهم الصواب وهو يهدي السبيل. شيخنا محمد شريف العربكندي قدس الله سره

يشغله شئ ممتد كالجسم او غير ممتد وهو الجوهر الفرد كما سيأتي وواجب الوجود ليس كذلك فلا يكون متحيزًا.

ثم اعلم انه يجوز أن يطلق عليه تعالى كل ما ورد الشرع باطلاقه عليه من الاسماء والصفات ويمتنع ما منعه الشرع واما ما لم يرد به اذن ولا منع وكان تعالى موصوفا بمعناه واطلاقه مشعر بتعظمه غير موهم لما يستحيل في حقه تعالى فجوزه جمهور اهل السنة ومنعه المعتزلة ومال اليه القاضي الباقلاني[١] وتوقف امام الحرمين[٢] وجوز الرازي والغزالي اطلاق الصفة دون الاسم والمراد بالصفة ما دل على معنى زائد على الذات كما مرّ وكل ما اوهم معنى مستحيلا في حقه تعالى لم يجز اطلاقه عليه مطلقا اتفاقا كالعاقل والعارف والفقيه لان العقل مأخوذ من العقال وهو المنع من الإقدام ولا يتصور ذلك إلاّ إذا دعي الى ما لا يليق والعارف مأخوذ من المعرفة وقد يسبقها جهل او غفلة والفقه هو الفهم لغرض المتكلم وقد يسبقه جهل وكل ذلك لا يليق في حقه تعالى وقس على ذلك ترشد.

(**الإعراب**): نسمي مضارع صيغة متكلم معه غيره اي نحن اهل السنة ولفظ الجلالة مفعوله الاول وشيئا مفعوله الثاني يقال سميته كذا وسميته بكذا ولا نافية بمعنى غير او بمعنى ليس وكالاشياء متعلق بها في محل نصب صفة شيئا اي مغاير للاشياء او ليس هو كالاشياء وذاتا عطف على شيئا وخالي صفة ذاتا وحقه خالية وتركت التاء تأدبا ومراعاة للمعنى وعن جهات متعلق به ولا يصح ان يكون خبرا مقدما وخالي مبتدأً مؤخرًا فتدبر ويصح في نسمي أن يقرأ بالياء مبنيا للمعول ولفظ الجلالة نائب فاعله وشيئا مفعوله الثاني وذاتا عطف عليه فهو منصوب على كل حال خلافا لما توهمه بعضهم.

(**وحاصل معنى البيت**): انه يجوز لنا اهل السنة أن نسمي الله تعالى شيئا

(١) ابو بكر محمد الباقلاّني توفي سنة ٤٠٣ هـ. [١٠١٣ م.] في بغداد

(٢) امام الحرمين عبد الملك الشافعي توفي سنة ٤٧٨ هـ. [١٠٨٥ م.]

معتقدين انه مغاير لسائر الاشياء لانها حادثة مفتقرة الى الموجد والمحدث والله تعالى موجد الاشياء كلها قال تعالى (**قُلْ اَىُّ شَيْئٍ اَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ الله** * الأنعام: ١٩) (**كُلُّ شَيْئٍ هَالِكٌ اِلاَّ وَجْهَهُ** * القصص: ٨٨) والاستثناء معيار العلوم ونسميه ايضا ذاتا معتقدين انه مغاير لسائر الذوات خال عن جميع الجهات الست لورود الشرع بذلك.

تنبيهان: الأول يجب التفكر في مصنوعات الله تعالى ولا يجوز التفكر في ذاته تعالى للنهي عنه قال عليه السلام (**لا تتفكروا في ذات الله تعالى**) وقال ابن عباس رضي الله عنهما (**تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله**) ولانه ربما يتصوره العقل بما لا يليق به تعالى وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك. والثاني هل يجوز عقلا علم حقيقة ذاته في الآخرة ام لا قال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها ومن لازمه تحقق المرئي وقال بعضهم لا اذ الرؤية لا تفيد العلم بالحقيقة البتة فاللزوم ممنوع وصححه بعضهم فقال والصحيح انه لا سبيل الى القول بذلك وسيأتي تمامه ان شاء الله تعالى.

قال الناظم رحمه الله:

٨ وَلَيْسَ ٱلاِسْمُ غَيْرًا لِلْمُسَمَّى * لَدَى اَهْلِ الْبَصِيرَةِ خَيْرِ آلِ

اعلم ان **الاسم** ما دل على مسمى في نفسه غير متعرض ببنيته لزمان والتسمية جعل اللفظ دليلا على المعنى وذلك المعنى الذي جعل اللفظ بازائه هو المسمى ثم اختلف هل الاسم عين المسمّى او غيره وهي مسألة طويلة لا يحتملها هذا المختصر وحاصلها ان ههنا الفاظ ثلاثة التسمية والاسم والمسمى ثم التسمية غير الاسم والمسمى بلا خلاف بين الأئمة واما الاسم والمسمّى فقال اصحابنا اهل السنة هما واحد وقال اصحاب السنة والمتأخرون الاسم والصفة واحد ثم الصفة تنقسم الى ثلاثة اقسام صفة هي غير الموصوف كصفة الوجود للموجود وصفة لا هو ولا غيره كصفات الله تعالى كما تقدم وصفة هي غير الذات كصفاتنا وكذلك الاسم ينقسم الى ثلاثة اقسام اسم هو المسمى كقولنا موجود ومعبود وهو الله وهو الذي اراده

المصنف رحمه الله واسم للصفة لا هو ولا غيره كالعالم والقادر وللتسمية وهو ذكر الاسم ولفظ فهو غير المسمّى بلا خلاف بين الأئمة هذا حاصل ما في شرح ابي بكر الرازي وحاصل ما في حاشية السعد على الكشاف عند قوله تعالى (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا** * البقرة: ١٣) ان الخلاف في الجواب لفظي لانه اريد بالاسم لفظ زيد مثلا والمسمى مدلوله الذي هو الذات المشخصة فهو غيره قطعا او بالاسم المدلول وبالمسمى الذات من حيث هي اي الماصدق فهو في الجامد عين المسمى اذ لا يفهم من اسم الله تعالى سواه وفي المشتق على قول الاشعري غيره ان كان صفة فعل كالخالق ولا عينه ولا غيره ان كان صفة ذات كالعالم وعلى قول غيره عينه كما في الجامد ثم قيل ان الخلاف في الاسم بمعنى الكلمة المركبة من الهمزة والسين والميم لان تمسكات الفريقين يشعر بذلك اذ القائلون بان لاسم عين المسمى تمسكوا بمثل قوله تعالى (**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ** * الأعلى: ١) وقوله تعالى (**مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ اِلاَّ اَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوها اَنْتُمْ وَآبَآؤُكُمْ** * يوسف: ٤٠) فههنا الاسم والمسمى واحد اذ الحكم لا يناسب الاّ المسمى وهذا هو المراد بقولهم الاسم عين المسمى والقائلون بانه غيره تمسكوا بمثل قوله تعالى (**فَلَهُ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنَى** * الإسراء: ١١٠) فههنا الاسم غير المسمى اذ المفهوم انه غيره وهذا هو المراد بقولهم الاسم غير المسمّى لكن ما ذكروه من التفصيل من انه قد يكون عينه نحو لفظ الجلالة في الجوامد وانه قد يكون غيره كالخالق من صفات الافعال وقد يكون لا عين ولا غير كالعالم من صفات الذات يشعر بان الخلاف ليس في لفظ الاسم المركب من الهمزة والسين والميم بل ما تصدق عليه تلك الكلمة مثل زيد بالنسبة الى مدلوله ومسماه وفيه انه حيث اريد ذلك كيف ساغ الاختلاف بين الائمة واجيب بانه لما كان الاسم كزيد مثلا قد يراد به نفس لفظه كزيد ثلاثي وقد يراد به مدلوله ومسماه كزيد كاتب ورأيت زيدا وقع الاختلاف وحينئذ الخلاف لفظي فمن اطلق ان الاسم عين المسمى ليس في محله وكذا من اطلق انه غيره بل تارة يكون المراد غيره وتارة عينه فهو راجع الى قرينة

المقال عند الاطلاق فافهم والله اعلم وقوله **لدى** بالدال المهملة بمعنى عند **والبصيرة:** نور في القلب يدرك به الاشياء خيرها وشرها ويجمع على بصائر واما الابصار فجمع بصر وهو قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللتين يلتقيان فيفترقان الى العينين وعمى الاول اشد كما قال تعالى (**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الاَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** * الحج: ٤٦) واراد باهل البصيرة محققي اهل السنة.

(**الإعراب**): الاسم اسم ليس وغير خبرها وللمسمى متعلق بغير اي ليس الاسم مغايرا للمسمى ولدى ظرف مكان وأهل مجرور به والبصيرة مجرور بإضافة أهل اليه وخيرا فعل تفضيل صفة لاهل وآل مجرور به.

(**وحاصل معنى البيت**): ان الاسم ليس مغايرا للمسمى عندنا اي بل هو عينه كما قال شارحوه قال علي القاري[١] ولو قال وان الاسم عين للمسمى لكان نظامه اسنى واسمى وفيه نظر وقد علمت ما فيه.

تنبيه: قال بعضهم هل حقيقة ذاته تعالى معلومة للناس الآن قال جماعة من اهل السنة والمعتزلة نعم لانهم مكلفون بالعلم بوحدانيته وهو متوقف على العلم بحقيقته حتى زعم طائفة منهم انه كصورة آدم مستدلين بقوله عليه السلام (**لا تقولوا انّ فلانا قبيح فانّ الله خلق آدم على صورته**) وفي رواية رأى رجلا يضرب آخر فقال ذلك ورده المحققون من الفرق الاسلامية وطائفة من غيرهم ونمنع توقف العلم بالوحدانية على العلم به بالحقيقة الذاتية وانما يتوقف العلم بوحدانيته على العلم به بوجه ما وهو عزّ وجلّ معلوم بصفاته ومصنوعاته كما اجاب به موسى عليه السلام فرعون لما سأله عن حقيقة ذاته بقوله وما ربّ العالمين قال ربّ السّموات والارض الى آخر ما قصّه تعالى علينا ولفظة ما يسأل بها عن الماهية غالبا ومولانا لا يتصف بها ولذا قال بعض العلماء ان سَأَلَنَا سائل عن الله تعالى ما هو قلنا ان اردت ما اسمه فالله

---

(١) علي القاري الهروي توفي سنة ١٠١٦ هـ. [١٦٠٧ م.] في مكة المكرمة زادها الله شرفا

الرّحمن الرّحيم وان اردت ما صفته فالسميع البصير وان اردت ما فعله فخلق المخلوقات ووضع كل شئ في موضعه وان اردت ما ماهيته فهو متعال عن المثال والجنس وهو الذي يجب اعتقاده والجواب عن الحديث انا لا نسلم ان الضمير راجع الى الله تعالى بل الى فلان وروي أنه عليه السلام رأى رجلا يضرب آخر على وجهه فنهاه عن ذلك وقال (**إنّ الله تعالى خلق آدم على صورته**) اي صورة المضروب ويحتمل ان يكون راجعا الى آدم وفائدته انه تعالى خلق آدم على صورته التي شوهد عليها في الدنيا و لم تتغير عند اهباطه من الجنة كما كانت عليها فيها كما غيرت صورة ابليس حين اخرج منها ولئن سلم انه راجع الى الله تعالى كما جاء في الخبر (**إنّ الله خلق آدم على صورة الرّحمن**) الاّ ان الصورة كما تطلق على الصورة المحسوسة كذلك تطلق على مفهوم الشئ وما يختص به في ذاته ولذا قالت الحكماء: العلم حصول صورة الشئ في ذاته وارادوا بها مفهومه ومعناه فمعنى خلق آدم على صورته انه خلقه على صفاته من العلم والحكمة والرحمة والكرم والغضب ونحو ذلك فلا يكون حجة على اثبات الصورة المحسوسة على انه ينبغي ارادة ذلك ويعين احد ما ذكرنا من الاحتمالات قوله عليه السلام (**من قال انّ لله صورة كصورة آدم فهو كافر**) نقله ملا رمضان[١] على شرح العقائد للخيالي.

قال الناظم رحمه الله:

٩ وَمَا اِنْ جَوْهَرٌ رَبِّي وَجِسْمٌ * وَلاَ كُلٌّ وَبَعْضٌ ذُو اشْتِمَالِ

ما هنا بمعنى ليس و لم تعمل هنا لعدم ترتب الخبر على الاسم وهو شرط في عملها كما علم في محله ولا يقال ابطل عملها ان الزائدة لانها اقترنت بخبرها وهو لا يبطل عملها بخلاف ما لو اقترنت باسمها وقيل إنّ **إنْ** هنا لتأكيد المنفي كما قاله الكوفيون ورد بانه جمع بين متفقي المعنى فالاظهر انها هنا زائدة اي وما ربنا جوهر

---

(١) ملا رمضان بن عبد المحسن توفي سنة ٩٧٩ هـ. [١٥٧١ م.] في چورلي

والجوهر هو ما يقابل العرض او هو المحتاج الى فراغ يشغله او هو المتحيز او هو كل ما له حجم او غير المستغنى عن المحل او القابل للاعراض او ما له خط في المساحة والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزى اي لا يقبل الانقسام لا فعلا ولا وهما ولا فرضا وعلى كل فهو الواقع بجهة وقابل للكيفيات المتضادة كالحركة والسكون وما كان كذلك فهو من قبيل الممكنات وربنا متعال عن ذلك علوا كبيرا **ولا جسم** لانه لو كان جسما لكان مركبا وكل مركب مفتقر الى جزئه والمفتقر الى غيراته ممكن والله تعالى منزه عن الامكان فلا يكون جسما اذ الجسم مركب من جزئين فصاعدا وعند الحسّاب والمعتزلة الجسم ما له طول وعرض وعمق وادناه عندهم ما تركب من ستة اجزاء ان كان مثلثا وان كان مربعا ادناه من ثمانية اجزاء بيانه ان الجزء الواحد يسمى نقطة عندهم واذا ضم اليه جزء يسمى خطا لانه صار ذا طول يقبل القسمة بجهة واحدة والخط ما له طول فقط فان ضم اليه خط آخر من جانبه يسمى سطحا فيكون هذا مع الاول ذا طول يقبل القسمة بجهتيه واذا وضع عليه سطح آخر مثله اي اربعة اجزاء كذلك صار جسما لانه حصل له طول وعرض وعمق فصار يقبل القسمة بجهاته الثلاث وقس عليه المثلث فهو ثلاثة اجزاء فوق ثلاثة فالجسم اسم للمركب المطلق بالاجماع الاّ ان اصحابنا ابطلوا الحد الذي قاله المعتزلة والحُسّاب والصحيح ما قلنا ان ادناه جزآن فصاعدا كذا ذكره الرازي **والرّبّ** في الاصل من التربية وهي تبليغ الشئ الى كماله وصف به تعالى للمبالغة في تربية الانسان مثلا من النطفة الى انتهاء عمره والشجرة من حبه الى ان تبلغ كذا الى غير ذلك مما يدل على قدرته الباهرة فهو رب كل شئ ويختص المعرف باللام به تعالى ولا يطلق على غيره الاّ مضافا كرب الدار وقوله **ولا كلّ** لانّ الكلّ اسم لجملة تركبت من جوهرين فصاعدا وكل جزء تركب منه لا يخلو اما ان يكون موصوفا بصفات الكمال او لا فإن كان الاول كان كل جزء منه حيا عالما سميعا بصيرا الى غير ذلك فيلزم تعدد الآلهة وهو باطل وان كان الثاني كان متصفا باضدادها وهو

نقص ومولانا متره عن ذلك ولان كل ما له اجزاء يسمى باعتبار تأليفه منها مركبا وباعتبار انحلاله اليها متبعضا متجزيا وكل ذلك مناف للوجوب ولا **بعض** لانه اسم لما تركب الكل منه ومن غيره وقوله **ذو اشتمال** صفة لكل وبعض اي لا يشتمل مولانا على غيره لانه لو كان كلا لاشتمل على الغير ولو كان بعضا لاشتمل عليه الغير وكل ذلك من الاحتياج المنافي للوجوب وتبين بهذا انه تعالى لا يحويه مكان ولا زمان ولا جهة من الجهات ولا يدانيه شئ من المكونات ولا يماثله شئ من المخلوقات اذ كل ذلك محال على واجب الوجود المتره عن الافتقار ومماثلة الحوادث.

(**الإعراب**): ما نافية كما قدمنا وإن زائدة او مؤكدة للنفي على ما قيل وجوهر خبر مقدم وربي مبتدأ مؤخر على الاظهر وجسم عطف على الجوهر وكذا كل وبعض وذو بمعنى صاحب قيل هو صفة لكل لا لبعض والاظهر ان يتنازع فيه كل وبعض اي لا كل يشتمل على الغير ولا بعض يشتمل عليه الغير كما قدمنا واشتمال مجرور باضافة ذو اليه وهو مصدر اشتمل بالثوب اذا التف به.

(**وحاصل معنى البيت**): انه ذكر من صفاته تعالى السلبية اربع صفات انه تعالى ليس جوهرا ولا جسما ولا كلا ولا بعضا لانه تعالى ليس بعين الممكنة وهي ما له قيام بذاته سواء تركب من جوهرين فصاعدا وهو الجسم على ما مر او غير مركب وهو الجزء الذي لا يتجزى المعبر عنه تارة بالجوهر الفرد وتارة بالنقطة وهو الذي يمتنع بالذات انقسامه وسيأتي تمامه واذا انتفى ان يكون شيئا من الاعيان الممكنة انتفى بالضرورة ان يكون عرضا وهو ما لا يقوم بذاته اذ العرض اقسام العالم وهو بجميع اقسامه ممكن وربنا متعال عن ذلك علوا كبيرا.

(**تنبيه**): ذكر الرازي ههنا كلاما مخالفا لكلام المحققين وقد ضربت عليه بعد نقله وحاصل الصواب فيه ما نقله السعد رحمه الله من انه تعالى ليس بجوهر قال اما عندنا فلانه اسم للجزء الذي لا يتجزى وهو متحيز وجزء من الجسم والله تعالى متعال عن ذلك واما عند الفلاسفة فلانهم وان جعلوه من اقسام الممكن وارادوا به

الماهية الممكنة التي اذا وجدت كانت لا في الموضوع فانما يمتنع اطلاقه على الصانع من جهة عدم ورود الشرع بذلك مع تبادر الفهم الى المركب والمتحيز وذهب المجسمة والنصارى الى اطلاق الجسم والجوهر عليه بالمعنى الذي يجب تنزيهه تعالى عنه انتهى وهذا هو الصواب الموافق لنقل المحققين في محل الخلاف واذا تأملت ما هنالك يظهر لك حقيقة ذلك والله الموفق والمرشد.

قال الناظم رحمه الله:

١٠ وَفِي ٱلْأَذْهَانِ حَقٌّ كَوْنُ جُزْءٍ * بِلاَ وَصْفِ التَّجَزِّي يَا ابْنَ خَالِ

الاذهان جمع ذهن وهو قوة مدركة ينتقش فيها صور جميع المحسوسات والمعقولات وقد تسمى بالحافظة والنقش الحاصل فيها يسمى علما وادراكا ومعرفة وتصورا وتعقلا وقد يطلق الذهن على العقل ويحتمل ارادته ههنا وقوله **حق** اي ثابت متقرر في عقول اولي الالباب من اهل السنة **كون جزء** اي وجوده **بلا وصف التجزي** ممكن وواقع وقوله **يا ابن** بكسر النون منادى حذف منه ياء المتكلم اي يا ولدي وقوله **خال** اي الجزء خال عن وصف التجزي وحاصل هذه المسألة ان المتكلمين من اهل السنة والجماعة ذهبوا الى اثبات وجود الجزء الذي لا يتجزى في الخارج وان لم ير عادة الاّ بانضمامه الى غيره كما قدمنا وعبروا عنه بالنقطة وقالت المعتزلة يتصور تجزيه عقلا وفعلا الى ما لا نهاية له وهذا القول ظاهر الفساد لانه يشعر بان لا تكون الخردلة اصغر من الجبل العظيم ولا الجبل العظيم اكبر من الخردلة اذ اجزاء كل منهما غير متناهية وما لا يتناهى كيف يكون اصغر مما لا يتناهى او اكبر منه وفائدة هذا الخلاف تظهر في ثلاثة امور احدها وصفه تعالى بالقدرة على خلق الجزء الذي لا يتجزى فعندنا يوصف به تعالى وهو على كل شئ قدير ولانه ممكن وعندهم لا يوصف لكونه محالا والثاني في الاحصاء والدليل لنا عليه قوله تعالى (**وَاَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** * الجن: ٢٨) فلو لم يكن نهاية لما يتحقق الاحصاء من حيث العدد فيلزم الخلف في كلامه تعالى والثالث في مسألة الحوض الكبير اذا وقع فيه نجاسة فعندنا لا

يتنجس ما لم يظهر اثرها وعندهم يتنجس وان قلت النجاسة لانه لا يتناهى تجزّيها فكان في كل قطرة من قطرات الماء نجاسة.

(**الإعراب**): في الاذهان متعلق بحق اي ثابت في الاذهان وحق خبر مقدم وكون مبتدأ مؤخر وبلا وصف التجزي صفة جزء وخال صفة بعد صفة ويا ابني جملة ندائية معترضة بين الصفتين.

(**وحاصل معنى البيت**): انّ وجود الجزء الذي لا يوصف بالتجزي الخالي بنفسه عن قبول التجزي ثابت ومتحقق في عقول اهل السنة والجماعة وله ثبوت وتحقق في الاذهان والله تعالى قادر على خلقه خلافا لما يقوله المعترضة وقد علمت بطلان قولهم وكون خالي صفة كما قلنا ومشى عليه بعض الشراح مفيد كما ترى وقال شيخنا في شرحه وقوله يا ابن خالي ترحم وتلطف لان ابن الخال له رحم فكأنه قال إني نصحت لك القول بذكر هذه الفوائد النافعة كما ينصح ذو الرحم رحمه انتهى وعلى كل فهو تتميم للبيت لكن حمله على الاول المفيد اولى.

(**تنبيه**): اعلم انّ في اثبات الجوهر الفرد الذي لا يقبل التجزي نجاة من كثير من ظلمات اهل الاعتزال مثل اثبات الهيولى والصورة المؤدي الى قدم العالم ونفي حشر الاجساد لان اثباتهما موقوف على نفي الجزء الذي لا يتجزى فاذا ثبت بطل اثبات الهيولى والصورة والحشر مبني على حدوث العالم وانفطار السموات وكون الصانع مختارا والاّ لصار الكل منتفيا على تقدير قدم العالم واعلم ان الهيولى اربعة انواع: هيولى الصناعة، وهيولى الطبيعة، وهيولى الشكل، وهيولى الاولى فهيولى الصناعة: كل جسم يعمل منه الصانع مصنوعه كالحديد للحداد مثلا يعمل منه السيف والسكين والفأس وغير ذلك فكلها معمولة من جوهر واحد وهو الحديد فهو الهيولى لها والاختلاف انما هو في الاشكال والصور والنوع الثاني هيولى الطبيعة فهو الهواء والماء والنار والتراب لان ما تحت فلك القمر من الكائنات اعني المعادن والنبات والحيوان انما يكون من هذه الاربعة واليها ينتقل عند الفساد والنوع الثالث

هيولى الشكل وهو الجسم المطلق الذي يحصل من جملة العالم الجسماني اعني الافلاك والكواكب والاركان الاربعة والمواليد الثلاث والنوع الرابع وهو الهيولى الاولى فعند بعضهم هو الجزء الذي لا يتجزى وعند آخرين منهم ذات قائمة بنفسها يحل فيها الجسمية فيولد من ذلك القابل وذلك المقبول ذات الجسم فليحفظ هذا الكلام فانه من مزالق الاقدام قال السعد رحمه الله فان قيل هل لهذا الخلاف ثمرة قلنا نعم له ثمرة وهي ان في اثبات الجوهر نجاة من كثير من ظلمات الفلاسفة مثل اثبات الهيولى والصورة المؤدي الى قدم العالم ونفي حشر الاجساد وكثير من اصول الهندسة المبنى عليها دوام حركة السموات وامتناع الخرق والالتيام انتهى والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

١١ وَمَا اْلقُرْآنُ مَخْلوُقًا تَعَالىَ * كَلاَمُ الرَّبِّ عَنْ جِنْسِ الْمَقَالِ

اي ليس **القرآن** كلام الله تعالى حادثا احدثه الله تعالى باللفظ المركب من الحروف والاصوات لان ذلك من صفات المخلوقين الحادثة وكلامه تعالى قديم متره عن الحدوث وعن جنس ما يقوله الناس وعن كتابتهم وتلك انما هي دوال على كلامه القديم اذ الشئ له وجود عينا ووجود ذهنا ووجود عبارة ووجود كتابة فالكتابة تدل على العبارة والعبارة تدل على ما في الذهن وما في الذهن يدل على ما في الخارج وهو الكلام القديم والدوال الثلاثة حادثة مخلوقة لله تعالى دالة على كلامه القديم بواسطة ما في الذهن فقولك سمعت القرآن فالمسموع انما هو القراءة الحادثة الدالة على كلامه القديم فهي غيره ولذا صحت الاضافة في قولك قراءة القرآن عبادة ويطلق ايضا على ما بين الدفتين من النقوش المسمى بالمصحف وهذا حادث ايضا اذ هو فعل العبد والعبد بجميع افعاله مخلوق ويطلق ايضا بالحقيقة على القرآن الكريم كلام ربّ العالمين اي الذي نزل به الروح الامين فعلّمه سيد المرسلين فحيث وصف القرآن بما هو من لوازم القدم كقولنا القرآن غير مخلوق دل على ان المراد الكلام القديم القائم بذاته تعالى وحيث وصف بما هو من لوازم الحدوث كقولنا القرآن

مخلوق دل على ان المعنى اللفظي او النقوش الحادثة كقولنا فلان يُحْسِنُ القرآن وقولك يحرم على المحدث مس القرآن فحينئذ صح ان يقال كلام الله غير مخلوق ولا يقال القرآن غير مخلوق على الاطلاق لشموله كلامه تعالى القديم وشموله الحادث ايضا ولا يقال مخلوق لشموله لهما الاّ عند نصب قرينة تبين المراد قال السعد رحمه الله على العقائد عقب القرآن بكلام الله تعالى لما ذكر المشايخ من انه يقال القرآن كلام الله غير مخلوق لئلا يسبق الى الفهم ان المؤلف من الاصوات والحرف قديم كما ذهب اليه بعض الحنابلة [يعني به ابن تيمية الحراني] جهلا وعنادا واقام غير المخلوق مقام غير الحادث تنبيها على اتحادهما وقصدًا لِجَرْيِ الكلام على وفق الحديث حيث قال عليه السلام القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم وتنصيصًا على محل الخلاف بالعبارة المشهورة فيما بين الفريقين وهو ان القرآن مخلوق او غير مخلوق ولهذا نترجم المسألة بمسألة خلق القرآن وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم يرجع الى اثبات الكلام النفسي ونفيه والاّ فنحن لا نقول بقدم الالفاظ والحروف وهم لا يقولون بحدوث الكلام النفسي ودليلنا ما مرّ انه ثبت بالاجماع وتواتر النقل عن الانبياء عليهم السلام انه تعالى متكلم ولا معنى له سوى انه متصف بالكلام ونمنع قيام اللفظيّ الحادث بذاته تعالى فتعين النفسي القديم واما استدلالهم بان القرآن متصف بما هو من صفات المخلوقين وسمات الحدوث من التأليف والنظم والانزال وكونه عربيا مسموعا فصيحا معجزا الى غير ذلك فانما يقوم حجة على هذه الحنابلة لا علينا لانا قائلون بحدوث النظم وانما الكلام في المعنى القديم والمعتزلة لما لم يمكنهم انكار كونه تعالى متكلما ذهبوا الى انه متكلم بمعنى ايجاد الاصوات والحروف في محلها او ايجاد اشكال الكتابة في اللوح المحفوظ وان لم يقرأ على اختلاف بينهم وانت خبير بان المتحرك من قامت به الحركة لا من اوجدها والاّ لصح اتصاف الباري تعالى بالاعراض المخلوقة له تعالى عن ذلك علوا كبيرا انتهى وحاصله انه اتفق المتكلمون على انه تعالى متكلم للاجماع على انه حيّ فلزم ان

يتصف بالتكلم اذ لو لم يوصف به لوصف بضده وهو نقص في حقه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والاختلاف انما هو في معنى الكلام فعند اهل السنة ان كلامه تعالى قائم بذاته كسائر صفاته وليس بحرف ولا صوت ولا متبعض ولا متجز وعند المعتزلة محدث مخلوق ولم يكن تعالى متكلما به في الازل مستمسكين بقوله تعالى (**حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ** * التوبة: ٦) والمسموع هو الالفاظ المركبة من الحروف فيكون مخلوقا ومعنى كونه متكلما اي موجد لهذه الحروف والاصوات وبقوله تعالى (**اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** * القدر: ١) والمترل في وقت مخصوص يلزمه الحدوث والجواب ان المعنى حتى يسمع ما يدل على كلام الله وانزلناه اي المقروّ الدال على كلامه تعالى القديم وقرآنا معبرا عنه بالعربية المفهمة تقريبا للفهم عن كلامه القديم الذي ليس بحرف ولا صوت اذ الحروف والاصوات حادثان وذاته تعالى قديمة والقديم لا يقوم به الحادث فمن قال ان كلام الله تعالى القائم بذاته مخلوق حادث فقد كفر كما قدمنا ومن قال لا ادري أمخلوق أم غير مخلوق فهو اشر ممن قال انه مخلوق كمن قال لا اعرف المؤمن خير أم الكافر ونقل شيخنا الحديث المتقدم عن الفردوسي مسندا من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (**القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق فمن قال غيرها فقد كفر**) وفي لفظ لانس رضي الله عنه (**فاقتلوه**) وقال الفرا ابن جماعة روينا بالسند عن الربيع عن أحمد ان رجلا سأله أُأصلي خلف من يشرب الخمر فقال (**لا**) فقال أُأصلي خلف من يقول ان القرآن مخلوق فقال (**سبحان الله انهاك عن مؤمن وتسألني عن كافر**) انتهى واعلم ان هذه المسألة قد انتشر فيها الكلام جدا وهي مما وجه بها تسمية هذا العلم بالكلام لأنها اشهر مباحثها واكثرها جدالا حتى ان بعض اهل الحق قُتِل لما لم يقل بخلق القرآن والمحنة بذلك وقعت في زمن الخلفاء العباسيين واول من اظهر القول بخلق القرآن المأمون[١] بن

---

(١) المأمون الخليفة العباسي توفي سنة ٢١٨ هـ. [٨٣٣ م.]

السيد هارون الرشيد في سنة ٢١٤ بعد وفاة الامام الشافعي رحمه الله بنحو تسع سنين فاجاب كرها اكثر من دعاه الى ذلك وامتنع الخائفون من عقاب الله تعالى فحبس واهين منهم ابو مسهر الغساني الى ان مات في ايام المعتصم ثم لما ولى اخوه المعتصم ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد شدد المحنة وضرب الامام ثم لما ولّى ابنه هارون بالغ في المحنة باشارة ابن داود وقتل نصر بن احمد الخزاعي بسبب ذلك وفي تلك السنة مات ابو يعقوب يوسف البويطي في السجن كما اعلمه بذلك الامام رحمه الله عند موته بانه يموت في قيوده ويقال ان الواثق تاب عن ذلك في آخر عمره ثم لما ولى المتوكل جعفر بن المعتصم كشف المحنة وقمع البدعة واكرم الامام احمد كما في شرح ابن الفرس النجاري.

تتمة: اللفظ الدال على الكلام النفسي ان كان عربيا فالقرآن الكريم الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وان كان عبرانيا فالتوراة الذي انزل على موسى عليه السلام وان كان قبطيا فالزبور الذي انزل على داود عليه السلام وان كان سريانيا فالانجيل الذي انزل على عيسى عليه السلام فالاختلاف في العبارات الحادثة لا في كلامه تعالى.

(**الإعراب**): ما نافية بمعنى ليس القرآن اسمها ومخلوقا خبرها ويصح رفعه على عدم اعمالها وكلام الرب فاعل تعالى وعن جنس المقال متعلق بتعالى.

(**وحاصل معنى البيت**): انه يجب على المكلف ان يعتقد ان القرآن الذي هو كلام الله تعالى قديم منزه عن الحدوث وعن جنس قول البشر وعن الحروف والاصوات وان القائل بخلقه وحدوثه فهو كافر فان المقروء بالسنتنا المكتوب في مصاحفنا حادث دال على كلامه القديم.

قال الناظم رحمه الله:

١٢ وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ * بِلاَ وَصْفِ التَّمَكُّنِ وَاتِّصَالِ

يعني انه يجوز ان يقال ان الله تبارك وتعالى فوق العرش لقوله تعالى (**اَلرَّحْمَنُ**

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * طه: ٥) لكن نعتقد ان ذلك الاستواء لا كاستواء الاجسام وان تلك الفوقية لا كالفوقيات المقتضية للجهات والمماسة والمحاذات وارتفاع الجسم على الجسم والتمكن فان ذلك محال في حقه تعالى بل نفوض حقيقة العلم بذلك اليه تعالى معتقدين الفوقية مع جهلنا بحقيقة الكيفية وهذا طريقة المتقدمين من الخائفين من ائمة الدين فان السلف ومن تابعهم كالائمة الاربعة مشوا على ذلك قال الامام الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه[١] من قال لا اعرف الله في السماء هو ام في الارض فقد كفر لان هذا القول يوهم ان للحق مكانا ومن يوهم ذلك فهو مشبه وسئل الامام مالك رضي الله عنه[٢] عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وسئل الإمام الشافعي رضي الله عنه[٣] عن ذلك فقال آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الادراك وامسكت عن الخوض فيه كل الامساك وسئل الامام أحمد رضي الله عنه فقال استوى كما اخبر لا كما يخطر بقلب البشر فعلم بهذا انه لا خلاف بين الائمة الاربعة في ذلك ومن زعم ان بينهم اختلافا في ذلك فقد اعظم الفرية على ائمة الأمة واساء بهم الظن نعوذ بالله من ذلك وكذلك يقولون في كل ما جاء من المتشابهات في كتاب او سنة كقوله تعالى (**خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** * ص: ٧٥) (**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** * طه: ٣٩) (**اَللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ** * النور: ٣٥) وقوله صلى الله عليه وسلم (**ان الله خلق آدم على صورته**) كما مر وقوله (**ان الله يضحك لاوليائه حتى تبدو نواجذه**) وغير ذلك مما يوهم التشبيه فنفوض الامر لجميع ذلك اليه تعالى كما فوضوا ولا تشتغل بتآويله وتفاسيره لعدم تكليفنا به مع اعتقاد انه تعالى ليس بجسم ولا شبيه بالمخلوقات وان جميع علامات الحدوث ممتنعة عليه تعالى فإن قلت ما الحكمة في تنزيل المتشابهات قلنا نجعله

---

(١) الامام الاعظم ابو حنيفة نعمان بن ثابت توفي سنة ١٥٠ هـ. [٧٦٧ م.] في بغداد

(٢) الامام مالك بن انس الاصبحي توفي سنة ١٧٩ هـ. [٧٩٥ م.] في المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة

(٣) الامام محمد بن ادريس القريشي توفي سنة ٢٠٤ هـ. [٨١٩ م.] في مصر

مما تقدم والله اعلم بمراده وقيل ليعلم العالمون عجزهم وقصور افهامهم عن معرفة جميع كلام ربهم كما قال تعالى (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ اِلاَّ الله** * آل عمران: ٧) فيفوضون العلم بما لا يدركون معناه اليه تعالى والتفويض اليه تعالى كمال العبودية في العبد (**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِه اِلاَّ بِمَا شَآءَ** * البقرة: ٢٥٥) كا قال بعض المحققين: والعجز عن درك الادراك ادراك والبحث في سر ذات الله اشراك وقال بعضهم تفسير المتشابهات وتأويلها عبادة في العبد وتسليمها عبودية في العبد والعبودية فوق العبادة اذ العبودية الرضاء بما يفعل الرب والعبادة فعل ما يرضى الرب والرضاء فوق العمل حتى كان ترك الرضاء كفرا وترك العبادة فسقا والعبادة تسقط في الآخرة والعبودية لا تسقط في الدرين انتهى.

واما على طريقة الخلف فانهم يؤلون كل ما ورد من المتشابهات فيؤلون الاستواء بالاستيلاء واليد بالقدرة والقهر والضحكَ بالرضاء الى غير ذلك وتوسط بعضهم وتابعه جماعة كالكمال ابن الهمام في المسايرة وفصّل بين ما اذا دعت الحاجة الى التأويل كدفع خلل يدخل في فهم وبين ان لا تدعو الحاجة وهذا كمال من الكمال والله اعلم بحقيقة الحال.

(**الإعراب**): ربّ مبتدأ مضاف الى العرش والاضافة للتشريف كرب الكعبة وفوق منصوب على الظرفية في محل رفع خبر المتدإ أي كائن قدرته فوق ولكن للاستدراك والاحتراس وقوله بلا وصف متعلق بما تعلق به الظرف ووصف مضاف والتمكن مضاف اليه واتصال معطوف على التمكن.

(**وحاصل معنى البيت**): انه تعالى قد استوى كما اخبر لاطلاق الآية فهو فوق العرش لكنه تعالى غير متصف بالتمكن والاتصال كتمكن الاجسام واتصالها لاحتياجها الى مكان تقوم فيه ومكان تستقر عليه وكل تلك من صفات الحدوث وربنا منزه عن ذلك.

تتمة: المشهور ان العرش جسم وانه اعظم المخلوقات جرما ولذا خص

بالذكر اذ في قدرة الله متسع فيجب الايمان بذلك وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان بين كل سمائين خمسمائة عام وبين الكرسي وبين العرش خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش يعلم ما انتم فيه وروي عن ابن عباس وابن مسعود واناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ان السموات والارض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ايما انزل عليك اعظم قال الكرسي ثم قال يا ابا ذر ما السموات السبع من الكرسي الاّ كحلقة ملقاة في ارض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة كما في شرح خليل رحمه الله[١] وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل ملك منهم من اعوانهم مثل جنود سبع سموات وسبع ارضين وما في الارض من عدد الحصى والثرى وقال احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال قولوا لا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم فقالوها فاستقلوا بعرش ربنا فنفذت اقدامهم في الارض السابعة فلم تستقر فكتب في قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم.

قال الناظم رحمه الله:

١٣ وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمَنِ وَجْهًا * فَصُنْ عَنْ ذَاكَ اَصْنَافَ ٱلاَهَالِي

في هذا البيت تأكيد التنزيه له تعالى المفهوم من سابقه او اعم يريد ان الواجب عند اهل السنة والجماعة اعتقاد انه تعالى لا يشبه احدا ولا يشبهه احد من المخلوقات لا ذاتا ولا صفاتا ولا افعال وان تشبيهه تعالى بشئ من الحوادث ليس طريقا مرضيا يجوز اعتقاده لا شرعا ولا عقلا وكل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك واما ما اطلقه الشرع مما يوهم المشابهة بينه وبين المخلوق في الذات فقد تقدم الكلام فيه مستوفى وكذا في الصفات كعلم الخالق والمخلوق يوصف كل منهما بانه موجود

(١) الشيخ خليل المالكي توفي سنة ٧٦٧ هـ. [١٣٦٦ م.]

فقد تماثلا في الوجود مثلا فهو من جهة اللفظ لا من جهة المعنى لان صفات القديم غير صفات الحادث واذا تأملت قوله تعالى (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** * الشورى: ١١) انجلت عنك غياهب الآلام وصفت عقيدتك من الشكوك والاوهام وقد قال جماعة التقيق التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات وقوله **فصن عن ذاك** اي عن نسبة التشبيه اليهم او الى احد منهم بالمعنى المذكور بوجه مّا قال العلامة رحمه الله في شرح العقائد عند قوله ولا يشبهه شئ اي لا يماثله اما اذا أريد بالمماثلة الاتحاد في الحقيقة فظاهر واما اذا اريد بها كون الشيئين بحيث يسد احدهما مسد الآخر اي يصلح كل منها لما يصلح له الآخر فلان شيئا من الموجودات لا يسد مسده في شئ من الاصواف فان اوصافه من القدرة والعلم وغير ذلك اجل واعلى مما في المخلوقات حيث لا مناسبة بينهما قال في البداية ان العلم منا موجود وعرض ومحدث وجائز الوجود ومتحدد في كل زمان فلو اثبتنا العلم صفة لله تعالى لكان موجودا وصفة قديمة وواجب الوجود ودائما من الازل الى الابد فلا يماثل علمه علم الخلق بوجه من الوجوه هذا كلامه وقد صرح بان المماثلة عندنا انما تثبت بالاشتراك في جميع الاوصاف حتى لو اختلفا في وصف انتفت المماثلة عندنا وقال الشيخ ابو المعين[١] في التبصرة انا نجد اهل اللغة لا يمتنعون من القول بان زيدا مثل عمرو وفي الفقه اذا كان يساويه فيه يسد مسده في ذلك الباب وان كان بينهما مخالفة بوجوه كثيرة وما يقوله الاشعري[٢] من انه لا مماثلة الاّ بالمساوات فاسد لانه قال عليه السلام (**الحنطة بالحنطة مثلا بمثل**) واراد الاستواء في الكيل لا غير وان تفاوت الوزن وعدد الحبات والصلابة والرخاوة والظاهر انه لا مخالفة لان مراد الاشعري المساواة من كل الوجوه فيما فيه المماثلة كالكيل مثلا وعلى هذا ينبغي ان يحمل كلام البداية ايضا والاّ فاشتراك الشيئين في جميع الاوصاف ومساواهما من جميع الوجوه يرفع

---

(١) ابو المعين ميمون النسفي الحنفي توفي سنة ٥٠٨ هـ. [١١١٤ م.]

(٢) ابو الحسن علي الاشعري توفي سنة ٣٣٠ هـ. [٨٤٥ م.] في بغداد

التعدد فكيف يتصور المماثلة وقوله **اصناف الاهالي** اي جماعات اهل السنة والجماعة اي اعتقد براءتهم عن القول بمثل ذلك لتيقنهم بانتفاء وجود المثل له تعالى بالدلائل القطعية فان قلت الآية دلت على نفي مثل المثل له تعالى وهو لا يقتضي نفي المثل فيجوز ان يثبت المثل قلنا نفي مثل مثله يستلزم نفي مثله بسبب انتفاء المماثلة لكونها من الجانبين فاذا انتفى احد المثلين انتفى الآخر ضرورة فبقى تبارك وتعالى بلا مثل بالضرورة وهو المطلوب واذا قيل بزيادة الكاف فلا اشكال.

(**الإعراب**): ما بمعنى ليس والتشبيه اسمها وللرحمن متعلق به وجها خبر ليس فصن امر والفاء واقعة في جواب مقدر اي اذا لم يكن للتشبيه وجه فصن ايها المكلف وعن ذاك متعلق بصن ووضع ذاك موضع هذا تحقيرا للتشبيه بالعبد عن ساحة القبول كما يقال ذاك اللعين فعل كذا تنزيلا لعبده عن ساحة الحضور.

(**وحاصل معنى البيت**): انه يجب عليك ايها المكلف ان تعتقد ان الله تعالى لا يشبه شيئا ولا يشبهه شئ من مخلوقاته لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله لانه تعالى بجميع صفاته قديم والقديم لا يشبهه شئ من الحوادث وان تعتقد براءة اهل السنة عن القول بمثل ذلك وان تنسب اليهم التكلم بما لا يليق به تعالى فانه اعتقاد الضالين عنه تعالى ربّ العالمين.

قال الناظم رحمه الله:

١٤ وَلاَ يَمْضِي عَلَى الدَّيَّانِ وَقْتٌ * وَاَحْوَالٌ وَاَزْمَانٌ بِحَالِ

الديّان بتشديد الياء من دانه اذا جازاه ومنه قوله دنّاهم كما دانوا وهو صفة مبالغة في اسم الفاعل وهو من اسمائه تعالى ومعناه المجازي على الكليات والجزئيات قولا وفعلا ان خيرا فخير وان شرا فشر قال بعض المحققين مأخوذ من الدين بمعنى الاجزاء وقيل معناه الصادق وهو ليس في الاسماء الحسنى لكنه وارد فجاز اطلاقه عليه تعالى اذ من المعلوم ان مذهب اهل السنة انه لابد في صحة الاطلاق من الاذن الشرعي وقد تقدم واما تسميته اهل كل لغة على حسب لغتهم مثل قول العجم خدا

وقول الترك تگري فصحيح انعقد الاجماع على صحته وكون اذن الشرع باسمائه مخصوصة اذنا بمرادفاتها لابد ان يعلم ان مجرد ورود الشرع لا يكفي في الاذن بذلك بل لا بد ايضا ان يخلو عن سوء أدب وقلة تعظيم في شأنه عند الاطلاق كالمستهزئ والرامي والزارع وغير ذلك كما في شرح اسماء الله الحسنى للعلامة محمد بهاء الدين[١] وقدمنا نحوه **والوقت والزمان** بمعنى واحد ولعله اراد بالوقت المعين وبالزمان الازمنة المختلفة او بالوقت الجزء من الزمان الذي هو عند المتكلمين مقارنة متجدد موهم لمتجدد معلوم فالزمانة هو تلك المقارنة وعند الحكماء هو مقدار حركة الفلك وبالازمان الوقت الطويل بدليل افراده الاول وجمعه الثاني اشارة الى انه لا فرق في استحالة مرور الزمان عليه تعالى بين ان يكون طويلا او قصيرا **والاحوال** جمع حال والحال والحالة كون الشئ على صفة في وقت من الزمان واراد به صفة تقوم بالشئ تقبل التبدل وربنا عن ذلك متقدس ومتعال وقوله **بحال** اي بوجه من الوجوه لانه تعالى متره عن جريان تعاقب الزمان وتغير الاحوال مطلقا اذ هما حادثان مخلوقان له تعالى قال عزّ وجلّ من قائل (**خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ** * الأنبياء: ٣٣).

(**الإعراب**): لا نافية ويمضي مضارع مضى الشئ اذا مر وانقضى على الديان متعلق به ووقت فاعل يمضي واحوال وازمان عطف على وقت وبحال متعلق بيمضي.

(**وحاصل معنى البيت**): ان وجوده تعالى لا يمضي عليه الاوقات و لم تتبدل عليه الحالات ولا يقترن بزمن من الازمنة على معنى التأثير اذ الزمن حادث يجري على حادث والله سبحانه وتعالى قديم والقديم لا يقترن بالحادث وقد كان الله تعالى و لم يكن معه شئ وهو الآن على ما كان من كمال الذات والصفات وعدم جريان الاوقات وتبدل الحالات وكما انه لا يمضي عليه الازمنة والحالات لا يوصف بالكيفيات من اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وغير

---

(١) محمد بن بهاء البهائي الرومي توفي سنة ٩٥١ هـ. [١٥٤٤ م.]

ذلك مما هو من صفات الاجسام وتوابع المزاج والتركيب لانها من لوازم الحدوث وربنا متره عن الحدوث ولا بالماهية اي المجانسة للاشياء لان معنى قولنا ما هو اي من اي جنس هو والمجانسة توجب التمايز عن المتجانسات بفصول مقوّمة فيلزم التركيب وهو من لوازم الاجسام وربنا متعال عن ذلك علوا كبيرا.

قال الناظم رحمه الله:

١٥ وَمُسْتَغْنٍ اِلَهِي عَنْ نِسَاءٍ * وَاَوْلَادٍ اِنَاثٍ اَوْ رِجَالِ

في هذا البيت رد على اليهود في قولهم عزير ابن الله وعلى النصارى في قولهم بزوجية مريم وبنوة عيسى عليه السلام وعلى بني مليح في قولهم الملائكة بنات الله وهذه اقوال باطلة نقلا وعقلا قال تعالى (**وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ اَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا** * مريم: ٩٢) (**مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا** * الجن: ٣) (**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَثَةٍ** * المائدة: ٧٣) (**وَيَجْعَلُونَ لِلهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ** * النحل: ٥٧) ولانه تعالى متره عن الذكورة والانوثة والافتقار الى المعين فهو غني عن النساء والوالد والولد وهو خالق الذكور والاناث والكل عبيده (**اِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ اِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** * مريم: ٩٣) فمن قال باحتياجه الى شئ من ذلك فهو كافر لانه افتراء على الله وتكذيب لقوله تعالى (**قُلْ هُوَ اللهُ اَحَدٌ * اَللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً اَحَدٌ** * الإخلاص: ١-٤) وغيره مما قدمنا والكفر بهذه النسبة الى الله تعالى من الزوجية اعظم انواع الكفر اذ هو افتراء عليه تعالى والافتراء على المخلوق من اعظم المعاصي فما بالك على الخالق ولذا قال عليه السلام (**وهل يكب الناس في النار على وجوههم او قال على مناخرهم الاّ حصائد السنتهم**) وفي المعجم الكبير للطبراني[١] وللبيهقي[٢] في الشعب من حديث ابي وائل عن ابن مسعود قال ارتقى ابن مسعود رضي الله عنه الصفا فاخذ بلسانه فقال يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم

---

(١) الطبراني سليمان توفي سنة ٣٦٠ هـ. [٩٧١ م.] في الشام

(٢) البيهقي احمد الشافعي توفي سنة ٤٥٨ هـ. [١٠٦٦ م.] في نيشابور

من قبل ان تندم. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**اكثر خطايا ابن آدم من لسانه**) وللشافعي رحمه الله:

احفظ لسانك ايها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(**الإعراب**): الهي متبدأ مؤخر ومستغن خبر مقدم وعن نساء متعلق به واولاد عطف على نساء واناث او رجال بدل مفصل من مجمل واو بمعنى الواو.

(**وحاصل معنى البيت**): انه يجب ان نعتقد ان مولانا جلّ وعلا مستغن عن اتخاذ نساء زوجات او مملوكات يعني انه منزه عن ذلك اذ لا يلزم من الاستغناء التنزه كما لا يخفى فكلام المصنف لا يخلو عن نوع قصور وكذا مستغن عن والد وولد ذكرا كان او انثى لاستحالة ذلك في شأنه تعالى ومن قال بذلك كان كافرا.

فائدة: الولد حقيقة هو ولد الصلب يتناول الذكر والانثى ويطلق على الولد مجازا والرجل يتناول الذكر البالغ من الانس قطعا وهل يطلق على الملائكة والجن جوزه بعضهم في قوله تعالى (**وَعَلَى ٱلاَعْرَافِ رِجَالٌ** * الأعراف: ٤٦) قال هم الملائكة فاوقع اسم الرجل عليهم كما اوقعه على الجن في قوله تعالى (**وَاَنهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلاِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنّ** * الجن: ٦) ورد بانه لم يرد في وصف الملائكة بالذكورة والانوثة نقل ولا دل عليه عقل لعدم وجود كل من الوصفين فيهم واهل الاعراف قيل هم اهل الفترة وقيل اطفال المشركين وما زعم عباد الاصنام انهم بنات الله ظاهر البطلان وافتراء عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا كما مر وان قلنا لا يطلق حقيقة على الجن ايضا فيكون الآية على ما قال بعضهم (**وَاَنهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلاِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنّ**) اي من شر الجن والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

١٦ كَذَا عَنْ كُلِّ ذِي عَوْنٍ وَنَصْرٍ * تَفَرَّدَ ذوُ الْجَلاَلِ وَذوُ الْمَعَالِ

الاشارة الى ما في البيت السابق من استغنائه تعالى عما تقدم اي كما انه تعالى

مستغن عن النساء والاولاد كذلك مستغن عن المعين والناصر **وذو الجلال** من اسمائه تعالى ولم يقل والاكرام لضيق المقام ومعناه الجامع بين عظمة الذات وجميل الصفات **والمعالي** جمع المعلى من العلو وهو قسمان علو مكان وعلو مكانة اي مرتبة والله تعالى متره عن الاول واما الثاني فالله تعالى متصف به ومنه العلي من اسمائه تعالى ومن تخلق بهذا الاسم تقرب اليه قربا معنويا روحانيا بتقليل الحجب التي بينه وبين ربه فان البعد منه ليس الاّ بكثرة الحجب ومعلوم ان العلو الاضافي لا يكون الاّ لمن كان قريبا ممن له العلو المطلق وهو الواحد الاحد المستغني عن الزوجة والولد وعن المعين في الالوهية والناصر لدفع الاعداء (**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ** * الأنعام: ١٨) (**يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ** * آل عمران: ٤٠) و (**يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** * المائدة: ١) ليس له شريك في خلقه اذ لو كان له معين او ناصر لاحتاج اليه فيلزم الافتقار فيلزم عدم الاستقلال فيلزم العجز والحدوث فيحتاج الى محدث فيلزم الدور او التسلسل وهما باطلان فكذا ما ادّى اليهما فثبت انه تعالى ليس له معين ولا ناصر ولا يفتقر الى شئ وهو غني عما سواه له ما في السموات وما في الارض قيل لا يقال الاحتياج الى المعين لا يقدح في الانفراد بالوحدانية اذ من ملك الامر في شئ يجوز ان يستعين بالغير والامر منسوب الى المالك وفيه نظر لان ذلك عين الفساد للزوم العجز عن الاستقلال بالفعل وثبوت المشاركة وهما باطلان للزوم انتفاء الوحدانية وقد ثبت بالنصوص القاطعة ان صانع العالم واحد لا شريك له فلا يمكن ان يصدق مفهوم واجب الوجود الاّ على ذات واحدة مترهة عن الافتقار الى شئ قال تعالى (**لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ اِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا** * الأنبياء: ٢٢) اذ لو امكن ثبوت الهين لأمكن بينهما تمانع بان يريد احدهما موت زيد مثلا والآخر حياته لان كلا منهما امر ممكن في نفسه وكذا تعلق الارادة بكل منهما اذ لا تضاد بين الارادتين بل بين المرادين وحينئذ اما ان يحصل الامران فيجتمع الضدان وهو باطل او لا فيلزم عجز احدهما وهو امارة الحدوث والامكان فالتعدد مستلزم لامكان التمانع المستلزم للمحال فيكون محالا وهذا تفصيل ما قال ان احدهما

ان لم يقدر على مخالفة الآخر لزم عجزه وان قدر لزم عجز الآخر وبما ذكر يندفع ما يقال انه يجوز ان يتفقا من غير تمانع او ان تكون الممانعة والمخالفة غير ممكنة لاستلزامها المحال او ان يمتنع اجتماع الارادتين كارادة الواحد حركة زيد وسكونه معا وتمامه في المطولات.

(**الإعراب**): كذا متعلق بالخبر المحذوف مع مبتدئه بقرينة البيت السابق والاشارة الى الجملة او في محل نصب صفة لمصدر محذوف تقديره مستغن عن المعين والناصر استغناء كاستغنائه عن الزوجة والولد وعن كل متعلق بمستغن المقدر وكل مضاف وذي بمعنى صاحب مضاف اليه وذي مضاف الى عون ونصر عطف على عون وتفرد فعل ماض بمعنى توحد وذو الجلال فاعله وذو المعالي عطف على ذو الجلال وفي بعض النسخ وذو التعالى ومنه المتعال من اسمائه تعالى (ومعناه) علا بقهره وقدرته كل شئ وفي بعضها ذو الجلالة والمعالي ومشى عليه بعض الشراح.

قال الناظم رحمه الله:

١٧ يُمِيتُ الْخَلْقَ قَهْرًا ثُمَّ يُحْيِي * فَيَجْزِيهِمْ عَلَى وَفْقِ الْخِصَالِ

اي يجب اعتقاد ان الله تعالى يميت الخلائق كلها على سبيل القهر الانسَ والجن والملائكة والطير والوحوش وغير ذلك (**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلَالِ وَالْاِكْرَامِ** * الرحمن: ٢٧) وهو حي لا يموت قال تعالى (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** * **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ** * الرحمن: ٢٦-٢٧) اهـ روي انه لما نزل قوله تعالى (**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ** * آل عمران: ١٨٥) ظن الملائكة عدم الموت لكونهم ليسوا بنفوس فلما نزل قوله تعالى (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**) قوى ذلك عندهم لانهم ليسوا عليها فلما نزل قوله تعالى (**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلَالِ وَالْاِكْرَامِ**) تيقنوا بالموت ومن قدر على الابداء من العدم قادر على الاماتة ثم الاحياء فيحيي الاموات كلها للجزاء يوم القيامة ويعيدها باعيانها عند النفخة الاخيرة وبين النفختين اربعون سنة كما قال تعالى فاذا (**نُفِخَ فِيهِ اُخْرَى فَاِذَاهُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** * الزمر: ٦٨) وقال تعالى (**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**

* البقرة: ٢٨) وقال تعالى (**لَيَجْمَعَنَّكُمْ اِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ** * النساء: ٨٧) (**ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ** * البقرة: ٢٨١) فيجزيهم على حسب اعمالهم من الحسنات والسيئات قال تعالى (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** * الزلزال: ٧-٨) قال العلامة في شرح العقائد والبعث حق وهو ان يبعث الله الموتى من القبور بان يجمع اجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح اليها للنصوص القاطعة بحشر الاجساد وانكره الفلاسفة بناء على امتناع اعادة المعدوم لعينه وهو مع انه لا دليل لهم عليه يعتد به غير مضرّ بالمقصود لان مرادنا ان الله تعالى يجمع الاجزاء الاصلية للانسان ويعيد روحه اليه سواء سمى ذلك اعادة المعدوم بعينه او لم يسم وبهذا سقط ما قالوا انه لو اكل انسان انسانا بحيث صار الآخر جزء منه فتلك الاجزاء اما ان تعاد فيهما وهو محال او في احدهما فلا يكون الآخر معادا بجميع اجزائه وذلك ان المعاد انما هو الاجزاء الاصلية الباقية من اول العمر الى آخره والاجزاء المأكولة فضلة في الآكل لا اصلية فان قيل هذا قول بالتناسخ لان البدن الثاني ليس هو الاول كما ورد في الحديث (**انّ اهل الجنّة جرد مرد وان الجهنّميّ ضرسه مثل احد**) ومن هنا قال ما من مذهب الاّ وللتناسخ فيه قدم راسخ قلنا انما يلزم التناسخ لو لم يكن البدن مخلوقا من الاجزاء الاصلية للبدن الاول وان سمي مثل ذلك تناسخا كان نزاعا في مجرد الاسم ولا دليل على استحالة اعادة الروح الى مثل هذا البدن بل الادلة قائمة على حقيته سواء سمي تناسخا ام لا واكتفى هنا بقوله فيجزيهم على قدر الخصال عن ذكر سؤال الملكين وعذاب القبر والحشر والحساب واخذ الكتب ووزن الاعمال والمرور على الصراط وسيذكرها فيما بعد وكلها حق عند اهل السنة والجماعة يجب الايمان بوقوعها لثبوتها بالادلة القطعية **اولها** سؤال الملكين منكر ونكير وهما ملكان يدخلان القبر فيسألان العبد عن توحيد ربه وعن دينه وعن نبيه كما ورد (**اذا اقبر الميّت اتاه ملكان اسودان ازرقا العينين يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرّجل فيقول هو عبد الله ورسوله**

اشهد ان لا اله الاّ الله واشهد انّ محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنّا نعلم انّك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين وينوّر له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولان نم كنوم العروس الّذي لا يوقظه الاّ احبّ اهله اليه فينام حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا يقول سمعت النّاس يقولون شيئا فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنّا نعلم انّك كنت تقول ذلك ثمّ يقولان للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال معذّبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك) وقوله **فيجزيهم** على قدر **الخصال** اي المسطرة في الصحف فيعطى كل انسان كتابه المثبت فيه طاعته ومعاصيه يعطى للمؤمن بيمينه وللكافر بشماله من وراءِ ظهره قال تعالى (**وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيمَةِ كِتَابًا يَلْقَيهُ مَنْشُورًا * اِقْرَاْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** * الإسراء: ١٣-١٤) وقال تعالى (**فَاَمَّا مَنْ اُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** * الإنشقاق: ٧-٨) الى غير ذلك من الادلة ثم عليه يقع الحساب لانه الجامع لما قدمت يداه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربّك احدا فيجازي بما في كتابه ان خيرا فخير وان شرّا فشرّ وسيأتي تفصل ذلك ان شاء الله تعالى.

(**الإعراب**): يميت مضارع امات وفاعله مستتر يرجع الى الله تعالى والخلق مفعوله وقهرا منصوب اما على الحال من الفاعل او من المفعول اي حال كونه قاهرا او حال كونهم مقهورين وعلى كل فهي حال لازمة او على المصدرية مؤكدا للفعل المقدر اي يقهرهم قهرا ويحتمل التمييز وثم للتراخي عطف على يميت وفاعل يحيي فاعل يميت ومفعوله محذوف اي الخلق فيجزيهم عطف على يحيي والفاء للتعقيب على وفق متعلق بيجزي.

(**ومعنى البيت**) ظاهر. **تتمة**: يجب الايمان بان ملك الموت يقبض ارواح العالمين بامر ربهم عند حلول الاجل والاماتةُ فعل الله تعال واسناد التوفي الى ملك الموت في قوله تعالى (**قُلْ يَتَوَفَّيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذي وُكِّلَ بِكُمْ** * السجدة: ١١)

بطريق المجاز لانه المباشر بنفسه او باعوانه والمقتول ميت باجله عند اهل السنة والجماعة وليس له اجل آخر قطعه القاتل قال تعالى (**وَلِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ فَاِذَا جَآءَ اَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَاْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ** * الأعراف: ٣٤) وقال الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تنوعت الاسباب والعمر واحد

وزعم بعض المعتزلة ان القاتل قطع على المقتول اجله وهو مردود بما قدمنا فان قيل اذا كان المقتول ميتا باجله فمؤاخذه القاتل لما ذا أجيب بان مؤاخذته بسبب انه ارتكب المنهي ومباشرته خراب بنيان الله تعالى قال تعالى (**وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ اِلاَّ بِالْحَقِّ** * الإسراء: ٣٣) وقال عليه السلام (**الآدميّ بنيان الرّبّ ملعون من هدمه**) ولانه لو لم يقتل القاتل لظهر الفساد بين العباد بانتقام كل خصم من خصمه قال تعالى (**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَآ اُولِي اْلاَلْبَابِ** * البقرة: ١٧٩) اي اذا علم قاتل انه اذا قتل قتل به انكف عن القتل فيسلم القاتل والمقتول فالاجل واحد عند اهل السنة لا يزيد ولا ينقص.

واما ما ورد من نحو صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في العمر ونحو ذلك فمعناه انه تعالى يعطي السعادة والتوفيق لمن يصل رحمه باحياء الليالي والاشتغال في الطاعات وفعل الخيرات فيرى بركة في عمره لان النوم كالموت قال عليه السلام (**النوم اخو الموت**) فمعنى زيادته حصول البركة فيه واجيب ايضا بانه تعالى كان يعلم انه لو لم يفعل هذه الطاعة لكان عمره اربعين لكنه يعلم انه يفعلها ويكون عمره سبعين سنة فنسبة تلك الزيادة الى تلك الطاعة بناء على علم الله تعالى انه لولاها لما كانت الزيادة واصل هذا انه تعالى كما يعلم المعلوم الذي سيوجد كيف يوجد يعلم المعدوم الذي لا يوجد انه لو وجد كيف كان يوجد كما اخبر تعالى عن اهل النار الهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر مع علمه تعالى بانهم لا يردون لقوله تعالى (**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ** * الأنعام: ٢٨) **ولو** حرف امتناع لامتناع واختلف في الموت هل هو امر وجودي او عدميّ قال الشيخ

النسفي رحمه الله[١] في عقائده والموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى لا صنع للعبد فيه تخلقا ولا اكتسابا قال السعد رحمه الله وهذا مبني على ان الموت وجودي بدليل قوله تعالى (**خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيوَةَ** * الملك: ٢) والاكثرون على انه عدمي ومعنى خلق الموت قدّره.

خاتمة: انكر اكثر المعتزلة حشر من لا خطاب عليهم وهو مردود بما ورد من ان الله تعالى يحيى الحيوانات كلها للقصاص اظهارا لكمال العدل والقدرة فيقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم يقول لها كوني ترابا فتصير ترابا وحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا والله اعلم وأحكم.

قال الناظم رحمه الله:

١٨ لِاَهْلِ الْخَيْرِ جَنَّاتٌ وَنُعْمَى * وَلِلْكُفَّارِ اِدْرَاكُ النِّكَالِ

اراد باهل الخير المؤمنين بدليل ماقبله واورد هذا البيت بيانا وتفصيلا لما اجمله من الاحوال في قوله في البيت السابق فيجزيهم على وفق الخصال اي التي ماتوا عليها فيجازيهم عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر خلق الجنة للمؤمنين وخلق النار للكافرين فيثيب المطيع ويعاقب العاصي تفضلا منه وعدلا لا وجوبا عليه تعالى فيجوز عليه تعالى تعذيب المطيع واثابة العاصي اذ الكل ملكه وعبيده فيفعل في ملكه ما يشاء ويختار الاّ انه وعد المؤمنين بالخير والكافرين بالشر والتخلف في الوعد لا يليق بجناب الكريم قال تعالى (**اُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِه** * الحديد: ٢١) وقال تعالى (**اِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ** * الحج: ١٤) (**اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً** * الكهف: ١٠٧) (**جَزَآؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ اَبَدًا** * البينة: ٨) الى غير ذلك مما يدل على انه يكرمهم فيها بانواع المكرمات من

---

(١) النسفي عمر توفي سنة ٥٣٧ هـ. [١١٤٣ م.] في نيشابور

الحلل والحور العين ومشاهدة وجهه الكريم ومجاورة الانبياء عليهم السلام وغير ذلك من النعيم التي لا تحصى وكل ذلك بفضله واحسانه لا وجوبا عليه تعالى واوعد الكافرين بالشر والنيران في كثير من القرآن (**وَاَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَآ اَبَدًا لاَ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيرًا** * الأحزاب: ٦٤-٦٥) (**اِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآباً** * النبأ: ٢١-٢٢) الى غير ذلك فيجب اعتقاد انّ من مات على الكفر يستحق النار ويدخلونها بعد ان ينادى لهم وللمنافقين على رؤس الخلائق: هؤلاء الّذين كذبوا على ربّهم الا لعنة الله على الظّالمين وان الجنة حق وان النار حق لان الآيات والاحاديث الواردة في حقهما اكثر من ان تحصى وانكر الفلاسفة وجودهما متمسكين بان الجنة موصوفة بان عرضها كعرض السماوات والارض وهذا في عالم العناصر محال لان عالم العناصر أصغر من السماوات والارض والاصغر لا يسع الاكبر وفي عالم الافلاك او عالم آخر خارج عن عالم الافلاك يستلزم جواز الخرق والالتيام وهو باطل قلنا هذا مبنيّ على اصلكم الفاسد والمراد عرض الجنة مثل عرض السماوات والارض في الماهية ولا يلزم من ذلك تساوي مقدارهما فان الانسان الصغير مثل الانسان الكبير في الماهية مع عدم تساويهما في المقدار وانهما مخلوقتان موجودتان الآن عند عند اهل السنة والجماعة وذهب اكثر المعتزلة الى انهما مخلوقتان يوم الجزاء لعدم المقتضي الآن دليلنا قصة آدم وحوّاء عليهما السلام واسكانهما في الجنة واهباطهما منها والآيات الظاهرة في اعدادهما مثل (**اعدّت للمتّقين**) (**اعدّت للكفارين**) ولا ضرورة في العدول عن الظاهر فان عورض بمثل قوله تعالى (**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْاَرْضِ وَلاَ فَسَادًا** * القصص: ٨٣) من حيث ان الجعل مستقبل قلنا هو محتمل للحال والاستقبال فتبقى قصة آدم سالمة عن المعارض على ان الجعل يحتمل معنى التخصيص كما يقال اجعل هذا لزيد اي اخصه به فلا ينافي سبق وجودهما واذا ثبت وجودهما الآن فلا قائل بفنائهما بعد وجودهما لكن لم يرد نص صريح في تعيين مكانهما الآن والاكثرون على ان الجنة فوق

السماوات السبع تحت العرش اخذا من قوله تعالى (**عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى** * النجم: ١٤-١٥) وقوله عليه السلام (**سقف الجنة عرش الرّحمن وان النّار تحت الارضين السبع**) وقال بعض المحققين والحق تفويض ذلك الى علم العليم الخبير واطلق المصنف في اهل الخير والكافرين فشمل اطفالهم باعتبار التبعية لكن اختلف فيهم والصحيح التفصيل فاطفال الانبياء عليهم السلام في الجنة بلا خلاف وكذا بقية اطفال المؤمنين على الصحيح واختلف في اطفال المشركن والاصح انهم خدمة المؤمنين في الجنة لعدم التكليف ولا يليق بكرمه ان يعذّب بلا ذنب وان جاز عليه كما قدمنا ومن قال انهم في النار مع آبائهم مستدلا بقوله تعالى (**وَلاَ يَلِدُوا الاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا** * نوح: ٢٧) فقد اول على المعنى الاول وقيل هم على الاعراف بين الجنة والنار وقيل يصيرون ترابا وقيل السكوت عنهم اولى ولذا توقف فيهم الامام ابو حنيفة رضي الله عنه.

(**الإعراب**): لاهل خير مقدم وجنات مبتدأ مؤخر ونعمى معطوف عليه وهي بضم النون لغة في النعمة او اسم لها واراد بها مطلقَ نِعَم الجنة أو الرؤيةَ لانها اعظم نعم الجنان كما سيأتي وللكفار خبر مقدم وادراك النكال مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على الجملة والادراك اما بفتح الهمزة جمع درك بفتح الراء بمعنى اسفل قال تعالى (**اِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** * النساء: ١٤٥) وقد تسكن الراء في المفرد وبه قرأ الكوفيون والدرك بالكاف ما كان الى الاسفل والدرج بالجيم ما كان الى الاعلى واما بكسر الهمزة مصدر ادرك اذا لحقه فيكون من اضافة المصدر الى فاعله.

تنبيهات: الاول نكر المصنف رحمه الله لفظ جنات للتعظيم وجمعها لانها سبع على قول ابن عباس رضي الله عنهما: جنة الفردوس، جنة عدن، جنة النعيم، دار الخلد، جنة المأوى، دار السلام، وعليون. في كل منها مراتب ودرجات على حسب تفاوت الاعمال قال الامام محمد بن محمود بن السمرقندي في تفسير قوله تعالى (**فَهُمْ**

فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ * الروم: ١٥) عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منهما كما بين السموات والارض والفردوس اعلاها واوسطها محلة اي مكانا ومنها تفجر انهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة انتهى والثاني روي عن كعب ان الجنة في السماء السابعة بميزان بيت المقدس والصخرة ولو وقع منها حجر لوقع على الصخرة رواه عمران بن بكار وفي العرايس عن عبد الله قال الجنة اليوم في السماء السابعة فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء والثالث ذكر بعض العلماء ان علامة اهل الجنة وعلامة اهل النار تظهر على الانسان حال حياته وعند الموت لمن كشف الله عن بصيرته وقال بعض شراح اربعين النووية.

فائدة: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (**علامة الشقوة جمود العين وقساوة القلب وحب الدنيا وطول الامل**) وقال ذو النون المصري[١] علامة السعادة: حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء ورقة القلب ونقل الشيخ الاجهوري ان من علامة البشرى للميت ان يصفر وجهه ويعرق جبينه وتذرف عيناه دموعا ومن علامة السوء: ان تحمّر عيناه وتربّد شفتاه ويغط كغطيط البكر وتربد بالراء المهملة بعدها باء موحدة قال في القاموس الرّبدة: لون الى الغبرة والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

١٩ وَلاَ يَفْنَىَ الْجَحِيمُ وَلاَ الْجِنَانُ * وَلاَ اَهْلوُهُمَا اَهْلُ انْتِقَالِ

هذا مذهب اهل السنة الذي يجب اعتقاده فانهم يقولون لا فناء للجنة ونعيمها ولا للجحيم وسعيرها ولا لأهليهما بعد دخولهما ولا انتقال عنهما بدليل قوله تعالى (**اِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا ***

(١) ذو النون المصري ثوبان توفي سنة ٢٤٥ هـ. [٨٥٩ م.] في مصر

الكهف: ١٠٧-١٠٨) وقوله تعالى (**اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا** * البينة: ٦) وغيرهما من الآيات الدالة على الخلود والتأبيد وقوله عليه السلام في الخبر المشهور (**نادى مناد بين الجنة والنار يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا اهل النار خلود ولا موت**) الى غير ذلك والظاهر ان معنى الخلود البقاء المستمر فلا وجه للعدول عنه قال العلامة رحمه الله في شرح العقائد عند قوله باقيتان لا يفنيان ولا يفنى اهلهما اي دائمتان لا يطرأ عليهما عدم مستمرّ لقوله تعالى في حق الفريقين (**خالدين فيها ابدا**) واما ما قيل من انهما يهلكان ولو لحظة لقوله تعالى (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ اِلاَّ وَجْهَهُ** * القصص: ٨٨) فلا ينافي البقاء بهذا المعنى على انك قد عرفت انه لا دلالة في الآية على الفناء. وذهبت الجهمية الى انهما يفنيان ويفنى اهلهما وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والاجماع ليس عليه شبهة فضلا عن حجة انتهى فتأمل والجهمية هم اصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية وهم قائلون بانه اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار واستوفى كل منهما بقدر اعمالهم من التنعم والعقاب يفني الله الجنة والنار واهلهما، احتجوا بقوله تعالى (**هُوَ اْلاَوَّلُ وَاْلآخِرُ** * الحديد: ٣) وبان للقوة الجسمانية عدة ومدة فلا بد من فنائهما وبان الاحراق يفني الرطوبة والبنية وهما شرط الحياة فبقاء الحياة معه خروج عن العقل.

والجواب عن الاول بانا نمنع تناهي قوة الحياة الجسمانية بعد اخباره تعالى بخلودهما بالنصوص القطعية ومن قدر على انشائها وتصويرها من العدم وعلى جمعها واحيائها ثانيا قادر على حفظها دائما ابدا وعن الثاني بان الحياة يخلقها الله تعالى بلا اشتراط الرطوبة كما في السمندر فانه حيوان مأواه النار لا يتأذى بها ومعلوم انه لا رطوبة فيه ولو سلم فجسمانية الجهنميّ تفنى وتتجدد كما قال تعالى (**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** * النساء: ٥٦) فيكون المنع العدم المستمر كما قدمنا.

(**الإعراب**): الواو هنا يصح ان تكون عاطفة ويصح ان تكون حالية كما لا

يخفى ولا نافية ويفنى مضارع يصح ان تكون بالياء او بالتاء والجحيم فاعله والجنان عطف عليه ولو قدمنا الجنان لكان احسن مع استقامة الوزن وقوله ولا اهلوهما يصح ان تكون لا بمعنى ليس واهلوهما اسمها واهل بالنصب خبرها مضاف الى انتقال.

تنبيه: ليس لاحد ان يشهد على نفسه انه من اهل النار لانه يصير قانطا قاطعا رجاءه من رحمة الله تعالى فيكون مكذبا كلامه ولا لغيره من الاحياء كذلك لانه لا يعرف عواقب الامور ولا انه من اهل الجنة ولو فعل جميع الصالحات اذ لا يعلم انه يخرج من الدنيا بالايمان او لا بل يكون بين الخوف والرجاء ويجوز ان يقول ان المؤمن في الجنة بلا شك لان من جملتهم الانبياء عليهم السلام والشهداء والصالحون ويقول ان الكافر في النار وان اشار الى احد بعينه فان كان المشار اليه نبيا او رسولا او من شهد له الكتاب او السنة بالجنة او بالنار جاء القطع بلا شك والاّ فلا والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

٢٠ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ * وَاِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ

الضمير البارز في يراه لغير مذكور لكنه معلوم ذهنا بقرينة المقال او المذكور اجمالا في قوله ونعمى اذا اراد بها رؤيته تعالى على ما قدمنا **والكيف**: ما هو من صفات الاجسام وتوابع المزاج والتركيب والحرارة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك سمي كيفا لانه يسأل عنه بكيف هو فيقال احمرّ او اصفرّ وغير ذلك كما علم في المقولات العشرة **وادراك** الشئ العلم بحقيقته على ما هو عليه **وضرب المثال** اراد به نوعا من المثل اي التشبيه يعني انه اتفق اهل السنة والجماعة على ان لقاء الله تعالى ورؤيته لاهل الجنة في دار الآخرة حق ثابت بدليل قطعي والعقل ايضا يجوز ذلك فهو ممكن سمعا وعقلا خلافا لمن انكر ذلك ممن اضله الله فيجب اعتقاد انّ المؤمنين يرون ربّهم يوم القيامة قبل دخولهم الجنة وبعده بعين الرأس بلا شبه ولا كيف ولا ادراك حقيقة ونهاية واحاطة ومماسة ولا في مكان او على مكان بل كما عرفوه في الدنيا

عقلا وقوله تعالى (**لا تدركه الابصار**) انما ينفي الادراك ولا ينفي نفس الرّؤية ولا يلزم من نفيه نفيها ثمّ ان استدلال اهل الحق على امكان الرؤية بوجهين عقلي وسمعي ردا على من انكر وقوع الرؤية لكن اطبق المحققون على ان اثبات صحة الرؤية بالادلة العقلية لا يخلو عن شوب والمعتمد في ذلك هو السمع وهو مختار الشيخ الامام ابي منصور الماتريدي ولذا اقتصر كثير من المحققين في الاستدلال على الادلة السمعية التي اقواها قوله تعالى (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * اِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** * القيامة: ٢٢-٢٣) فهي صريحة في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ومن الاحاديث الشاهدة على ذلك قوله عليه السلام انكم (**سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر يوم القيامة**) وهو حديث مشهور رواه احد وعشرون من اكابر الصحابة رضي الله عنهم وزيد في رواية (**لا تضامون في رؤيته**) اي لا تشكون وفي رواية (**لا تضارون**) كما في شرح الحنفي وفي شرح ابن الفرس ما ثبت في الصحيح من قوله عليه السلام (**انّكم سترون ربّكم كما ترون هذا**) يعني القمر ليلة البدر (**لا تضامون في رؤيته**) اي لا يحصل لكم في رؤية ربكم ضيم أي ظلمة ولا ضرر يمنعكم من ذلك انتهى فعلى هذا تكون الرواية الاولى بالمعنى او هي رواية اخرى ولان موسى عليه السلام قد سأل ربّه الرؤية بقوله (**رَبِّ اَرِنِي اَنْظُرْ اِلَيْكَ** * الأعراف: ١٤٣) فلو لم تكن ممكنة لكان طلبها جهلا بما يجوز في ذات الله تعالى وما لا يجوز وطلبا للمحال او سفها او عبثا بعد ان عرفه حق المعرفة والانبياء عليهم السلام مترهون عن ذلك ولانه علق الرؤية باستقرار الجبل واستقراره امر ممكن في نفسه والمعلق بالممكن ممكن لان معناه الاخبار بثبوت المعلق عند ثبوت المعلق عليه والمحال لا يثبت على شئ من التقادير الممكنة قال العلامة رحمه الله في شرح العقائد وقد اعترض هذا بوجوه اقواها ان سؤال موسى عليه السلام كان لاجل قومه حيث قالوا (**لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً** * البقرة: ٥٥) فسأل ليعلموا امتناعها كما علمه هو وبانا لا نسلم ان المعلق عليه ممكن بل هو استقرار الجبل حال الحركة وهو محال **واجيب** عنه بان كلا من ذلك خلاف الظاهر ولا

ضرورة في ارتكابه على ان القوم ان كانوا مؤمنين كفاهم قول موسى عليه السلام انّ الرؤية ممتنعة وان كانوا كفارا لم يصدقوه في حكم الله تعالى بالامتناع وايا ما كان يكون السؤال عبثا والاستقرار حال الحركة أيضا ممكن بان يقع السكون بدل الحركة انما المحال اجتماع الحركة والسكون معا انتهى وحاصله انه اجمع اهل الحق على وقوع الرؤية في الآخرة وان الآيات والاحاديث الواردة محمولة على ظواهرها ثم ظهرت مقالة المخالفين وشاعت شبههم الفاسدة وتأويلاتهم الباطلة كقولهم ان الرؤية مشروطة بكون المرئي في مكان وجهة ومقابلة من الرائي وبثبوت مسافة واتصال شعاع وكل ذلك محال في حقه تعالى واجيب مع ما تقدم بمنع هذا الاشتراط فانه تعالى يُرى لا في مكان ولا تُدْرك ذاته فانه تعالى يتجلي لاهل الجنة ويريهم ذاته في حجاب صفاته لانهم لا يطيقون رؤية ذاته بلا حجاب وقياس الغائب على الشاهد فاسد قال الامام[١] في الاحياء رحمه الله انّ الرؤية نوع كشف وعلم الاّ انها اوضح واتم من العلم فاذا جاز تعلق العلم به ليس في جهة جاز تعلق الرؤية من غير جهة وكما جاز ان يعلم بغير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك وما ذكروا من الشروط انما هي في رؤية الموجودات المحسوسة وقياس الغائب عن الحس وهو الله تعالى على الشاهد في الحس فاسد ودليلهم من السمعيات (**لاَ تُدْرِكُهُ ٱلاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلاَبْصَارَ** * الأنعام: ١٠٣) والجواب اولا بان ال في الابصار للجنس فيصدق بالبعض ولو سلم كون الابصار للاستغراق وافادة عموم السلب لا سلب العموم وكون الادراك هو الرؤية مطلقا على وجه الاحاطة بجوانب المرئي انه لا دلالة فيه على عموم الاوقات والاحوال فيجوز ان يكون المنفي الرؤية في الدنيا لا في الآخرة وهو المطلوب وقد يستدل على جواز الرؤية اذ لو امتنعت مطلقا لما حصل التمدح بنفيها كالمعدوم لا يمدح بعدم رؤيته لامتناعها وانما التمدح ان يمكن رؤيته ولا يرى للتمنع والتعزز

---

(١) الامام محمد الغزالي توفي سنة ٥٠٥ هـ. [١١١٢ م.] في طوس

بحجاب الكبرياء وان جعلنا الادراك عبارة عن الرؤية على وجه الاحاطة بالجوانب والحدود فدلالة الآية على جواز الرؤية بل تحققها اظهر لان المعنى ان الله تعالى مع كونه مرئيا لا يدرك بالابصار لتعاليه عن التناهي والاتصاف بالحدود والجوانب ومن ادلتهم ان الآية الواردة في سؤال الرؤية مقرونة بالاستنكار والاستعظام **والجواب** ان ذلك لتعنتهم وعنادهم في طلبها لا لامتناعها والاّ لمنعهم موسى عليه السلام عن ذلك كما فعل حين سألوه ان يجعل لهم آلهة فقال بل انتم قوم تجهلون فهذا مشعر بامكان الرؤية في الدنيا ايضا وبهذا اختلفت الصحابة رضي الله عنهم في ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج والاختلاف في الوقوع دليل الامكان كما سيأتي.

(**الإعراب**): يراه مضارع من الرؤية البصرية والضمير البارز في محل نصب مفعوله عائد الى الله والمؤمنون فاعل يرى وبغير كيف متعلق بيرى ومحله نصب على الحال اللازمة من مفعول يرى او صفة للرؤية المقدرة المفهومة من يرى والتقدير يرى المؤمنون ربهم حال كونه مغايرا للكيفيات وادراك عطف على كيف وكذا ضرب والمراد به النوع او ضرب المثل والمثال الصورة ومن زائدة اي بغير تشبيه وتصوير.

تتمة: رؤية الله تعالى في الدنيا هل هي جائزة عقلا يقظة ومناما تردد فيه الائمة فمنهم من قال بالجواز ومنهم من قال بالمنع ومنهم من توقف ثم الراجح ان نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربّه بعين رأسه ليلة المعراج مرة او مرتين على الخلاف بدليل قوله تعالى (**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى** * النجم: ١٣-١٤) واما غيره فقد قال في الشيبانية:

ومن قال في الدنيا يراه بعيه * فذلك زنديق طغى وتمرّدا

واما في المنام فذهب طائفة الى ان رؤيته في المنام مستحيلة لانه لا يرى في المنام الاّ خيال ومثال وصورة وكلها على الله محال وجوز ذلك جماعة من غير كيفية وجهة ومقابلة ونقل ذلك عن كثير من السلف انه رأى ربه في المنام منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وحكي ذلك عن ابي حنيفة رضي الله عنه وعن ابي يزيد

انه قال رأيت ربّي في المنام فقلت له كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك ورأى ابن الحمزة القارئ انه قرأ القرآن على الله تعالى من اوله الى آخره في المنام حتى بلغ قوله تعالى (**وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**) فقال تعالى قل يا حمزة وانت القاهر قيل هذا انما يدل على انه كليم الله لا على رؤيته ولا خفاء ان الرؤية في المنام نوع مشاهدة تكون بالقلب دون العين وهل رؤيته تعالى في الآخرة خاصة بالبشر فقيل نعم وان الملائكة والجن لا يرون لان الوجوه الموصوفة بالنضارة في الآية انما هي وجوه البشر وقيل يراه الملائكة ايضا وهو الارجح وعليه الجمهور وقيل وكذا مؤمنوا الجن على ما نقله علي القاري في شرحه ثم قال وفي النساء اقوال احدها انهنّ لا يرينه لانهن مقصورات في الخيام ولا يخفى ضعفه الثاني انهنّ يرينه اخذا من عمومات النصوص وهو الظاهر وتمامه فيه واما الكفار فانهم عن رؤيته تعالى محجوبون بلا خلاف وقيل انهم يرونه مرة ثم يحجبون ليكون ذلك اشد حسرة عليهم كمن انكر الرؤية من المعتزلة والله تعالى اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

٢١ فَيَنْسَوْنَ النَّعِيمَ اِذَا رَأَوْهُ * فَيَا خُسْرَانَ اَهْلِ ٱلاِعْتِزَالِ

يعني ان المؤمنين اذا رأوا ربهم في الجنة ينسون نعيمها وقصورها وما اعدّ لهم فيها من الخيرات مما لا عين رأت ولا اذن سمعت اذ كل ذلك في جنب لقاء الرب الكريم كخردلة بالنسبة الى الكتر العظيم وقد روى الامام هشام عن الحسن انه قال ان الله عزّ وجلّ ليتجلي لاهل الجنة فاذا رأوه نسوا نعيم الجنة وما اعد لهم فيها واشار بقوله فيا خسران انتهى الاّ ان المعتزلة في تلك الحالة يكونون خاسرين متحسرين لاحتجاهم عن رؤيته تعالى ومنعهم عن تلك النعمة العظيمة لانهم انكروا الرؤية فحرموها عملا بزعمهم ومجازاة لهم قال علي القاري رحمه الله وفي البيت اشارة الى حرمان المعتزلة عن الرؤية وان دخلوا الجنة وذلك بانكارهم جزاء وفاقا لاصرارهم وللحديث القدسي (**انا عند ظن عبدي بي**) انتهى قال شيخنا فافاد انّ

المعتزلة يدخلون الجنة ولا يحرمونها لان الاعتزال كبيرة والكبيرة لا توجب الخلود في النار انتهى وفيه نظر لان المصنف رحمه الله ان اراد باهل الاعتزال هؤلاء الذين لا يكفرون ببدعتهم فيكونون منابذا لاطلاقهم في البيت المتقدم في قوله يراه المؤمنون لان هؤلاء مؤمنون عاصون فكان الواجب التنصيص على التخصيص وبيان الدليل وان اراد بهم مطلق المعتزلة او الذين يكفرون ببدعتهم فيصح اطلاقه المتقدم ويبطل ما قاله الشيخان المذكوران ويكون المراد حقيقة الخسران في قوله فيا خسران اهل الاعتزال قال شارح قال الجوهري خسرت الشئ بالفتح واخسرته: نقصته والخسار والخسارة والخسرى: الضلالة والهلاك يقال الهالك خاسر لانه خسر نفسه واهله يوم القيامة ومنع مترلته من الجنة اذا علم ذلك فان كان الناظم من القائلين بكفرهم انخرط كلامه في سلك هذا المعنى الذي ذكر للخسران وان لم يره وهو الراجح فمراده اصل معنى الخسران لاتمامه فتأمل وروي عن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها (**انّ الّذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا انّما هم اصحاب البدع والاهواء واصحاب الضّلالة من هذه الامّة يا عائشة انّ لكلّ صاحب ذنب توبة غير اصحاب البدع واصحاب الاهواء فليس لهم توبة وانا برئ منهم وهم برءاء منّا**) وفي الحديث (**واياّكم ومحدثات الامور فانّ كلّ بدعة ضلالة**) رواه ابو داود والترمذي[١] وجاء هذا الحديث في بعض الروايات (**فان كلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**) وقال بعض المفسرين، المغضوب عليهم: هم اهل البدعة وعن عطاء[٢] الخراساني لما نزل قوله تعالى (**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا اَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غُفُورًا رَحِيمًا** * النساء: ١١٠) صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع عليه جنوده من اقطار الارض قائلين ما هذه الصرخة التي افزعتنا قال امر انزل بي لم يترل قط اعظم منه قالوا وما هو فتلا عليهم الآية وقال هل عندكم

---

(١) الترمذي محمد البخاري توفي سنة ٢٧٩ هـ. [٨٩٢ م.] في بوغ

(٢) عطاء الله بن محمود الشيرازي توفي سنة ٩٢٦ هـ. [١٥٢٠ م.]

من حيلة قالوا ما عندنا حيلة فقال اطلبوا واني سأطلب قال فلبثوا ما شاء الله ثم صرخ صرخة اخرى اعظم من الاولى فاجتمعوا عليه وقالوا ما هذه الصرخة التي اعظم من الاولى قال هل وجدتم شيئا قالوا لا قال لكني وجدت قالوا وما وجدت قال ازين لهم البدع حتى يتخذوها دينا ثم لا يتوبون ولا يستغفرونه فابلغ المقصود وجاء في الحديث (**ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**) واخرج ابو نعيم: (**اهل البدعة شر الخلق والخليقة**) وهما مترادفان وقيل المراد بالاول البهائم وبالثاني غيرهم واخرج غيره (**اصحاب البدع كلاب النار**) قال بعض المحققين واعلم ان اهل البدعة سبعة: المعتزلة القائلون بان العباد خالقوا افعالهم وهم الذين ينفون الرؤية ويقولون بوجوب الثواب والعقاب وهم عشرون فرقة الثانية الشيعة المفرطون في محبة علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه وهم اثنان وعشرون فرقة الثالثة الخوارج المفرطة المكفرة المؤمن اذنب ذنبا كبيرا وهم عشرون فرقة الرابعة المرجئة القائلون بانه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم خمس فرق الخامسة النجارية الموافقة لاهل السنة في خلق الافعال وللمعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق السادسة الجبرية القائلون بسلب الاختيار عن العباد وهم فرقة السابعة المشبهة الذين يشبهون الخالق بالخلق وهم فرقة ايضا فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم اهل السنة والجماعة كما ورد (**ستفترق امتي من بعدي على بضع وسبعين فرقة كلهم في النار الاّ فرقة واحدة وهي من كان على ما انا عليه واصحابي**) وقدمناه فان قلت فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله عليه السلام (**لا تجتمع امتي على الضلالة**) قلت المراد بالاول امة الدعوة وبالثاني امة المتابعة فافهم.

(**الإعراب**): فينسون عطف على يراه المؤمنون وفاعل ينسون ضمير مستتر يرجع الى المؤمنين والنعيم مفعوله والمراد به الجنة وما اعد لهم فيها كما مر او نفس التنعم بذلك واذا وقتية وقوله فيا خسران منادى منصوب مضاف الى اهل وهو نداء

عليهم بالخسران او منصوب بفعل مقدر والمنادى محذوف اي يا قوم احذروا خسران اهل الاعتزال[١] وحرمانهم من النعمة الكبرى بما اسلفوه قال شيخنا تبعا لغيره وقول الشارح المقدسي انه مبتدأ سوّغ الابتداء به وصفه تقديرا اي يا خسران عظيم غير مستقيم وفيه نظر اذ لا مانع من ذلك فقد جوزوا الابتداء بالنكرة الموصوفة تقديرا كما قالوا شر أهر ذا ناب ذكره العلامة رحمه الله في المختصر ردا لمذهب السكاكي[٢] فعلم به انه يجوز في خسران الرفع على جعل المنادى محذوفا اي يا قوم خسران عظيم كائن لاهل الاعتزال لان الخسران من قبيل المشكك يطلق على فوات بعض الشئ وعلى فوات كله كما قدمنا والله اعلم واحكم.

قال الناظم رحمه الله:

٢٢ وَمَا اِنْ فِعْلٌ اَصْلَحُ ذوُ افْتِرَاضٍ * عَلَى الْهَادِي الْمُقَدَّسِ ذِي التَّعَالِي

يعني ان فعل الصلاح او الاصلح للعبد ليس واجبا على الله تعالى لانه تعالى مالك والمالك يتصرف في مملوكه كيف يشاء فان فعل به الاصلح له كان احسانا منه وفضلا وان فعل به ما هو شر له كان حكمة منه وعدلا لان وجوب فعل الاصلح عليه تعالى يوجب ابطال منته وتفضله واستحقاق شكره في الهداية وافاضة انواع الخير اذ من ادّى حقا واجبا عليه لا يكون له فيه منة وهو باطل لقوله تعالى (**لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُؤْمِنِينَ اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً** * آل عمران: ١٦٤) وقوله تعالى (**بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ اَنْ هَدَيكُمْ لِلاِيمَانِ** * الحجرات: ١٧) وفيه رد على معتزلة بغداد القائلين بوجوب الاصلح عليه تعالى بمعنى الارفق للعبد في الدارين في الحكمة والتدبير وعلى معتزلة البصرة القائلين بان الواجب عليه ما هو الاّ نفع في الدارين واتفق الفريقان على وجوب الاقدار والتمكن وفساد اصولهم في ذلك اشهر من ان يذكر لما يلزم عليها من الفساد الناشئ عما ارتكبوه من العناد اذ لو كان كما زعموا لما خلق الله

---

(١) رئيس المعتزلة واصل بن عطاء توفي سنة ١٣١ هـ. [٧٤٩ م.]

(٢) السّكاكي يوسف الخوارزمي من النحويين توفي سنة ٦٢٦ هـ. [١٢٢٩ م.]

الكافر الفقير في الدنيا المعذّب في الآخرة ولما كان امتنانه تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم فوق امتنانه على ابي جهل لعنه الله اذ فعله تعالى لكل منهما غاية مقدوره من الاصلح له ولما كان لسؤال العصمة والتوفيق وكشف الضر والبسط في الخصب والرخاء معنى لان ما لم يفعله في حق كل احد فهو مفسدة له يجب على الله تعالى تركها ولما بقى في قدرته تعالى بالنسبة الى مصالح العباد شئ اذ قد اتى بالواجب وكل ذلك ظاهر البطلان ومولانا القادر على كل شئ متره عنه ولذا ترك الاشعري مذهب استاده ابي علي الجبائي[١] حين قال له ما تقول في ثلاثة اخوة مات احدهم مطيعا والثاني عاصيا والثالث صغيرا فقال الجبائي الاول يثاب بالجنة والثاني يعاقب بالنار والثالث لا يثاب ولا يعاقب قال الاشعري فان قال الثالث يا ربّ لِمَ اَمَتَّنِي صغيرا وما ابقيتني الى ان اكبر فاومن بك واطيعك فادخل الجنة فقال يقول الربّ كنت اعلم انك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فكان الاصلح ان تموت صغيرا فقال الاشعري فان قال الثاني يا ربّ لِمَ لَمْ تمتني صغيرا لئلا اعصيك فلا ادخل النار ما ذا يقول الربّ فبهت الجبائي فترك الاشعري مذهبه واشتغل هو ومن تابعه بابطال رأي المعتزلة واثبات ما ورد به الكتاب والسنة ومضى عليه الجماعة فسموا اهل السنة والجماعة.

تنبيه: نقل بعض محشي العقائد ان المشهور من اهل السنة في ديار خراسان والعراق والشام واكثر الاقطار: الاشاعرة اصحاب ابي الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن ابي عبد الله ابي برده بن ابي موسى الاشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اول من خالف ابي علي الجبائي ورجع عن مذهبه كما تقدم وفي ديار ماوراء النهر: الماتريدية اصحاب ابي منصور الماتريدي[٢] تلميذ ابي نصر العياضي تلميذ ابي بكر الجرجاني صاحب ابي سليمان

---

(١) ابو علي الجبائي امام المعتزلة توفي سنة ٣٠٤ هـ. [٩١٦ م.]

(٢) ابو منصور الماتريدي محمد بن محمود توفي سنة ٣٣٣ هـ. [٩٤٥ م.] في سمرقند

الخوزجاني تلميذ محمد بن الحسن الشيباني[١] من اصحاب الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه وماتريد قرية من قرى سمرقند واراد المصنف رحمه الله بالافتراض في البيت مطلق اللزوم الشامل للواجب ولِمَا فِعْلُهُ اَوْلَى اي ليس ذلك متعينا على الله تعالى بوجه من الوجوه والهادي من اسمائه تعالى اي خالق الاهتداء والمشهور عند المعتزلة الهداية هي الدلالة الموصلة الى المطلوب وعندنا الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب حصل الوصول والاهتداء او لم يحصل كذا قاله العلامة رحمه الله في شرح العقائد واورد ان كلا من القولين منقوض اما الاول فمنقوض بقوله تعال (**وَاَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى** * فصلت: ١٧) وامّا الثاني فمنقوض بقوله تعالى (**اِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ اَحْبَبْتَ** * القصص: ٥٦) واحتمال التجوز مشترك ولا يندفع بقول من قال انها تطلق تارة ويراد بها خلق الاهتداء كقوله تعالى (**اِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ اَحْبَبْتَ**) وتارة يراد بها مجرد البيان كقوله تعالى (**وَاَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**) (**وَاِنَّكَ لَتَهْدِي اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** * الشورى: ٥٢) فتدبر قال في شرح اسماء الحسنى والهادي من اسمائه تعالى الحسنى ومعناه الدال عباده قاطبة الى الايمان والتوحيد بارسال الرسل وانزال الكتب ونصب الآيات في الآفاق والانفس كما قال تعالى (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي اْلآفَاقِ وَفِي اَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اَنهُ الْحَقُّ** * فصلت: ٥٣) والمؤمنين خاصة الى الاعمال الصالحة والملكات الفاضلة والاحوال السنية بلطف توفيقه وحسن ارشاده وتعليمه للاستهداء بقوله (**اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** * الفاتحة: ٦-٧) والسالكين خاصة الى التحقق بحقائق الاسماء والصفات والتمكن في مقامات التجليات والتوصل الى حضرة الحضرات بجذبات عنايته ولمعات هدايته كما قال تعال (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** * العنكبوت: ٦٩) والمتخلق باسم الهادي نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم اصالة

---

(١) محمد بن الحسن الشيباني توفي سنة ١٨٩ هـ. [٨٠٥ م.] في ري

وكذلك سائر الانبياء عليهم السلام كل منهم في نوبته ثم ورثة الانبياء الداعون للخلق الى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة كما امر الله تعالى نبيه اصالة وورثَتَه تبعا بقوله (**اُدْعُ اِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ** * النحل: ١٢٥) اي خاصمهم وناظرهم بوجه حسن وارفع شبههم وشكوكهم بوجه لا يؤدي الى العتوّ والعناد انتهى. والمقدس مأخوذ من القدس بضم الدال وسكونها وهو الطهارة او الابعاد عن الاكدار يقال قدس في الارض اذا ذهب فيها وبعد ولا تنافي بين المعنيين اذ الطهارة ترجع الى البعد لانها التنزه عن الاقذار حسية او معنوية ومنه (**ادْخُلُوا الْاَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ** * المائدة: ٢١) اي المطهرة ومنه القدوس من اسمائه تعالى الحسنى ومعناه المطهر اي المنزه عما عدا خصائص الوجوب الذاتي والالوهية وعن التصور بالصور الحسية والخيالية والعقلية وسائر الاحكام الامكانية والطبعية في مرتبة الاحدية لا يحوم حول حمى حقيقته ادراك غيره واما في مرتبة الواحدية فطاهر عن ان يشاركه في وجوب الوجود او في الوجود غيره وعن ان يوجد شئ خارج عن حيطته فهو طاهر من ان يقدسه المقدسون بحق تقديسه كما انه متعال عن ان يعرف حقيقة ذاته العارفون والمتخلق بهذا الاسم المتطهر من ارجاس الذنوب والآثام واختيار المصنف هذين الاسمين من قبيل مراعات النظير باعتبار المقام كما لا يخفى على ذوي الافهام.

(**الإعراب**): ما نافية وان زائدة وفعل بالرفع اسم ما او مبتدأ ولك فيه وجهان التنوين مع نقل حركة همزة اصلح اليه للضروة واصلح بالرفع صفة له او بغير تنوين مضاف الى اصلح من اضافة المصدر الى مفعوله واصلح مجرور بالفتح لعدم صرفه وذا بالنصب خبر ما على انها عاملة او بالرفع على انه خبر فعل اصلح وعلى كل من الوجهين فهو بمعنى صاحب مضاف الى افتراض وعلى الهادي متعلق بافتراض والمقدس صفة للهادي وكذا ذي التعالى.

(**وحاصل معنى البيت**): انه يجب على الموحد ان يعتقد ان فعل ما هو

الاصلح للعبد ليس بواجب على الله تعالى الذي بيده امر الضلالة والهداية بل هو فعال لما يريد يضل من يشاء ويهدي من يشاء اذ الكل عبيده فيتصرف فيهم كيف يشاء والهداية منه فضل والضلالة منه عدل وتقدس ان ينسب اليه وجوب عليه ثم لما انتهى الكلام على ما يتعلق بالالهيات شرع يتكلم على النبويات وما يتبعها.

فقال الناظم رحمه الله:

٢٣ وَفَرْضٌ لاَزِمٌ تَصْدِيقُ رُسْلٍ * وَاَمْلاَكٍ كِرَامٍ بِالنَّوَالِ

المراد بالفرض ههنا الفرض العيني على كل مكلف ولذا اكده بقوله لازم والمراد انه قطعي لا ظني وتصديق الرسل عليهم السلام اعتقاد ان جميع ما جاؤا به حق من عند الله وانهم بلغوا كما امروا والرسل جمع رسول وهو من البشر انسان حر ذكر اكمل معاصريه غير الانبياء عقلا وفطنة وقوة ورأيا وخلقا بالفتح وعقدة موسى عليه السلام ازيلت بدعوته عن الارسال كما في الآية معصوم ولو من صغيرة قصدا ولو قبل النبوة على الاصح سليم من دناءة اب وخناء ام وان عليا ومن منفر كبرص وجذام ولا يرد بلاء ايوب وعمى يعقوب عليهما السلام بناء على انه حيقيقي لطروه بعد الانباء والكلام فيما قارنه والفرق ان هذا منفر بخلافه فيمن استقرت نبوته ومن قلة مرؤة كأكل في طريق ومن دناءة صنعة كحجامة اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه وان لم يكن له كتاب ولا نسخ كيوشع فان لم يؤمر بتبليغ فنبي فقط فبينهما عموم وخصوص مطلق وهو افضل من النبي اجماعا لتميزه بالرسالة التي هي على الاصح افضل من النبوة خلافا لبعضهم ووجه تفضيل الرسالة على النبوة كما قال المحققون ان الرسالة تثمر هداية الامة والنبوة قاصرة على النبي فنسبتها الى النبوة كنسبة العالم المقرر المحدد الى العالم فقط والخلاف فيهما مع اتحاد محلهما وقيامهما معا بشخص واحد اما مع تعدد المحل فلا خلاف في افضلية الرسالة على النبوة فقط ضرورة ضم الرسالة اليها واراد المصنف بالرسول ما يعم النبيّ على القول بانهما مترادفان لكنه مخالف لما عليه الجمهور كما قدمنا والاملاك جمع ملك كسفر

واسفار او جمع مألك بهمزة قبل اللام من الالوكة وهي الرسالة ثم أخرت الهمزة عن اللام وحذفت تخفيفا لكثرة الاستعمال ويجمع على ملائك برد الهمزة ويلحقه زيادة التاء فيقال ملائكة وبه ورد القرآن الكريم وهم باتفاق العقلاء ذوات موجودة قائمة بانفسها واختلف في حقيقتهم فذهب جمهور المسلمين الى انهم اجسام لطيفة نورانية تظهر في صور مختلفة وتقوى على افعال شاقة لا يوصفون بانوثة ولا بذكورة وهم قسمان قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الخلّاق كما وصفهم الله بقوله (**يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ** * الأنبياء: ٢٠) والقسم الثاني شأنهم تدبير الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي (**لاَ يَعْصُونَ الله مَا اَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** * التحريم: ٦) وهم المدبرات امرا وهؤلاء منهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل ذكره في الطوالع وقد جاء في صفتهم من الاحاديث ما يدل على عظمهم روي انه عليه السلام قال (**اتاني ملك لم يترل الارض قبلها قط برسالة من ربي فوضع رجله فوق سماء الدنيا ورجله الاخرى ثابتة في الارض لم ير قبلها**) وورد (**أن لله ملكا يملأ ثلث الكون وملكا يملأ ثلثيه وملكا يملأ الكون**) وقد ورد في عظمهم ما هو فوق ذلك فان قيل اذا ملأ احدهم الكون اين يكون الآخر اجيب بانهم انوار والانوار لا تتزاحم الا ترى انه لو وضع سراج في بيت ملأه نورا فلو اتيت بعده بالف سراج وسع البيت انوارها كلها ذكره ابن عطاء[١] عن شيخه المرسي واخرج الترمذي وابن ماجه والبزار من حديث ابي ذر رضي الله عنه مرفوعا (**اَطَّتِ السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الاّ وعليه ملك ساجد**) الحديث واخرج الطبراني من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا (**ما في السموات موضع قدم ولا شبر ولا كف الاّ وفيه ملك قائم او راكع**) وللطبراني ايضا نحوه من حديث عائشة رضي الله عنها وذكر في ربيع الابرار عن سعيد بن المسيب قال الملائكة ليسوا ذكورا ولا

---

(١) ابن عطاء الله أحمد تاج الدين المالكي الشاذلي الاسكندري توفي سنة ٧٠٩ هـ. [١٣٠٩ م.] في القاهرة

اناثا ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون واما ما وقع من قصة الاكل من الشجرة انها شجرة الخلد يأكل منها الملائكة فليس بثابت وفي هذا وما ورد من القرآن رد على من انكر وجود الملائكة من الملاحدة والاشبه ما قال الحليمي[١] انهم لا يكتب لهم عمل اذ الملك هو الذي يكتب فيحتاج كل ملك الى آخر فيتسلسل ولا يحاسبون ايضا اذ لا سيئات لهم وسيأتي تفصيله واما الاثابة فقيل يثابون برفع التكليف عنهم ويحتمل ان يكون لهم وراء رفع التكليف نعمة اعدها لهم ولا تبلغها عقولنا فان الله تعالى يقول (**اعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**) وذكر القرطبي في تفسير سورة القدر ان الروح طائفة من الملائكة جعلوا حفظة على غيرهم وقول المصنف رحمه الله كرام اي اعزاء على ربهم او عن المعاصي فهو صفة للملائكة كما قيل ولا ينافي كون الرسل عليهم السلام مكرمين ايضا بل اكرم والاظهر ان يكون صفة لكل منهما وقوله **بالنوال** بالنون متعلق بالكرام واراد به العطاء والنصيب من الانعام اي مراتب النعم التي انعم الله تعالى بها عليهم.

(**الإعراب**): الواو عاطفة الجملة على الجملة التي قبلها وفرض لازم يصح ان يكون مبتدأ لوجود المسوغ وتصديق رسل خبره ويصح عكسه وهو الانسب للمحل والاملاك بالجر عطف على رسل وكرام نعت لهما او للثاني ونعت الاول مقدر اي تصديق رسل كرام وتصديق املاك كرام فيكون من قبيل الاحتباك وبالنوال متعلق بكرام اي مكرمين بانعام الله تعالى عليهم بتلك المراتب.

(**وحاصل معنى البيت**): انه يجب على المكلف تصديق كل رسل فيما جاء به من عند الله ربه جلّ وعلا تصديقا بالغا حد الجزم والقطع بالقلب واللسان اذ تصديق البعض دون البعض تكذيب للجميع وهو كفر وقد قال تعالى في مقام الذم

---

(١) حسين الحليمي الجرجاني الشافعي توفي سنة ٤٠٣ هـ. [١٠١٣ م.]

والتوبيخ على من انكر البعض (**وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ** * النساء: ١٥٠) لكن لا يجب العلم بهم تفصيلا وان ورد في مسند احمد ان عدة الانبياء عليهم السلام مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بل نؤمن بهم كم كانوا لكن يجب العلم ببعضهم تفصيلا كآدم ومحمد عليهما السلام فان الله تعالى ارسلهم الى الخلق لهدايتهم الى طريق الحق وتكميل معايشهم ومعادهم فضلا منه لا وجوبا عليه تعالى وانهم صادقون في جميع ما اخبروا عن الله تعالى وبلغوا عنه كما امروا وبينوا للمكلفين ما امروا ببيانه وانه يجب احترامهم وتعظيمهم وان لا نفرق بين احد منهم وان ارسالهم رحمة من الله وفضلا وحكمة وعدلا فانه تعالى لما خلق الجنة للمؤمنين والنار للكافرين واعد فيهما من الثواب والعقاب وتفاصيل احوالهما وطريق الوصول الى الاول والاحتراز عن الثاني لا يستقل به العقل وكذا خلق الاجسام النافعة والضارة و لم يجعل للعقول والحواس الاستقلال بمعرفتها وكذا جعل القضايا منها ما هي ممكنات لا طريق للجزم باحد جانبيه ومنها ما هي واجبات او ممتنعات لا تظهر للعقل الاّ بنظر دائم وبحث كامل بحيث لو اشتغل الانسان لتعاطي اكثر مصالحه فكان من فضل الله تعالى ورحمته ارسال الرسل لبيان ذلك كما قال الله تعالى (**وَمَآ اَرْسَلْنَاكَ اِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** * الأنبياء: ١٠٧) (**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** * النساء: ١٦٥) (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** * الإسراء: ١٥) فيكونون وسائط بين الحق والخلق قال شارح وقال السمنية والبراهمة ارسال الرسل محال لانه لو اتى بما يقتضي العقل ففي العقل غنية عنه ولو اتى بخلاف مقتضى العقل فالعقل يرده ويحيله قلنا ان الرسل يأتي بما يقصر العقل عن دركه اذ قضايا العقل ثلاثة اقسام واجب وممتنع وجائز والعقل يحكم بالواجب والممتنع ولكن يتوقف في الجائز فلا يحكم فيه بشئ الاّ بعد ان يقف على ان ذلك مما يتعلق به عاقبة حميدة او ذميمة وذلك لا يصح الاّ ببيان الرسول لانه الواقف من الله تعالى على عواقب الامور فلا نسلم حينئذ ان في العقل غنية عن اتيان الرسول ويجوز ان يكون تيسيرا للامر للعاقل

لئلا تتعطل اكثر مصالحه بملازمة التفكر والبحث الكامل في ادراك المقصود فيكون التنبه منه على ذلك بواسطة الرسول.

تنبيه: قدم المصنف رحمه الله الرسل على الملائكة اشارة الى القول الاصح من انهم افضل من الملائكة مطلقا وقد ذكروا في الافضلية طرقا الاولى طريقة ابن الحاجب[١] وجماعة من الاشاعرة واهل الحديث والتصوف انهم افضل من الملائكة العلوية والسفلية وعلى هذا جمهور اهل السنة لقوله تعالى (**اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ اِبْرٰهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** * آل عمران: ٣٣) والملائكة من جملة العالمين وان الملائكة ولو غير العلوية افضل من غير الانبياء من البشر ولو كان وليا كابي بكر وعمر رضي الله عنهما ويقابله قول بعض من اهل السنة كالباقلاني والحليمي بافضلية الملائكة العلوية والسفلية على الانبياء اي ما عدا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه افضل من الملائكة اجماعا والمراد اجماع من يعتد باجماعهم وما وقع في الكشاف في تفسير قوله تعالى (**اِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** * الحاقة: ٤٠) من افضلية جبرائيل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو فرية اعتزالية الثانية طريقة الاوحدي والبيضاوي[٢] في قصر الخلاف على الملائكة العلوية واما السفلية فلا خلاف في ان الانبياء افضل منهم لقوله تعالى (**يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْاَرْضِ** * الشورى: ٥) وقوله تعالى (**وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** * المؤمن: ٧) الثالثة طريقة الامام الماتريدي وهي الراجحة عندنا ان خواص البشر وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة كجبرائيل وميكائيل وخواص الملائكة افضل من عامة البشر والمراد بهم الصلحاء كالامام ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعامة البشر افضل من عامة الملائكة وهم غير المرسل منهم كحملة العرش والكروبيين وافضل الملائكة جبرائيل عليه السلام كما جزم به المحققون وقال بعضهم اسرافيل عليه السلام وسيأتي تمامه ان شاء الله تعالى.

---

(١) ابن الحاجب عثمان المالكي توفي سنة ٦٤٦ هـ. [١٢٤٨ م.]

(٢) القاضي عبد الله البيضاوي توفي سنة ٦٨٥ هـ. [١٢٨٦ م.] في تبريز

قال الناظم رحمه الله:

٢٤ وَخَتْمُ الرُّسْلِ بِالصَّدْرِ الْمُعَلَّى * نَبِيٌّ هَاشِمِيٌّ ذِي جَمَالِ

الختم مصدر ختمت الشئ ختما اي طبعت على آخره ثم استعمل في اتمام كل شئ وخاتم كل شئ آخره وخاتم الانبياء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واراد المصنف هنا ان الله تعالى ختم الرسل بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا نبي بعده كما نطق به الكتاب والسنة ولا يعارضه نزول عيسى عليه السلام لانه يكون خليفة في الحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيكون على دينه كما سيأتي **والصدر** في الاصل هو العضو المعروف في الانسان استعير له صلى الله عليه وسلم اذ صدر كل شئ اشرفه قيل خص به لقوله تعالى (**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**) وفيه اشارة الى انه اول الرسل وجودا كما انه آخرهم شهودا على ما ورد (**اول ما خلق الله نوري او روحي وكنت نبيا وآدم بين الماء والطين**) **والمعلّى** اسم مفعول اي الذي علاّه الله ورفع مقامه على سائر المخلوقين حسا ومعنى **والهاشمي** نسبة الى جده هاشم سمّي بذلك لانه اول من هشم الثريد[١] لقريش بمكة وقيل غير ذلك وكان اسمه عمر العلا بن عبد مناف بن قصي وكان قصي يدعى مجمّعا وفيه يقول الشاعر:

ابوه قصيّ كان يدعى مجمّعا * به جمع الله القبائل من فهر

(**الإعراب**): وختم يصح ان يكون بالجر عطفا على رسل اي وتصديق بكون ختم الرسل بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالصدر متعلق بختم ويصح ان يكون بالرفع مبتدأ مضافا الى الرسلِ وبالصدر خبره والمعلى نعت للصدر ونبي بالجر بدل من الصدر او بالرفع خبر مبتدأ محذوف وهو فعيل بمعنى مفعول ان كان من النبوة بفتح النون وسكون الباء الموحدة اي الرفعة لان النبي رفعت رتبته او بمعنى فاعل ان كان من النبأ اي الخبر لانه مخبر من الله تعالى فاصله الهمزة الاّ انهم تركوها في النبي

(١) هشم الثريد لقومه اي كسر الخبز وفتّه وبلّه بالمرق فجعله ثريدا. المنجد

كما تركوا في الذرية.

(وحاصل معنى البيت): انه يجب على المكلف ان يعتقد ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين وانه لا نبي بعده لقوله تعالى (**وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** * الأحزاب: ٤٠) وقوله عليه السلام (**لا نبي بعدي**) ولا يمكن الاستدلال ههنا بالعقل لتجويزه ارساله تعالى رسلا آخر معهم الكتاب المترل من عنده سوى القرآن والاّ لاوهم عجزه تعالى وهو محال فالدليل على ذلك سمعيّ لا عقليّ فافهم.

تنبيه: وجوب الايمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب محبته وتعظيمه واحترامه خصوصا لا ينفي وجوب ذلك علينا لسائر الانبياء عليهم السلام وانهم لصادقون فيما جاؤا به من عند الله تعالى مبلغون كما امروا مع اعتقاد ان افضلهم واكرمهم على الله تعالى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان شريعته نسخت جميع شرائعهم ولكن لا يجب تعيين عددهم وان ورد في بعض الاحاديث كما قدمنا لقوله تعالى (**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ** * المؤمن: ٧٨) ولانه لا يؤمَن في تعيين عددهم من ان يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج من هو فيهم بل نؤمن بهم كم كانوا وان اولهم آدم وآخرهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين قال الشيخ عز الدين[١] بن عبد السلام بعد ما قرر ان خواص البشر افضل من الملائكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من الانبياء فقد ساد ساداتِ الملائكة فصار افضل من الملائكة بدرجتين واعلى منهم بمرتبتين لا يُعْلَمُ قدرُ تلك المرتبتين وشرفُ تلك الدرجتين الاّ من خاتم النبيين وسيد المرسلين المفضل على جميع العالمين وانما كان صلى الله عليه وسلم لجمعية استعداده وكلية فؤاده لانه صلى الله عليه وسلم مظهر الاسم الاعظم الجامع لجميع الاسماء والصفات والحائز لجملة الكمالات وحقيقته ليست الاّ الروح الالهي الّذي هو اول المبدعات واصل سائر الموجودات

---

(١) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي توفي سنة ٦٦٠ هـ. [١٢٦٢ م.]

عليه افضل الصلوات واكمل التسليمات.

قال الناظم رحمه الله:

٢٥ اِمَامُ ٱلاَنْبِيَاءِ بِلاَ اخْتِلاَفٍ * وَتَاجُ ٱلاَصْفِيَاءِ بِلاَ اخْتِلاَلِ

الامام هو المقتدى به اما حسا كإمام الصلاة او معنى كالعالم والسلطان ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد جمع بينهما في الانبياء عليهم السلام اما الاول فقوله عليه السلام (**ليلة اسري بي جمعت لي النبيون واذن جبرائيل واقام وصليت بهم فصلى خلفي الملائكة وارواح الانبياء**) وخبر انه صلى بهم ركعتين ببيت المقدس قبل عروجه الى السماء واما الثاني فقوله عليه السلام: (**ما من نبيّ آدم فمن سواه الاّ تحت لوائي يوم القيامة**) والاختلاف ضد الاتفاق وحقيقته في الاحكام وقد يكون رحمة وقد يكون ظلمة والثاني كاختلاف المعتزلة والاول كما في حديث رواه الاصوليون والفقهاء لا يُعْرَفُ مَنْ خرّجه وانما نقله ابن الاثير[١]: (**اختلاف امّتي رحمة**) **والتاج** الزينة التي توضع على الرأس وهي اشرف انواع الحلي لشرف محلها ولذا شبه به صلى الله عليه وسلم **والاصفياء** جمع صفيّ مأخوذ من الصفوة وهي الخلوص من شوائب الكدورات وصفوة كل شئ احسنه والمراد بهم الصافون عن الكدورات النفسية الموصوفون بالحالات القدسية والمقامات الانسية او الذين اصطفاهم الله تعالى اي اختارهم من جميع المخلوقين وفضلهم على جميع العالمين فهم صفوة البشر اذ البشر اربعة اقسام: كامل مكمل اكمل وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وكامل مكمل وهم بقية الانبياء عليهم السلام وكامل غير مكمل وهم الاولياء والصالحون ولا كامل وغير مكمل وهم من عداهم والاختلال افتعال من الخلل بمعنى انه صلى الله عليه وسلم تاج الانبياء حقا يقينا لا خلاف ولا اختلال في هذا القول بين اهل السنة والجماعة.

---

(١) ابن الاثير عز الدين علي الجزري توفي سنة ٦٣٠ هـ. [١٢٣٣ م.] في الموصل

(الإعراب): امام بالجر مضاف الى الانبياء صفة لنبي في البيت السابق او بالرفع خبر مبتدأ محذوف وبلا اختلاف في محل رفع خبر مبتدأ محذوف اي وذلك بلا اختلاف واعراب المصراع الثاني كاعراب الاول على الاحتمالين سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

(وحاصل معنى البيت): انه يجب اعتقاد ان نبينا صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء والمرسلين والخلائق اجمعين اما فضله على الانبياء فلقوله تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) ولا شك ان خيرية الامة على غيرها من الامم انما هو بحسب اكمليتهم في الدين وهي تابعة لاكملية نبيهم الذي يتّبعونه والاستدلال بقوله صلى الله عليه وسلم (**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**) لا يفيد تصريحه انه افضل من آدم اذ لا يفيد افضليته عليه بل على اولاده وانما يفيده قوله عليه السلام (**أنا سيد الناس يوم القيامة**) زاد في مسند احمد (**ولا فخر**) وقوله عليه السلام (**أنا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر**) اي ولا فخر اعظم من ذلك وقوله عليه السلام (**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**[١] **وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبيّ آدم فمن سواه الاّ تحت لوائي يوم القيامة**) فمن آخر هذا وصريح الاولين علمت افضليته على آدم وقوله (**أنا سيد ولد آدم**) اما للتأدب مع آدم او لانه علم فضل بعض بنيه عليه كابراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم افضل من ابراهيم عليه السلام فاذا فضل نبينا الافضلَ من آدم فقد فضل على آدم بالاولى ولفظ ولد في الحديث يشمل الواحد والجماعة فاندفع ما قيل انه لا يقتضي العموم الاّ لو قيل اولاد وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء عليهم السلام واما حديث الصحيحين (**لا تخيروني على موسى وما ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى**) فمحمول على التواضع او على انه قبل ان يعلم انه افضل الخلق او ان النهي محمول على النهي عن تفضيل يؤدي الى تنقيص بعضهم

---

(١) اي اقول ذلك شكرا لا فخرا ولا اقوله تكبرا وتفاخرا وتعاظما. المناوي

فانه كفر او عن تفضيل في نفس النبوّة التي لا تفاوت فيها والتفاوت انما هو في مراتب الكمال وكمال الصفات والاعمال حكي عن ابي المعالي انه سئل في مجلسه عن الدليل على ان الله تعالى لا يوصف بالجهة ولا بحدودها فقال نعم قوله صلى الله عليه وسلم **(لا تفضلوني على يونس بن متى)** فقال السائل اني اريد ان اعرف وجه الدليل فقال ان الله تعالى اسرى بعبده الى فوق سبع سموات حتى سمع صرير الاقلام فلم يكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في علو مكان باقرب الى الله تعالى من يونس في بعد مكانه فان الله تعالى لا يتقرب اليه بالأجرام والاجسام وانما يتقرب اليه باحسن الاعمال انتهى ولا شك انه صلى الله عليه وسلم لم يدانه احد من الخلق في استجماع جميع الكمالات لما تواتر من احواله قبل النبوة وحال الدعوة وبعد تمامها ولا في اخلاقه العظيمة واحكامه الحكيمة واقدامه من حين تهجّم به الابطال وولوعه وتمسكّه بعصمة الله تعالى في جميع الاحوال وثباته على حالة واحدة لدى الوقائع والاهوال بحيث لم يجد اعداؤه مع شدة عداوتهم وحرصهم على الطعن فيه مطعنا ولا الى القدح فيه سبيلا مع الاستمرار فيه على ذلك ثلاثة وعشرين سنة حتى اظهر الله دينه على سائر الاديان ونصره على اعدائه واحيا آثاره بعد موته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ببقاء شريعته وقد ادعى ذلك الامر العظيم بين اظهر قوم لا كتاب لهم ولا حكم معهم وبين لهم الكتاب والحكمة وعلّمهم الاحكام والشرائع واتم لهم مكارم الاخلاق الجميلة واكمل كثيرا من الناس في الفضائل العلمية والعملية ونَوَّرَ العالم بالايمان ونُورِ التوحيد والعمل الصالح واظهر الله دينه على الدين كله كما وعده ونسخ بشريعته سائر الشرائع الى غير ذلك مما لا يحصره العد والعقل يجزم بامتناع اجتماع هذا المجموع في غيره من المخلوقين فهو افضل المخلوقين وحبيب ربّ العالمين والحبيب فوق الخليل على الراجح لخبر البيهقي[1]: إنّ الله تعالى قال ليلة

(1) أحمد البيهقي الشافعي توفي سنة ٤٥٨ هـ. [١٠٦٦ م.] في نيشابور

الاسراء (**يا محمد سَلْ تُعْطَ فقال يا ربّ إنّك اتّخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكلما فقال الم اعطك خيرا من هذا**) الى قوله (**واتخذتك حبيبا**) او ما في معناه ولان الحبيب وصل بلا واسطة بخلاف الخليل وقال تعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ اَوْ اَدْنَى** * النجم: ٩) وقال في حق الخليل: (**وَكَذَلِكَ نُرِي اِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَٱلاَرْضِ** * الأنعام: ٧٥) والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له (**يَوْمَ لاَ يُخْزِي الله النَّبِىَّ** * التحريم: ٨) والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له (**يَآ اَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ** * الأنفال: ٦٤) على انه صلى الله عليه وسلم يوصف بالخليل ايضا كما يوصف بالحبيب وابراهيم عليه السلام يوصف ايضا بالحبيب قال بعض المحققين وما يظن من الاستدلال بما ذكر اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالحبيب واختصاص ابراهيم عليه السلام بالخليل فهو غلط وجهل وانما المفهوم من تفضيل ذات محمد على ذات ابراهيم عليهما السلام مع قطع النظر عن وصف المحبة والخلة وهذا لا نزاع فيه وانما النزاع في الافضلية المستندة الى احد الوصفين والذي قامت عليه الادلة استنادها الى وصف الخلة الموجودة في كل من الخلتين فخلة كل منهما افضل من محبته واختصاصها بهما عليهما السلام لتوفر معناها فيهما اكثر من بقية الانبياء اذ هي من الخلة بالضم وهي صفاء المودة ولكون هذا التوفر في نبينا اكثر منه في ابراهيم كانت خلته ارفع من خلة ابراهيم عليه السلام ذكره ابن القيم[١] ففيه دلالة على ثبوت وصف الخلة والمحبة لكل منهما ويلي محمدا في الافضلية ابراهيم عليه السلام ونقل بعضهم الاجماع على ذلك لخبر الصحيحين (**خير البرية**) خص منه محمد صلى الله عليه وسلم فبقى على عمومه فموسى وعيسى ونوح عليهم السلام الثلاثة بعد ابراهيم ولم يرد التفضل بينهم فيجب الكف عنه وهم أي الخمسة اولوا العزم من الرسل المذكورون في سورة الاحقاف اي اصحاب

---

(١) محمد ابن القيم الجوزية الحنبلي توفي سنة ٧٥١ هـ. [١٣٥٠ م.]

الجد والاجتهاد وسائر الانبياء بعد الخمسة افضل من غيرهم على تفاوت في درجاتهم بما خص به كل منهم من غير النبوة فهم فيها سواء ومن الملائكة كما قدمنا قال شارح وخواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام افضل من خواص الملائكة وخواص الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والمقربون والكروبيون افضل من عوام بني آدم وعوام بني آدم وهم الاتقياء افضل من عوام الملائكة وعوام الملائكة افضل من فسقة البشر دليلنا قوله تعالى (**وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا اِلاَّ اِبْلِيسَ** * البقرة: ٣٤) والمسجود له افضل من الساجد فاذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام على العوام، وعوام الملائكة خدام اهل الجنة والمخدوم افضل من الخادم الاّ ان الفساق عصاة فلا يكونون افضل من الملائكة المبرئين عن المعاصي والذنوب ولا يرد ابليس وكفره وقد كان من الملائكة بدليل صحة استثنائه منهم في قوله تعالى (**فَسَجَدُوا اِلاَّ اِبْلِيسَ**) لانه لم يكن من الملائكة حقيقة بل كان جنيا مستورا بينهم لكنه لما كان من الملائكة في صفتهم من العبادة ورفعة القدر وغير ذلك صح استثناؤه منهم تغليبا واما هاروت وماروت فالاصح انهما ملكا لم يصدر عنهما كفر ولا كبيرة وتعذيبهما انما هو على وجه المعاتبة وكانا يعظان الناس ويعلمان السحر ويقولان انما نحن فتنة فلا تكفر ولا كفر في تعليم السحر بل في اعتقاده والعمل به فافهم.

قال الناظم رحمه الله:

٢٦ وَبَاقٍ شَرْعُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ * اِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَارْتِحَالِ

باق كقاض اسم فاعل من البقاء بمعنى الدوام **والشرع** شرعا وضع الهي لما يتعرف العباد منه احكام عقائدهم وافعالهم واقوالهم يترتب عليه صلاحهم في الدارين فذلك الموضوع بالوضع الالهي هو الشريعة وهي فعيلة بمعنى مفعولة ويطلق الشرع ايضا بهذا المعنى على ذلك الموضوع من اطلاق المصدر على اسم المفعول كما هو المراد ههنا واصل معنى الشرع الاظهار من شرع اذا اظهر ومنه الشريعة للطريقة

الظاهر المسلوك فالمناسبة بين المنقول منه والمنقول اليه ظاهرة **والشريعة والملة والدين** الفاظ مترادفة **ويوم القيامة** هو المشهود سمي به لان الناس يقومون فيه لرب العالمين فيشهدون اعمالهم وما وعدوه من خير او شر روي انهم يقومون فيه ثلاثمائة سنة لا يأتيهم فيها خبر وعن ابي سعيد الخدري انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وورد في الحديث (**حساب امتي كركعتي الفجر**) وقيل سمي به لان الناس يقومون فيه من قبورهم **والارتحال** من الرحلة بالكسر وهي الانتقال من مكان الى آخر ومنه (**رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ** * قريش: ٢) والمراد هنا الرحلة الكبرى وهي انتقال الناس من الدنيا الى الآخرة.

(**الإعراب**): باق خبر مقدم وشرعه مبتدأ مؤخر وفي كل وقت متعلق بالخبر وهو كالتأكيد اذ يلزم من بقائه ممتدا الى يوم القيامة بقاؤه في كل وقت اذ قوله الى يوم القيامة غاية لبقاء شرعه وارتحال عطف على القيامة او على يوم القيامة عطف تفسير اي والى يوم ارتحال لقوله عليه السلام (**القبر اول مترل من منازل الآخرة**).

(**وحاصل معنى البيت**): ان شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم باقية على الدوام مستمرة الى يوم القيامة ولا يرد نزول عيسى عليه السلام كما قدمنا وسيأتي وهذا من اعظم خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم فان شريعته نسخت جميع الشرائع مع استمرارها الى يوم القيامة وما خص به صلى الله عليه وسلم في ذاته وصفاته وافعاله واحواله وشريعته وامته يكاد ان لا يحصى وقد جمع بعضهم في مؤلف على حدة لا يسعه هذا المختصر كانشقاق القمر ومجئ الشجر وتسبيح الحصا وكلام البهائم ونبع الماء بين اصابعه الشريفة والمعراج ورؤية ربه في الدنيا كما سيأتي وغير ذلك وكذا ما نقل من اوصاف حليته ولطف خلقته ومحاسن صورته ومكارم اخلاقه وجميل مكارمه وافعاله وصفاته وهذه وان يشاركه في بعضها غيره من الانبياء عليهم السلام الاّ انّه لم تجتمع جميعها في احد قط لا قبله ولا بعده وقد روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان كلما نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم في صغره وتأمل في

اوصافه يقول ما خلق هذا الاّ لامر عظيم فلما دعاه الى الاسلام قال هذا الذي كنت ارجو منك حتى في اسمه عليه السلام كما قال مادحه بيت:

وشق له من اسمه كي يجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وقرن اسمه باسمه في كلمة الشهادة: لا اله الاّ الله محمد رسول الله ورفع ذكره بقوله تعالى (**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** * الإنشراح: ٤) وكمال رفع ذكره استمراره الى يوم القيامة وذلك ببقاء شريعته المؤيدة بالقرآن الكريم الذي (**لاَ يَاْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ** * فصلت: ٤٢) الدال على صدق دعواه فيما جاء به من عند الله المرشد الى الايمان في كل وقت وزمان فهو من اعظم خصائصه عليه السلام واما من قبله من الانبياء عليهم السلام فخصه الله من المعجزات بما يثبت به دعواه بحسب زمانه فاذا انقضى زمانه انقضت معجزاته كقلب العصا حية واخراج اليد بيضاء في زمن موسى عليه السلام لان الغلبة فيه كانت بالسحر فاتاهم بما هو فوق ذلك وفي زمن سليمان عليه السلام كانت بالملك فاتاهم بملك لم ينله غيره وفي زمن عيسى عليه السلام كانت بالطب فاتاهم بما هو ابهر منه اعني احياء الموتى وفي حديث البخاري (**ما من نبيّ الاّ اعطي ما بمثله آمن عليه البشر وانّما كان الّذي اوتيته وحيا اوحاه الله تعالى اليّ**) وفي معناه قولان غير متنافيين يرجع حاصلهما الى ان معجزات الانبياء عليهم السلام انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصاه وناقة صالح فلم يشاهدها الاّ من حضرها ومعجزة تشاهد بالبصيرة فيشاهدها كل من جاء بعد الاول وانما كان اكثر معجزات الامم السابقة حسية لبلادتهم واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وشدة افهامهم والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

٢٧ وَحَقٌّ اَمْرُ مِعْرَاجٍ وَصِدْقٍ * فَفِيهِ نَصُّ اَخْبَارٍ عَوَالِ

الحق: الثابت من حق الشئ اذا ثبت والحق معرفا من اسمائه تعالى الحسنى وله اطلاقات كثيرة فيطلق على الديون والمطالبات وعلى الامر العظيم الشأن ومنه حق

فَجَأَهُ الحق وهو بغار حراء وعلى الحكم المطابق للواقع وعلى العقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك وعلى الاعيان الثابتة نحو الجنة حق والنار حق بمعنى ثابتة الوجود وعلى الافعال الصابية وعلى الاقوال الصادقة وهو المراد ههنا ويحتمل المعنيين الاخيرين ايضا اي القول بالعروج حق او عروجه عليه السلام **امر** حق او المعنى: اعتقاد امر المعراج واجب **والمعراج** مفعال بكسر الميم من العروج وهو الصعود الى الاعلى ويجمع على معارج وبه ورد التنزيل ويجمع ايضا على معاريج كمفاتيح ومفتاح قال تعالى (**ذُو الْمَعَارِجِ**) وقال (**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ** * الأنعام: ٥٩) المعارج المصاعد اي الدرجات يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يرتقي فيها المؤمنون في سلوكهم الى دار ثوابهم وان الملائكة يعرجون فيها كما قال الله تعالى (**تَعْرُجُ الْمَلَئِكَةُ وَالرُّوحُ اِلَيْهِ** * المعارج: ٤) **والصدق** ضد الكذب وقد شاع استعماله في الاقوال فقط فهو اخص من الحق لما قدمنا **والنص** مصدر بمعنى المنصوص تقول نصصت الحديث الى فلان اي رفعته اليه واما اصطلاحا فهو اللفظ الدال في محل النطق على معنى لا يحتمل غيره ممن يعتد به **والاخبار** بفتح الهمزة جمع خبر وهو ما احتمل الصدق والكذب لذاته من حيث هو خبر وان قطع باحدهما الامر الخارج كما قدمنا وعند البيانيين ما يحصل مدلوله في الخارج بعين الكلام الاول اي ما له خارج صدق او كذب وليس بينهما واسطة خلافا للجاحظ.

(**الإعراب**): حق خبر مقدم وامر معراج مبتدأ مؤخر وصدق عطف على حق وقوله ففيه الفاء تعليلية والجار والمجرور في محل الرفع خبر مقدم والضمير راجع الى معراج ونص مبتدأ مؤخر مضاف الى اخبار وعوال كغواش جمع عال نعت اخبار.

(**وحاصل معنى البيت**): انه يجب اعتقاد ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عرج بروحه وجسده يقظة بعد ان اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى من بيت المقدس الى السموات العلى الى السدرة المنتهى الى حيث شاء الله تعالى وكلمه ربه فسمع كلامه ورآه بعين رأسه على ما عليه جماهير العلماء ومن انكر هذا

يكون مبتدعا ومن انكر الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى يكون كافرا لثبوته بالدليل القطعي قال تعالى (**سُبْحَانَ الَّذِي اَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** * الإسراء: ١) وهي التي رآها ليلة الاسراء من العجائب ولقاء الانبياء عليهم السلام وصلاته بهم وبالملائكة وغير ذلك وقد تواردت الروايات بشق صدره ليلة الاسراء حين جاء به جبرائيل بالبراق ففي البخاري وغيره انه شق قلبه فيها وهو بالمسجد قبل ان يخرج به الى ركوب البراق وروي الشق ايضا مرة عند حليمة وهو ابن سنتين وشهرين او ثلاثة وروي ايضا اخرى وهو ابن عشر سنين او نحوها فيما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه وروي ايضا اخرى عند مجئ جبرائيل اليه بالوحي وهو بغار حِراء رواه ابو نعيم[١] وروي خامسة ولم تثبت وآخرها كان ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ونصف وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه ببصره وفي اخرى انه رآه بقلبه قال بعض المحققين ولا مخالفة بين الروايتين لانه صح عنه كما رواه الطبراني باسناد رجاله انه عليه السلام رأى ربه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه خلق فيها ادراك البصر وانكار عائشة رضي الله عنها الرؤية بالبصر فيهما رواه مسلم عنها وهو ان مسروقا قال لها لما انكرت الرؤيا الم يقل الله (**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً اُخْرَى** * **عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى** * النجم: ١٣-١٤) فقالت انا اول من سئل عن هذه الآية سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال (**لا انما رأيت جبرائيل**) لانها انما سئلت عما في الآية فاجاب بها عليه السلام بانه لم يره في قصة الآية وهي غير قصة المعراج وهذا الذي اختاره جماعة من المحققين كابن حجر[٢] والنسفي في عقائده وغيرهما وصحح السعد رحمه الله انه انما رأى ربه بفؤاده لا بعينه قال في شرح العقائد عند قول المصنف رحمه الله والمعراج لرسول الله صلى الله عليه

---

(١) ابو نعيم احمد الاصفهاني الشافعي توفي سنة ٤٣٠ هـ. [١٠٣٩ م.]

(٢) أحمد ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي توفي سنة ٩٧٤ هـ. [١٥٦٧ م.] في مكة المكرمة زادها الله شرفا

وسلم في اليقظة بشخصه الى السماء ثم الى ما شاء الله حق اي ثابت بالخبر المشهور حتى ان منكره يكون مبتدعا وانكاره وادعاء استحالته انما يترتب على اصول الفلاسفة والاّ فالخرق والالتيام جائز عندنا والاجسام متماثلة يصح على ما يصح على الآخر والله تعالى قادر على الممكنات كلها فقوله في اليقظة اشارة الى الرد على من زعم ان المعراج كان في المنام على ما روي عن معاوية رضي الله انه سئل عن المعراج فقال كانت رؤيا صالحة وروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد قال تعالى (**وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي اَرَيْنَاكَ الاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ** * الإسراء: ٦٠) واجيب بان المراد الرؤيا بالعين والمعنى ما فقد جسد محمد عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج للروح والجسد معا وقوله بشخصه اشارة الى الرد على ما زعم انه كان للروح فقط ولا يخفى ان المعراج في المنام او بالروح ليس مما ينكر كل الانكار والكفرة انكروا امر المعراج غاية الانكار بل كثير من المسلمين قد ارتدوا بسبب ذلك وقوله الى السماء اشارة الى الرد على من زعم ان المعراج في اليقظة لم يكن الاّ لبيت المقدس علي ما نطق به الكتاب وقوله ثم الى ما شاء الله اشارة الى اختلاف السلف فقيل الى الجنة وقيل الى العرش وقيل الى طرف العالم فالاسراء وهو من المسجد الحرام الى البيت المقدس قطعي ثبت بقوله تعالى (**سُبْحَانَ الَّذِي اَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً**) والمعراج من الارض الى السماء مشهور والى سماء الجنة او العرش او غير ذلك آحاد ثم الصحيح انه عليه السلام انما رأى ربه بفؤاده لا بعينه انتهى فتأمل فانه مع مفهوم قوله ليس مما ينكر كل الانكار مثل الانكار والله تعالى اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

٢٨ وَاِنَّ الْاَنْبِيَاءَ لَفِي اَمَانٍ * عَنِ الْعِصْيَانِ عَمْدًا وَانْعِزَالِ

العصيان اتيان الذنب عمدا والزلة اتيان الذنب سهوا والعاصي من اتى الكبائر عمدا طائعا والمسئ من اتى الصغائر كذلك ما لم يصر عليها والانبياء عليهم السلام

معصومون عن الكبائر بالاتفاق وعن الصغائر عمدا قبل النبوة وبعدها على الصحيح وكذا عن الانعزال اي الانخلاع عن النبوة لانه يكون نقصا في حقهم وهم مبرؤن عنه وقد امنهم الله بفضله فما فيه خسة لا يصدر عنهم لا عمدا ولا سهوا واما ما ليس فيه خسية ففي صدوره منهم خلاف والذي جزم به ابو اسحاق الاسفرايني وابو الفتح الشهرستاني والقاضي عياض[١] وغيرهم: ان الصغائر لا تصدر عنهم ايضا لا عمدا ولا سهوا وهو الذي ندين الله تعالى به كما في شرح شيخنا ونحن نقول بما قال خلافا لما قال بعض الشراح من انهم غير معصومين عن الصغائر قال لان الله اثبت لهم الشفاعة فلو عصموا عن الصغائر لوقع الضعف في مقام الشفاعة انتهى وفي هذا الاستدلال ما لا يخفى عى ذوي البصائر والحق ان الصغائر لا تقع منهم عمدا واما سهوا فيجوز وقوعها عند جماعة من اهل السنة يعني ما لم يكن فيه خسية كسرقة لقمة قال النكساري واكثر اهل الحق رحمهم الله منعوا الكبائر عمدا كانت او سهوا وجوزوا الصغائر سهوا اي ما لم يكن فيه خسية ثم قال واما ما نقل عنهم فهو اما بسهو او نسيان او محمول على ترك الاولى واشتباه المنهي بالمباح انتهى والى هذا اشار المصنف رحمه الله بقوله عمدا وقد توسع السعد رحمه الله ههنا قال وهذا اشارة الى ان الانبياء معصومون عن الكذب خصوصا فيما يتعلق بامر الشرائع وتبليغ الاحكام وارشاد الامة اما عمدا فبالاجماع واما سهوا فعند الاكثرين وفي عصمتهم عن سائر الذنوب تفصيل وهو انهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالاجماع وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية وانما الخلاف في امتناعه بدليل السمع او العقل واما سهوا فجوّزه الاكثرون واما الصغائر فتجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائي واتباعه وتجوز سهوا بالاتفاق الاّ ما دل على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بجبة لكن المحققون اشترطوا ان ينبهوا عليه فينتهوا عنه هذا كله بعد الوحي

---

(١) المالكي مؤلف كتاب الشفاء توفي سنة ٥٤٤ هـ. [١١٤٩ م.] في مراكش

واما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة انتهى فتأمل ثم قال وذهب بعض المعتزلة الى امتناع الكبيرة لانها توجب النفرة المانعة عن اتباعهم فتفوت مصلحة البعثة انتهى قلت والقول الذي نسبته الى المعتزلة المؤدي الى تقرير عصمتهم اظهر مما قاله فتدبر والله اعلم والحق منع وقوع الكبائر منهم مطلقا ومنع ما يوجب النفرة كقهر الامهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة مطلقا واما ما ليس فيه خسة منها فجوزه بعضهم سهوا كما قدمنا وهذا الذي يجب اعتقاده في حقهم عليهم السلام فافهم ومنع الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة قبل الوحي وبعده مطلقا اذا تقرر هذا فما نقل عن الانبياء عليهم السلام مما يشعر بكذب او معصية فما كان منقولا بطريق الآحاد فمردود وما كان منقولا بطريق التواتر فمصروف عن الظاهر ان امكن والاّ فمحمول على ترك الاولى فليعتقد هذا الكلام في هذا المقام في حق صفوة الانام عليهم الصلاة والسلام وتفصيل ذلك في الكتب المبسوطة في علم الكلام.

(**الإعراب**): ان بكسر الهمزة عطف على حق في البيت المتقدم او مستأنفة او بفتحها عطف على امر معراج وهي حرف مشبهة بالفعل والانبياء اسمها ولفي امان خبرها وعن العصيان متعلق بامان وعمدا منصوب على التمييز او على الحال وانعزال عطف على العصيان.

(**وحاصل معنى البيت**): انه يجب اعتقاد ان الانبياء عليهم السلام كلهم كانوا مؤمنين من اول الفطرة معصومين عن الكبائر عمدا وسهوا قبل البعثة وبعدها وعن الصغائر عمدا وانهم في امان من الانعزال عن مرتبة النبوة والرسالة وانهم كانوا مخبرين عن الله تعالى مبلّغين كما امروا صادقين فيما اخبروا به ناصحين مبشرين لاهل الايمان والطاعة بالجنة والثواب ومنذرين لاهل الكفر والعصيان بالنار والعقاب ومبينين للناس ما يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم وان الله تعالى ايدهم بالمعجزات الناقضات للعادات وأمّنهم من سلب المقامات وعصمهم من الوقوع في المعاصي والسيّئات وهذا بخلاف حال الاولياء فانهم قد تسلب منهم الولاية كما

يسلب الايمان من المؤمن في الخاتمة نسأل الله حسنها وقد سئل الجنيد رحمه الله تعالى[١] هل يزني العارف بالله تعالى فقال وكان امر الله قدرا مقدورا لكن ذكر بعضهم ان من رجع انما رجع من الطريق لا من وصل الى فريق وحقق حق التحقيق كما قال بعض المشايخ الايمان اذا دخل القلب وتمكن حق التمكن امن من السلب واليه يشير قوله تعالى (**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا** * البقرة: ٢٥٦) وما رواه ابو سفيان رضي الله عنه في حديث هرقل وكذا الايمان اذا تخلط بشاشة القلوب لا يسخط ابدا رواه البخاري كما في علي القاري والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

٢٩ وَمَا كَانَتْ نَبِيًّا قَطُّ أُنْثَى * وَلاَ عَبْدٌ وَشَخْصٌ ذُو افْتِعَالِ

يعني ان الانبياء عليهم السلام كلهم كانوا من آدم ذكورا احرارا لانهم اكرم الخلق على الله فلا بد ان يكونوا من افضل انواع المخلوقات وهم بنو آدم كما قال تعالى (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** * الإسراء: ٧٠) وافضلهم الذكور الاحرار وافضلهم المتقون المعصومون عن الكبائر والصغائر وهم الانبياء عليهم السلام فلا رسول من الجن عند جماهير العلماء وامّا قوله تعالى (**اَلَمْ يَاْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ** * الزمر: ٧١) فالمراد من احدكم وهو الاكرم على حد قوله تعالى (**يَخْرُجُ مِنْهُمَا للُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ** * الرحمن: ٢٢) وانما يخرج من احدهما وقوله (**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا** * نوح: ١٦) ولا من الملائكة بالنسبة الى نبينا عليه السلام لانه مرسل اليهم على الاصح عند جمع من المحققين كما يدل عليه خبر مسلم (**وارسلت الى الخلق كافة**) ولا من النساء لانهن ناقصات العقل وقاصرات عن التبليغ وامور النبوة من الخروج الى المحافل والمجامع والتكلم مع كل احد واما مريم وآسية وسارة وهاجر وحواء وام موسى واسمها

---

(١) جنيد البغدادي مريد وخليفة خاله السري السقطي توفي سنة ٢٩٨ هـ. [٩١١ م.] في بغداد

يوخابذ بياء مضمومة فواو ساكنة فخاء معجمة فالف مقصورة فباء موحدة مفتوحة فذال معجمة آخر الحروف بنت لاوى بن يعقوب فلسن انبياء وما صححه القرطبي من نبوة مريم لان الله تعالى اوحى اليها بواسطة جبرائيل كما اوحى الى النبيين وانه ظهر لها ونفخ في درعها وصدّقت بكلمات ربها وانها سبقت السابقين مع الرسل الى الجنة لقوله عليه السلام (**لو اقسمت لبررت ولا يدخل الجنة قبل سابق امتي الاّ بضعة عشر رجلا منهم ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى ومريم ابنت عمران**) الى غير ذلك فقد اجيب عنه بان ذلك كله كان كرامة لها لا معجزة ورؤيتها لجبرائيل كان كما رآه الصحابة رضي الله عنهم اجمعين حين سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام في صفة سائل كما اخبر تعالى بقوله (**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** * مريم: ١٧) وكما رأته عائشة رضي الله عنها في صفة دحية الكلبي ولم يكونوا انبياء فكان كرامة لها ومن انكر كرامات الاولياء زعم ان ما وقعت لها كانت معجزة كزكريا عليه السلام وارهاصا لنبوة ولدها عيسى عليه السلام قال البيضاوي رحمه الله الاجماع على انه لم تتنبأ امرأة لقوله تعالى (**وَمَآ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ الاَّ رِجَالاً نُوحِي اِلَيْهِمْ** * يوسف: ١٠٩) وكذلك لم يكن مملوك نبيا لان المملوك ناقص الحال والتصرف فلا يصلح ان يكون مقتدى للخلائق ورسولا من رب العزة قيل ولان المملوك لا بد ان يجري عليه الكفر غالبا ولو حكما والانبياء مبرؤن عن ذلك وبيع يوسف عليه السلام واطلاقه عليه في قوله تعالى (**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ** * يوسف: ٢٠) انما هو حكاية حالهم باعتبار زعمهم والاّ فهو حر وبيع الحر باطل ولا ذو افتعال اي فعل قبيح كالسحر والكذب لان ذلك من الكبائر والانبياء عليهم السلام مبرؤن عنها كما مر ولانه يلزم منه الكذب في خبر الله تعالى لتصديقه لهم بالمعجزات وقال تعالى (**صدق عبدي في كل ما يبلغ عني**) والكذب على الله تعالى محال.

(**الإعراب**): ما نافية وكان ناقصة والتاء للتأنيث ونبيا خبر كان قدم على

اسمها وهو انثى وقط ظرف زمان مبني على الضم ومعناه الزمان الماضي المنفي على سبيل الاستغراق ولا تستعمل في غير الماضي الاّ شذوذا والعامل فيه كان ولا عبد عطف على اسم كان اي وما كان عبد نبيا وكذا شخص عطف على اسم كان او على عبد وذو بمعنى صاحب مضاف الى افتعال صفة لشخص.

(**وحاصل معنى البيت**): انه يجب اعتقاد ان الانبياء عليهم السلام لم يكن احد منهم انثى ولا عبدا ولا كذابا ولا ساحرا ولا من ارتكب ذنبا لان ذلك كله نقص وهم مبرؤن عن النقائص وافضل خلق الله اجمعين عليهم افضل الصلاة واتم التسليم.

قال الناظم رحمه الله:

٣٠ وَذُو الْقَرْنَيْنِ لَمْ يُعْرَفْ نَبِيًّا * كَذَا لُقْمَانُ فَاحْذَرْ عَنْ جِدَالِ

ذو القرنين هو الاسكندر الرومي صاحب الخضر قيل انه لقب بذلك لانه ملك فارس والروم او المشرق والمغرب او لانه طاف قرني الشمس شرقا وغربا او لانه كان له قرنان اي ضفيرتان او لان اباه سد فرج أمه حال ولادته برجله حتى يتحكم الوقت المطلوب فيه ولادته فيبلغ من الملك ما امله فاثر ذلك في رأسه وصار له كالقرنين من وضع الرجل في وسط رأسه وقيل يحتمل ان يكون وصف بذلك لشجاعته كما يقال للشجاع كبش ينطح اقرانه وقيل غير ذلك وقد اتفقوا على انه كان رجلا مؤمنا صالحا ملكا عادلا وصل المشرق والمغرب ودخل في الظلمة لطلب ماء الحياة (**حَتَّى اِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ** * الكهف: ٨٦) قال البيضاوي ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها فيه كذلك اذ لم يكن في مطمح نظره غير الماء اي ماء الحياة وهو وجد عندها قوما فكانوا كفارا فخيره الله تعالى فيهم بين التعذيب وبين ان يرشدهم ويعلمهم الشرايع قيل وكان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما يلفظه البحر ثم انه لما لم يبلغ مراده توجه الى المشرق (**حَتَّى اِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ** * الكهف: ٩٠) اي الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض ثم توجه (**حَتَّى اِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ** * الكهف: ٣٩) اي الجبلين الذين بنى

بينهما سده وهما جبلا أرمينية وآذربيجان وقيل وهو الصواب جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج ووجد عندها قوما فشكوا اليه تعدي يأجوج ومأجوج وفسادهم في الارض في اموالهم وزروعهم وعرضوا عليه ان يعينوه باموالهم ليسد بينهم وبينهم فاعرض عن اخذ شئ منهم وقال ما مكني فيه ربي من الملك خير مما تبذلون لي ولكن اعينوني بعملة وآلات وآتوني زبر الحديد قيل انه حفر الاساس حتى بلغ المآء وجعله من الصخر والنحاس المذاب ولما ساوى وجه الارض جعل زبر الحديد طاقين بينهما ورفعه كذلك حتى ساوى اعلى الجبلين وملأ بينهما الفحم والحطب ثم وضع المنافيخ حتى صار الجميع نارا ثم صب النحاس فذاب عليهما والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا فلما رآه على تلك الحالة وعلم انه يمنع يأجوج ومأجوج من الخروج قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة جعله دكا مستويا بالارض وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة ويأجوج ومأجوج اخواننا من الابوين على الصحيح من اولاد آدم وحواء وقيل من الاب فقط من مني سقط من آدم على الارض فخلقوا منه والاول هو الصحيح فهم من اولاد يافث بن نوح عليه السلام لما رواه الحاكم عن معاوية رضي الله عنه[١] ان اولاد نوح عليه السلام **سام وحام ويافث** فولد سام العرب وفارس والروم وفي كل هؤلاء خير وولد حام السودان والبربر والقبط وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، ثم ان الاسكندر بعد رجوعه من بناء السد ادركته الوفاة قبل ان يصل الى مملكته قيل انه اوصى امه ان تصنع طعاما وتدعو اليه جميع اهل مملكته وتأمر ان لا يأكل منه من اصيب في عمره فلما وصل اليها ذلك فعلت ودعت الناس وامرتهم كذلك فلم يتقدم احد الى الطعام فسألتهم وقالوا هل في الناس من لم تصبه مصيبة فقالت رحم الله ولدي وعظني حيا

(١) معاوية بن ابي سفيان الصحابي الجليل توفي سنة ٦٠ هـ. [٦٧٩ م.] في الشام

وميتا وقد اختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه وعدله قال ابن جماعة[١] اختلف في نبوته فقيل ليس بنبيّ بل كان ملكا عادلا وهو الحق واختلف ايضا في لقمان فقيل نبي وقيل لا بل هو ولي وهو الحق انتهى ثم اعلم ان الاسكندر اثنان: رومي وهو صاحب الخضر وهو الذي بنى السد كما ذكرنا وهو الذي فيه الخلاف والصحيح عدم نبوته ولا يلزم ثبوتها بخطاب الله تعالى اليه في قوله تعالى (**قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ اِمَّآ اَنْ تُعَذِّبَ وَاِمَّآ اَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا** * الكهف: ٨٦) لاحتمال ذلك ان يكون بالالهام قال البيضاوي رحمه الله ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غير نبي فبالهام او على لسان نبي انتهى وظاهر كلامه انه لم يقطع فيه بشئ واخرج الطبراني ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين فقال (**كان من الروم فاعطي ملكا فصار الى مصر وبنى الاسكندرية**) الحديث وكان على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام قيل إنه حج ماشيا ودخل المسجد الحرام قيل إنه لما دخله اخبر ان فيه ابراهيم الخليل عليه السلام فنزل وقال ما ينبغي أن اركب في بلدة فيها خليل الرحمن فسمع به ابراهيم عليه السلام فخرج الى لقائه فسلم على ابراهيم عليه السلام وصافحه ويقال إنه اول من صافح ولما لم يرد قاطع بنبوته ولا بعدمها بل الاظهر عدمها قال المصنف لم يعرف نبيا ولم يقل ليس بنبيّ لما علم ان نفي النبوة عن نبي كفر كجعل من ليس بنبي نبيا ولذا قال المحققون الاولى ان لا يقتصر في الانبياء على عدد معين لان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم في حقهم بقوله (**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** * المؤمن: ٧٨) فبعضهم لم يذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فعدّ من ليس بنبي نبيا مخالفة للكتاب.

الثاني يوناني وهو صاحب ارسطو وليس الخلاف فيه وكان هذا قريبا من زمن عيسى عليه السلام وبين زمن ابراهيم وزمن عيسى عليهما السلام اكثر من الفي عام

(١) ابن جماعة عز الدين عبد العزيز الحموي توفي سنة ٧٦٧ هـ. [١٣٦٦ م.] في مكة المكرمة زادها الله شرفا

والاكثرون على هذا وقيل الاول عمر الفي سنة لما روي ان قس بن ساعدة لما خطب بسوق عكاظ قال في خطبته يا معشر اياد بن الصعب ذو القرنين قد ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر الفين ثم كان لحظة عين والاول هو الصحيح ونقل عن المفسرين انهم قالوا ملك الدنيا شرقا وغربا مؤمنان سليمان عليه السلام وذو القرنين وكافران بخت النصر ونمروذ بن كنعان.

(**الإعراب**): ذو القرنين مبتدأ ويعرف مبني للمفعول مجزوم بلم ونائب فاعله مستتر اي ذو القرنين ونبيا مفعول ليعرف على انه بمعنى يعتقد ومحل هذه الجملة رفع خبر مبتدأ كذا جار ومجرور في محل رفع خبر قدم على المبتدإ وهو لقمان فاحذر امر فاعله ضمير من صلح لهذا الخطاب والفاء فيه واقعة في جواب شرط مقدر اي اذا علمت ذلك فاحذر عن جدال متعلق به.

(**وحاصل معنى البيت**): احذر ايها العاقل ان تجادل في اثبات نبوة ذي القرنين ونبوة لقمان فان ظاهر الادلة يشير الى نفي نبوتهما ونبوة نحوهما كالخضر فقيل انه نبي وقيل وليّ وقيل رسول فلا ينبغي لاحد ان يقطع بنفي او اثبات لما علمت ان اعتقاد نبوة من ليس بنبي او نفي نبوة نبي من الانبياء كفر كما قدمنا.

تتمة: لقمان هو ابن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر ابو ابراهيم عليه السلام ابن اخت ايوب او خالته اليوناني عاش على ما قيل الف سنة حتى ادرك داود عليه السلام واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعثه فلما بعث قطع الفتوى فقيل له الا تفتي فقال الا اكتفي اذا كفيت يعني كفيت امر الفتوى ببعثة داود عليه السلام والجمهور على انه ليس بنبي كما قدمنا بل حكيم تلمذ لالفي نبي والله تعالى اعلم بالصواب.

٣١ وَعِيسَى سَوْفَ يَأْتِي ثُمَّ يُتْوِي * لِدَجَّالٍ شَقِيٍّ ذِي خَبَالِ

عيسى بن مريم عليهما السلام ومن اسمائه ايضا المسيح وكلمة الله وروح الله **وسوف** حرف تنفيس يدخل على المضارع فتمحضه للاستقبال مرادا به المهملة وفيها

لغات ذكرها في المغني ثم قال تنفرد عن السين بدخول اللام عليها نحو (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** * الضحى: ٥) وبانها قد تفصل بالفعل الملغى كقوله:

وَمَا اَدْرِي وَسَوْفَ اخَالُ اَدْرِي * أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ اَمْ نِسَاءُ

ويتوي اما بفتح حرف المضارعة مبني للفاعل من توى اذا قام واسم الفاعل منه تاو ومنه قوله تعالى (**ثَاوِيًا فِي اَهْلِ مَدْيَنَ** * القصص: ٤٥) فعلى هذا يكون المعنى ان عيسى عليه السلام سوف يأتي ويقيم في الارض لدجال اي لاجل قتله واما بضم حرف المضارعة مبني للفاعل ايضا من الاتواء بمعنى الاهلاك من قولهم توِي المال بكسر الواو اي هلك ثم استعمل في مطلق الهلاك وعدى الى المفعول بالهمزة فيكون المعنى ان عيسى عليه السلام سوف يأتي ويهلك الدجال وهو الانسب ههنا فتكون اللام في قوله لدجال زائدة او للتقوية وتنازع فيه كل من يأتي ويتوي وعلى الاول تكون اللام للتعليل ودجال فعال مبالغة في اسم الفاعل من الدجل وهو الكذب والتمويه وخلط الحق بالباطل ووصف بذلك لان حاله مبني على ذلك المعنى ولانه وصف ايضا بالمسيح فيتميز عن وصف عيسى عليه السلام بالمسيح وجه تسميته مسيحا قيل لانه يمسح الارض وقيل لانه ممسوح العين ويروى في حقه المسيخ بالخاء المعجمة لقبح صورته ووجه تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح انه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسحه جبرائيل عليه السلام والمراد بالشقي الكافر اذ لا شقاوة فوق الكفر **والخبال** فساد الحال.

(**الإعراب**): الواو عاطفة قصة على قصة عيسى مبتدأ سوف حرف تنفيس واستقبال وجملة يأتي من الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدإ وثم حرف عطف يقتضي ثلاثة امور التشريك في الحكم والترتيب والمهلة وهي موجودة ههنا ويتوي عطف على يأتي ولدجال متعلق بيتوي وتنازع فيه يأتي ويتوي وشقى صفة لدجال ونكر الصفة نظرا للفظ الموصوف فصار مخصوصا معلوما بالمجموع او حذف ال من الصفة للضرورة على ان دجال علم بالغلبة كفضل.

(وحاصل معنى البيت): ان نزول عيسى بن مريم عليه السلام حق يجب اعتقاده فيترل على المنارة الشرقية في جانب بني امية بالشام ويأتي بيت المقدس وفي يده عصى يقتل بها الدجال عند باب لدّ الشرقي حين محاصرة المهدي في قلعة القدس وقيل يضربه بحربة وهو لا ينافي الاول لجواز ان يكون للعصا حربة وقيل بمجرد رؤيته عيسى يذوب كما يذوب الملح في الماء كما قيل وكأنّ معناه انه يذل ويحقر عند رؤية عيسى عليه السلام ويكون الاعور يدعي الالوهية والناس يؤمنون به الاّ من شاء الله سعادته ويكون معه جبلان في احدهما انواع الثمار وفي الآخر انواع العذاب يلبث في الارض اربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وباقي ايامه كايامنا كما ورد في مسلم[١] عن النواس بن سمعان وروي عن ابي امامة الباهلي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اكثر خطبته ذكر الدجال فحدثنا عنه حين فرغ عن خطبته فكان فيما قال لنا يومئذ (**ان الله تعالى لم يبعث نبيا الاّ حذر امته الدجال وإنّي آخر الانبياء وانتم آخر الامم وهو خارج فيكم لا محالة فان يخرج وانا بين اظهركم فانا حجيج كل مسلم وان يخرج فيكم بعدي فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه يخرج من حلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا عباد الله اثبتوا فانه يبدأ فيقول أنا ربّكم وانكم لن ترون ربّكم حتى تموتوا وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وليقرأ فواتح سورة الكهف وانه يسلط على نفس من بني آدم فيقتلها ثم يحييها وانه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها وان من فتنته ان معه جنة ونارا فناره جنّة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليغمض عينه وليستعن بالله تكن عليه بردا وسلاما وان من فتنته ان يمر على الحي فيؤمنوا به فيدعو لهم فتمطر السماء عليهم من يومهم وتخصب لهم الارض من يومها وتروح عليهم ماشتيهم من يومها اعظم ما كانت وامده خواصر وادرها ضروعا ويمر على الحي فيكفروا به ويكذبوه فيدعو عليهم فلا يصبح لهم سارح يسرح**

---

(١) مسلم بن الحجاج القشيري الشافعي امام المحدثين توفي سنة ٢٦١ هـ. [٨٧٥ م.] في نيشابور

وان ايامه اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كالايام وآخر ايامه كالسراب تقدرون الايام الطوال ثم تصلون يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل ان يبلغ الباب الآخر) قالوا كيف نصلي يا رسول الله في تلك الايام القصار قال (**تقدرون فيها ثم تصلون**) رواه الحاكم[١] في مستدركه ثم بعد ان يقتله عيسى عليه السلام لم يبق احد من اهل الكتاب الاّ ليؤمنن به قبل موته حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ولم تقبل حينئذ الجزية ويقع الامن في الوجود وترتع الابل مع الاسود والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وفي رواية انه يمكث سبع سنن وهي الصواب والمراد بالاربعين في الرواية الاولى انه مدة مكثه قبل الرفع وبعده فانه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة وروي غير ذلك قال بعض المشايخ رحمه الله والصحيح انه لم يمت قبل رفعه والوفاة اتت في القرآن على ثلاثة اشياء وفاة موت كقوله تعالى (**اَللّٰهُ يَتَوَفَّى الْاَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** * الزمر: ٤٢) ووفاة نوم كقوله تعالى (**وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا** * الزمر: ٤٢) ووفاة رفع وهي المراد بقوله تعالى (**يَا عِيسَى اِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ اِلَيَّ** * آل عمران: ٥٥) واعلم انه يجب الايمان بنزول عيسى عليه السلام وكذا بخروج المهدي ففي فوائد الاخيار لابي بكر الاسكافي مسندا الى مالك بن انس عن محمد المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من كذب بالدجال فقد كفر ومن كفر بالمهدي فقد كفر**) وقال حذيفة ابن اسيد الغفاري طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال (**ما تذكرون**) قلنا نذكر الساعة قال (**انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات**) فذكر (**المهدي والدجال والدابة وطلوع الشمس والقمر من مغربهما ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب**) كما في شرح المقدسي ورواية غيره: قال عليه السلام (**لا تقوم الساعة حتى يظهر**

---

(١) محمد الحاكم النيشابوري المحدث المشهور توفي سنة ٤٠٥ هـ. [١٠١٤ م.]

عشر علامات طلوع الشمس والقمر من مغربهما والدجال ودابة الارض ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وخروج الاسود الذي يخرب الكعبة وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا) ذكره بعض الشراح ثم اول الآيات المؤدية بتغيير احوال العالم من معظم الارض خروج الدجال ثم نزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج ومن الآيات العظام المؤدية بتغيير احوال العالم العلوي طلوع الشمس من مغربها ولعل خروج الدابة في ذلك الوقت او قريب منه واول المؤدية بقيام الساعة: النار التي تحشر الناس روي انه عليه السلام سئل عن مخرج الدابة فقال **(من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى)** يعني المسجد الحرام وقيل من تهامة وقيل من حيث فار التنور وقيل غير ذلك قال الترمذي فتخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلد وجه المؤمن بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل المائدة الواحدة يجتمعون للطعام فينادي بعضهم لبعض يا مؤمن ويا كافر لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى ان الرجل يتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه وتقول يا فلان الآن تصلي قيل وهذه الدابة فصيل ناقة صالح عليه السلام فلما عقرت امها هربت فانفتح لها حجر فدخلت فيه فانطبق عليها فهي فيه الى ان يأذن الله بخروجها وروي ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وذنب وريش وجناحان وهي على خلقة الآدمي وانها جمعت من خلق كل حيوان وينقطع بخروجها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامر يومئذ لله والله اعلم واحكم.

قال الناظم رحمه الله:

٣٢ كِرَامَاتُ اْلوَلِيِّ بِدَارِ دُنْيَا * لَهَا كَوْنٌ فَهُمْ اَهْلُ النَّوَالِ

الكرامات جمع كرامة والمراد بها ههنا امر خارق للعادة مقرون بالعرفان والطاعة خال عن دعوى النبوة فخرج بالقيد الاول العاديات وبالثاني ما قرن بالفسق والفجور فانه يكون استدراجا او سحرا او مؤكدا لتكذيب الكاذبين كما روي ان

مسيلمة اللعين دعا للاعور لتصح عينه العوراء فذهب ضوء عينه الصحيحة ايضا ويسمى هذا اهانة وبالثالث معجزات الانبياء عليهم السلام وقد تظهر الخوارق من عوام المسلمين للتخلص من المكاره والمظالم والمحن ويسمى هذا معونة وحاصله ان الخارق للعادة ستة وهي المعجزة والارهاص والكرامة والمعونة والاستدارج والاهانة والاولان مختصان بالانبياء عليهم السلام والثالث بالاولياء والرابع بكل مؤمن والاخيران بالفساق والفجرة والولي هو العارف بالله تعالى وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة المعرض عن الدنيا المقبل على العقبى المديم على ذكر المولى جلّ شأنه وهو فعيل بمعنى فاعل سمي به لانه تولى امر ربه ولم يخالف امره ونهيه او بمعنى مفعول لان الله تعالى تولّى امره **والدنيا** بضم الدال على الاشهر وحكى ابن قتيبة[١] وغيره كسرها من الدنو وهو القرب سميت به لدنوها اي قربها من الآخرة او من الزوال او من الدنائة اي الخسة كما قال الشاعر:

اعاف دنيا تسمى من دناءتها * دنيا والاّ فمن مكروهها الداني

وحقيقتها جميع المخلوقات الموجودة قبل الآخرة وقيل الارض مع الهواء والجوّ قال بعض المحققين والاول اظهر فان قلت حقها ان تستعمل باللام كالكبرى والحسنى لانها في الاصل مؤنث ادنى افعل تفضيل قلت الدنيا خلت عن الوصفية واجريت مجرى ما لم يكن وصفا مما وزنه فُعلى كرجعى ونهمى ومن استعمالها منكرة قول الفرزدق بيت:

لا يعجبنك دنيا انت تاركها * كم نالها من اناس ثم قد ذهبوا

وكثير من القرآن مشتمل على ذمها والانصراف عنها الى الآخرة لانها عدوة الله تعالى لقطعها طريق الوصلة اليه ولذا لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لاوليائه لتزيينها

---

(١) ابن قتيبة عبد الله المروزي من مشاهير النحويين توفي سنة ٢٧٦ هـ. [٨٨٩ م.]

لهم حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وفي الخبر الحسن (**الدّنيا ملعونة معلون ما فيها الاّ ذكر الله وما والاه وعالم او متعلّم**) **والكون** الوجود اي كرامات الاولياء لها وجود ومستلزم للجواز كجريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه **والنوال**: العطاء.

(**الإعراب**): كرامات مضاف الى الوليّ مبتدأ وبدار مضاف الى دنيا متعلق بكون او حال من كرامات او من الولي لان المضاف عامل فيه معنى ولها في محل رفع خبر قدم على المبتدإ وهو كون والجملة في محل رفع خبر وقيل خبره محذوف تقديره حق والاظهر ما قلنا كما لا يخفى فهم الفاء تفريعية او فصيحية هم مبتدأ واهل النوال خبره.

(**وحاصل معنى البيت**): ان كرامات الاولياء حال كونهم في الدنيا لها وجود وثبوت ووقوع اي حال حياتهم وكذا بعد الموت بمعنى اكرامه في قبره وادخال حضرة فيه وتوسيعه لا بمعنى تصرفه في العالم كما يعتقده جهلة العوام[١] ولا ينافيه قول الناظم بدار دنيا لان البرزخ من احكام الدنيا الاّ انه اراد بالكرامات المعنى الاول فيكون القيد احترازيا واعلم ان الدلائل على حقية الكرامات ووقوعها قد تواترت عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم وممن بعدهم بحيث لا يمكن انكارها الاّ ممن اعمى الله بصيرته خصوصا الامر المشترك اعني مطلق الكرامة وان كان تفاصيلها آحادا فمن انكر كرامات الاولياء كان خارجيا معتزليا لانه ينكر كلام الله تعالى قال تعالى لام موسى (**فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ** * القصص: ٧) وهو كرامة لها وقال تعالى (**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ اَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ** * النمل: ٤٠) وهو آصف بن برخيا وكان وزير سليمان بن داود عليهما السلام ولم يكن آصف نبيا فاتى بعرش بلقيس قبل ان يرتد طرف سليمان عليه السلام اليه في تلك الساعة من المسافة البعيدة وكذا ظهور الطعام والشراب لمريم رضي الله عنها فانه (**كُلَّمَا دَخَلَ**

(١) والمتصرف والمؤثر حقيقة هو الله تعالى وذكر هؤلاء الاخيار سبب عادي في ذلك التأثير وذلك مثل الكسب العداي

عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ * آل عمران: ٣٧) وكذا تكلم الكلب لاصحاب الكهف فلما جاز ان يكون في الامم السابقة كرامات للاولياء جاز أن يكون في امة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي خير الامم بالاولى اذ شرف الامة بشرف نبيها ونبينا صلى الله عليه وسلم اشرف الانبياء فامته اشرف الامم فجاز ان يخص الله تعالى منهم من شاء بكرامات كسماع سارية رضي الله عنه في العسكر وهو بِنَهَاوَنْدْ قولَ عمر بالمدينة: يا سارية الجبل الجبل وبينهما اكثر من خمسمائة فرسخ وكذا جريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه وسكون الارض بضربه لها بدرته حين زلزلت زلزلة عظيمة وقال لها اسكني انا عدل فسكنت ومنعه النار التي كانت تأتي المدينة كل عام نشر ثوبه في وجهها و لم تأت بعد ذلك وكشرب خالد رضي الله عنه قدحا من السم وكالمشي على الماء كما وقع لكثير من الاولياء وفي الهواء كما نقل عن جعفر بن ابي طالب وعن لقمان السرخسي وغيرهما وكلام الجماد كما روي انه بين يدي سلمان وابي الدرداء رضي الله عنهما قصعة فسبحت وسمعا تسبيحها وكما روي انه عليه السلام قال بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذا التفتت اليه وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم وغير ذلك مما وقع للاولياء من خوارق العادات وكل ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم لان الولي تابع له وكل كرامة لولي تكون معجزة لمتبوعه ولا عبرة لانكار المعتزلة كرامات الاولياء واستدلالهم بانه لو جاز ظهور خوارق العادات من الاولياء لاشتبهت الكرامة بالمعجزة و لم يتميز بين النبي والولي لانا نقول ان ظهور الخارق من الولي ليس معه دعوى نبوة بخلافه من النبي وهو الفارق لانه مأخوذ في تعريف المعجزة دون الكرامة.

تتمة: ينبغي للولي الذي اكرمه الله تعالى ان يجتهد في كتمان ما خصه الله به من الكرامات ولا يظهره بالدعوى فانه انحطاط في درجته ونقصان في مرتبته لا ستر بينه وبين ربه فلا ينبغي ان يبوح به كما قال قائلهم:

من باح بالسر كان القتل سيمته

واما ما يظهره بعضهم مما يزعم به المكاشفات والعلم بالمغيبات مع جهله بامور الدين فانما هو شأن الدجالين الزائغين عن الحق المبين الضالين المضلين وسيأتي تمامه والحمد لله ربّ العالمين.

قال الناظم رحمه الله:

٣٣ وَلَمْ يَفْضُلْ وَلِيٌّ قَطُّ دَهْرًا * نَبِيًّا اَوْ رَسُولاً فِي انْتِحَالِ

يفضل بضم كينصر من الفضل خلاف النقص واراد به هنا نفي الرجحان اي لا يرجح عليه بالفضل يقال فضل فلان فلانا اذا زاد عليه في الفضل فذاك فاضل وهذا مفضول والفضيلة النعمة القاصرة على صاحبها كالزهد والصلاح والولاية والعلم الذي لا ينفع به غيره وغير ذلك والفاضلة النعمة التي يتعدى نفعها الى الغير ويقع الشكر بمقابلته كالكرم والتعليم ونحوهما وكل منهما يكون سجية وقد يحصل بالكسب وقد يجتمعان في الشخص فيقال ذو الفضائل والفواضل وتقدمت قط وتخفيفها افصح من تشديدها وهي لاستغراق ما مضى من الزمن وتختص بالنفي يقال ما فعلته قط وبعض العامة لا افعله قط وهو لحن واشتقاقه من قططت الشئ اي قطعته فمعنى ما فعلته قط ما فعلته فيما انقطع من العمر لان الماضي منقطع عن الحال فيكون قوله دهرا تأكيدا **والدهر** هو الزمان كما قدمنا وتقدم ايضا معنى النبي والرسول **والانتحال** افتعال قيل هو الادعاء الكذب وقيل المراد به مرتبة الشرف وهذا حلّ مراد لا حلّ معنى لما في القاموس انحله وتنحله ادعاه لنفسه وهو لغيره ونحله القول كمنعه نسبه اليه انتهى فالمعنى ههنا ان الولي مهما نسب اليه من الكرامات وان عظمت لم يجز ان يدعي ان مرتبته تعدل مرتبة نبي او رسول وقيل معناه العطية يعني انه مأخوذ من النحلة اي العطية لان الكرامة عطاء الله تعالى ثم إعلَمْ ان كلام المصنف رحمه الله لا يخلو عن مسامحة لان نفي التفضيل يصدق بالمواساة ولا قائل به أيضا فكان الاولى تبديل كلمة يفضل بيعدل او نحوها او ان يقول ومرتبة الولاية لا

توازي لمرتبة النبوة في انتحال وقد يقال كان مراده الرد على القائل بذلك فصرح به كما سنذكره.

(**الإعراب**): يفضل مجزوم بلم وولي فاعله وقط ظرف زمان ودهرا منصوب على الظرفية ايضا والعامل فيهما يفضل فهو من ذكر العام بعد الخاص ونبيا مفعول يفضل واو بمعنى الواو بمعنى بل فتكون للاضراب لان الولي اذا لم يفضل النبي لم يفضل الرسول بالاولى وهذا بناء على ما في بعض النسخ من تقديم رسولا على نبيا فيكون المعنى لا يفضل الولي رسولا بل ولا نبيا فضلا عن رسولا واما على ما في اكثرها من تقديم نبيا فيتعين ان تكون بمعنى الواو او بمعنى ولا على ما قاله ابن مالك في وقوعها في مثل ذلك وان رده ابن هشام اي لم يفضل الولي نبيا ولا رسولا وهذا مستقيم على النسختين وفي انتحال متعلق بيفضل.

(**وحاصل معنى البيت**): ان الولي وان علت رتبته وعظمت كرامته لا يفضل نبيا ولا رسولا ولا يساوي ولا يبلغ مرتبة احدهما في زمن من الازمنة او لم يقع ذلك في جميع الدهر لان الولي انسان صالح تابع لسنة الرسول ولا يصح ان يكون التابع اعلى من المتبوع او في رتبته وقد قال عليه السلام في حق ابي بكر رضي الله عنه (**ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين افضل من ابي بكر**) فان فيه دلالة صريحة على ان النبي افضل من ابي بكر مع ان ابا بكر افضل من غير الانبياء فيكون النبي افضل من سائر الاولياء بالضرورة وقد خالف في ذلك بعض الصوفية من اهل الاباحة فقال مرتبة الولي الكامل من الكمل افضل من النبي وهو كفر وزندقة فقد قال تعالى في حق الانبياء عليهم السلام (**وَاِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْاَخْيَارِ** * ص: ٤٧) وكثير من الآيات شاهد على ذلك.

واعلم ان من وصل الى درجة الاولياء وارتفعت مترلته بحيث بلغ اقصى مراتب الولاية لا يسقط عنه التكاليف والعبادات المفروضة كالصلاة والزكاة والحج والصوم وحقوق العباد ومن زعم ان من صار وليا ووصل الى الحقيقة تسقط عنه

احكام الشرع فهو ملحد فاحذره كل الحذر فان العبادات لم تسقط عن الانبياء الذين هم في امان عن الانعزال فكيف تسقط عن الاولياء الذين ليسوا في امان عن ذلك على ان دعوى مثل ذلك لا يصدر عن وليّ بحق لانه لا يكون الاّ عالما ما اتخذ الله وليا جاهلا فدعوى مثل ذلك يدل على جهله وبعده عن الاسلام فضلا عن مرتبة الولاية واكثر ما يوجد هذا النوع في زماننا بالديار المصرية فانهم يتوسلون بترك العبادات وكشف العورات الى قضاء الشهوات ويزعمون الولاية وهم مكلفون والجهلة بهم يتبركون.

ومنهم الدجالون واكثر ما يوجدون بالديار الرومية يدعون الكشف وعلم الغيب و يُخبْرون بِمَا سيكون ليتوسلوا بذلك الى السحت والقبول عند الرؤساء وهم عندهم في اعلى الْمَراتب والقبول ويصدقونهم فيما يزعمون وقد قال عليه السلام (**من اتى كاهنا فصدّقه فيما يقول فقد كفر بما انزل على محمد**) صلى الله عليه وسلم او كما قال ولما اراد علي رضي الله عنه لقاء الخوارج قال له مسافر بن عوف وكان يعمل بالنجوم يا امير المومنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات تمضي من النهار فانك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك بلاء وضرر وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت واصبت ما طلبت فقال علي رضي الله عنه ما كان ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج فيه بآيات فمن صدقك فيما تقول لا اؤمن عليه ان يكون كمن اتخذ لله تعالى ندًّا اللّهمّ لا طير الاّ طيرك ولا خير الاّ خيرك ولا اله غيرك ثم قال نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة ثم اقبل الناسَ فقال ايها الناس انما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيتَ وبقيتُ ولاحرّمنك العطاء ما كان لي من سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم وقتلهم وهي واقعة النهروان ولا حول ولا قوة الاّ بالله العليّ العظيم.

قال الناظم رحمه الله:

٣٤ وَلِلصِّدِّيقِ رُجْحَانٌ جَلِيٌّ * عَلَى ٱلاَصْحَابِ مِنْ غَيْرِ احْتِمَالِ

هذا شروع في بيان التفضيل بين الصحابة رضي الله عنهم اجمعين والمراد بالصديق ابو بكر رضي الله عنه لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم لتصديقه له في النبوة من غير تَعَلْثُمٍ وفي المعراج بلا تردد واسمه عبد الله وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة واسم ابيه عثمان وكنيته ابو قحافة والمراد **بالرجحان** الزيادة في الفضيلة على سائر الصحابة رضي الله عنهم **والجليّ** الظاهر ظهورًا بينا لا خفاء فيه والاصحاب جمع صحب وهو عند سيبويه اسم جمع لصاحب وجمع له عند الاخفش وبه جزم الجوهري وفي القاموس صحبه كسمعه صحابة ويكسر وصحبه عاشره وهم اصحاب واصاحب وصحبان وصحاب وصحابة وصحب انتهى والصاحب بمعنى الصحابي وهو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم لا على وجه خرق العادة مؤمنا به ومات على ذلك وان لم يرو عنه شيئا ولم تطل صحبته وقوله **من غير احتمال** نفي لان يكون في ذلك قول آخر عند اهل السنة والجماعة.

(**الإعراب**): للصديق في محل رفع خبر مقدم ورجحان مبتدأ مؤخر وعلى الاصحاب متعلق برجحان ومن غير احتمال اما في محل رفع صفة اخرى لرجحان او خبر مبتدإ محذوف اي وذلك من غير احتمال او صفة مؤكدة لجليّ.

(**وحاصل معنى البيت**): ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه افضل الصحابة اجمعين باتفاق المسلمين واذا كان افضلهم كان افضل جميع الناس بعد الانبياء عليهم السلام بالضرورة لثبوت ذلك بالكتاب والسنة واجماع اهل السنة قال تعالى (**ثَانِيَ اثْنَيْنِ اِذْ هُمَا فِي الْغَارِ اِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ اِنَّ اللهَ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ** * التوبة: ٤٠) اي على ابي بكر رضي الله عنه لانه هو الذي خاف وقال عليه السلام (**ما طلعت الشّمس ولا غربت على احد بعد النّبيّين افضل من ابي بكر**) وقد تقدم عن ابن عمر رضي الله عنهما كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي: افضل

امته بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره وروي عن عمرو بن العاص قال للنبي صلى الله عليه وسلم من احب النساء اليك يا رسول الله فقال (**عائشة**) فقال ومن الرجال قال (**ابوها**) فمن قال ان احدا بعد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من ابي بكر كان معتزليا رافضيا ولا يرد النقض بعيسى عليه السلام حيث انه سيأتي بعد نبينا لانه وان كان تابعا لدين نبينا الاّ انه لا يقال له امة في العرف الا يرى ان لوطا كان تابعا لابراهيم وهارون لموسى عليهم السلام وليس احدهما امة للآخر ويلقب ابو بكر بالعتيق ايضا لقوله عليه السلام (**من اراد ان ينظر الى عتيق الله من النار فلينظر الى ابي بكر**) وُلد بمكة بعد الفيل بسنتين ونحو اربعة اشهر وتولى الخلافة يوم الثلاثاء لثلاثة عشر خلت من ربيع الاول وهو ثاني يوم مات فيه النبي صلى الله عليه وسلم وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر وتسع ليال ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخر رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه.

قال الناظم رحمه الله:

٣٥ وَلِلْفَارُوقِ رُجْحَانٌ وَفَضْلٌ * عَلَى عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ عَالِي

الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن نفيل ابن عبد العزى بن رِياح بكسر الراء وفتح الياء المثناة بن عبد الله بن قرط بضم القاف بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي العدوي القرشي يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب الاب الثامن وامه حنتمة بخاء فنون فتاء فميم بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب وكونها بنت هاشم هو الصحيح اسلم عمر رضي الله عنه سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس بعد اربعين رجلا وعشر نسوة كما قال سعيد بن المسيب او بعد خمسة واربعين رجلا واحدى عشرة امرأة كما قال عبد الله بن ثعلب او بعد تسعة وثلاثين رجلا كما قال غيرهما وكان بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله (**اللّهمّ اعزّ الاسلام باحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب او بعمرو بن**

هشام) فكان احبهما اليه عمر بن الخطاب روي انه خرج متقلدا بسيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال له الى اين تعمد يا عمر فقال اريد ان اقتل محمدا قال وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا فقال عمر ما اراك الاّ قد صبأت وتركت دينك الذي كنت عليه قال افلا ادلك على العجب يا عمر ان اختك وزوجها قد اسلما فمشى نحوهما مغضبا حتى اتاهما وكان عندهما رجل يقال له خباب فلما احس بعمر توارى في البيت خوفا من عمر فدخل عليهما عمر وهم يقرؤن سورة طه فقال ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم قالا ما عدا حديثا تحدثنا بيننا قال لعلكما صبأتما فقال له ختنه أرأيت يا عمر ان كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر فوطئه برجله وطئا شديدا فدفعته اخته عن زوجها فضرب رأسها فادماها فقالت وهي غضبى كان ذلك على رغم انفك: نشهد ان لا اله الاّ الله ونشهد ان محمدا رسول الله فلما يئس عمر منهما قال اعطوني هذا الكتاب الذي تقرؤنه فاقرأه وكان يقرأ الكتب فقالت له اخته انك رجس ولا يمسه الاّ المطهرون فقم فاغتسل او فتوضأ فتوضأ ثم قرأ طه الى قوله تعالى (**اِنَّني اَنا اللهُ لآ اِلَهَ اِلاَّ اَنا فَاعْبُدْنِي وَاَقِمِ الصَّلَوةَ لِذِكْرِي** * طه: ١٤) وفي رواية سورة الحديد الى قوله (**آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ** * الحديد: ٧) فقال دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال ابشر يا عمر فاني ارجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس (**اللّهمّ اعزّ الاسلام بعمر بن الخطاب او بعمرو بن هشام)** قال واين رسول الله قال في الدار التي اسفل الصفا فانطلق حتى اتى الدار وكان على الباب حمزة وطلحة وناس من الصحابة فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال نعم هذا عمر فان يرد الله بعمر خيرا يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا وكان النبي صلى الله عليه وسلم داخل الدار يوحى اليه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى عمر فاخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه فقال (**اما انت منته يا عمر حتى يترل الله بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة اللّهمّ هذا عمر بن**

الخطاب اللّهمّ اعزّ الاسلام بعمر بن الخطاب) فقال اشهد انك رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال اشهد ان لا اله الاّ الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها اهل المسجد ثم قال يا رسول الله السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال (**بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم)** قال عمر ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق لنخرجن فخرج في صفين حمزة في احدهما وعمر في الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت اليهم قريش والى حمزة والى عمر فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ بالفاروق اما لانه فرق الصحابة فرقتين او لانه فرق بين الحق والباطل وصح انه لما أسلم نزل جبرائيل عليه السلام وقال يا محمد قد استبشر اهل السماء باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وانزل على النبي صلى الله عليه وسلم (**يَآ اَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** * الأنفال: ٦٤) وهو اول من لقب بامير المؤمنين وعدّ مناقبه يضيق عنها المقام وقدمنا بعضا منها رضي الله عنه وارضاه وَلِيَ الخِلافةَ عشر سنين وستة اشهر وخمس ليال واستكمل سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي اول الْمُحَرّم سنة اربع وعشرين طعنه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة المجوسي لعنه الله بالمدينة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن رضي الله عنه يوم الاحد وناحت عليه الجن روي انه قال لولده عبد الله رضي الله عنه وعنه اذهب الى ام المؤمنين عائشة وقل لها يستأذن منك عمر ان يدفن مع صاحبه فذهب اليها فقالت كنت اريده -تعني المكان- لنفسي ولأُوثِرَنَّه على نفسي فاتى عبد الله فقال له قد اذنت فحمد الله تعالى ثم دفن فيه وهو ثالث الاقمار التي رأتهم عائشة رضي الله عنها نزلوا في حجرتها واعراب البيت ظاهر.

(وحاصل معنى البيت): ان عمر افضل من عثمان بن عفان رضي الله عنهما واذا فضل عثمان كان افضل سائر الصحابة بعد ابي بكر بالاولى فليس فوق عمر في

الفضل سوى ابو بكر فهما افضل جميع الصحابة رضي الله عنه اجمعين اذ هما وزيرا النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام (**ان لي وزيرين في السماء ووزيرين في الارض**) يعني ابا بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال الناظم رحمه الله:

٣٦ وَذوُ النُّورَيْنِ حَقًّا كَانَ خَيْرًا * مِنَ الْكَرَّارِ فِي صَفِّ الْقِتَالِ

المراد **بذي النورين** عثمان بن عفان رضي الله عنه لقب بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم زوجه بنتيه: رُقية ثُمّ بعد موتِها زوجه بنته ام كلثوم وبعد موتها قال له (**لو كان لي غيرهما لزوجتكها**) تولى الخلافة اثنتي عشرة سنة الاّ اثنتي عشرة ليلة قتل يوم الجمعة لثمانية عشر خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن تسعين سنة وكان استشهاده في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم على هذه الآية: (**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ** * البقرة: ١٣٧) وتمام قصته مذكور في السير وصلى عليه الزبير رضي الله عنه بوصيته اليه ودفن بالبقيع وهو اول من دفن فيه وكان رضي الله عنه اشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم خرّج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما زوّج النبي صلى الله عليه وسلم بنته ام كلثوم بعثمان قال لها (**ان بعلك اشبه الناس بجدك ابراهيم وابيك محمد**) عليهما الصلا والسلام.

(**الإعراب**): الواو عاطفة جملة على جملة ذو النورين مرفوع بالواو مبتدأ وهو اظهر مما في بعض النسخ من جره بالياء عطفا على الفاروق لانه يكون خبرا وليس في الكلام ما يصلح مبتدأ ويصير الكلام منفكا كما لا يخفى على المتأمل وحقا مفعول مطلق اي احق ذلك وقد تقدم من تأخير وكونه قَسَمًا كما قيل غير ظاهر من التركيب وكان ناقصة واسمها مستتر يرجع الى ذو النورين وخيرا خبرها والجملة خبر المبتدإ ومن الكرار متعلق بخيرا وجملة في صف القتال متعلق بالكرار او في محل نصب حال من الضمير المستتر فيه.

(**وحاصل معنى البيت**): انه ثبت بالسنة والاجماع ثبوتا قطعيا ان عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قال في حقه النبي صلى الله عليه وسلم (**لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي في الجنة عثمان بن عفان**) خبر ان افضل من على الموصوف بالحيدر الكرار في صف القتال الذي لم يقع له نعت الفرار لا بالاختيار ولا بالاضطرار لثبات قلبه على القرار وصدق صحبته ومُجَاهَدته مع النبي الْمُخْتار صلى الله عليه وسلم واليه اشار الناظم رحمه الله:

٣٧ وَلِلْكَرَّارِ فَضْلٌ بَعْدَ هَذَا * عَلَى الاَغْيَارِ طُرًّا لاَ تُبَالِي

لُقِبَ علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه **بالكرار** لما قدمنا وقوله **بعد هذا** اشارة اما الى ما ذكر من ترتيب تفضيل الثلاثة ابي بكر ثم عمر ثم عثمان فيستفاد منه تفضيلهم عليه مقابلة او اشارة الى عثمان فيستفاد تفضيل الاولين عليه بطريق الاولوية لانه اذا فضله المفضول فضله الافضل بالاولى وعلى كل فتفضيلهم عليه قد علم مما تقدم انه كرر ذكر تفضيل عثمان عليه ردا لما سنذكره من الخلاف فالاظهر ان الاشارة الى عثمان اقرب مذكور **والاغيار** جمع غير والمراد بهم بقية الصحابة او جميع الامة بعد الثلاثة المذكورين لا يقال يتعين ارادة الاول لان اغيارا جمع قلة فيحمل على الاول فانا نقول استعماله في الكثرة شايع ذايع وعلى اَلِ الجنسية تبطل ارادات الجمعية بالكلية.

(**الإعراب**): للكرار خبر مقدم على المبتدإ وهو فضل وبعد منصوب على الظرفية متعلق بكائن مضاف وهذا في محل جر مضاف اليه على الاغيار متعلق بفضل او بما تعلق به الظرف الاول وكل منهما في محل رفع صفة بعد صفة لفضل وطرا بمعنى جميعا حال من الاغيار لا تبال لا نافية تبال مجزوم بها بحذف الياء والياء الموجودة للاشباع.

(**وحاصل معنى البيت**): ان عليا رضي الله عنه وكرم الله وجهه بعد هؤلاء الثلاثة افضل جميع امة محمد صلى الله عليه وسلم من بقية الصحابة وغيرهم فعليك

بالتمسك بهذا القول فانه مذهب اهل السنة والجماعة ولا تبال بقول من خالف في ذلك من الشيعة وكثير من المعتزلة القائلين بتفضيل عليّ على الصديق وقول بعض اهل السنة منهم سفيان الثوري بتفضيله على عثمان وما نقل عن مالك من انه توقف بينهما فقد حكى الامام القاضي ابو الفضل عياض ان مالكا رجع الى قول الاكثر الذي استقر عليه مذهب اهل السنة ولا يرد السؤال بانهم كيف فضلوا عليا وهو اقربهم الى النبي صلى الله عليه وسلم نسبا وصهرا لان ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء على ان ذلك لا يقدح في كمال مرتبته كيف وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: (**اَنت أخي في الدّنيا والآخرة**) ويدل لافضليتهم عل هذا الترتيب خلافتهم كذلك كما اشار اليه صاحب الجوهرة بقوله وامرهم في الفضل كالخلافة، والادلة من السنة على ذلك كثيرة تظافر دلالة مجموعها حتى تظهر لمن اطلع عليها كفلق الصبح وبعلي رضي الله عنه ختمت الخلافة الثابتة للاربعة باشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الترتيب في تلك المدة ووقع على ذلك الترتيب الاجماع وذلك لان الصحابة رضي الله عنهم قد اجتمعوا يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة واستقر رأيهم بعد المشاورة على خلافة ابي بكر رضي الله عنه فاجمعوا على ذلك وبايعه علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه على رؤس الاشهاد ولو لم تكن الخلافة حقا له لما اتفق عليه الصحابة ولنازع علي رضي الله عنه كما نازع معاوية رضي الله عنه ولاحتج عليهم لو كان في حقه نص كما زعمه الشيعة وكيف يتصور في حق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتفاق على الباطل وترك العمل بالنص الوارد ثم ان ابا بكر رضي الله عنه لما آيس من حياته دعى عثمان واملى عليه كتاب عهده لعمر فلما كتب ختم الصحيفة واخرجها الى الناس وامرهم بان يبايعوا لمن في الصحيفة فبايعوه حتى مرت بعلي فقال بايعنا لمن فيها وان كان عمر فوقع الاتفاق على خلافته ثم استشهد وتُرِكَ الخلافة شورى بين الستة عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي

وقاص ثم فوض الامر خمستهم الى عبد الرحمن بن عوف ورضوا بحكمه فاختار عثمان وبايعه بمحضر من الصحابة فبايعوه وانقادوا الى امره وصلوا معه الجمع والاعياد فكان اجماعا ثم استشهد عثمان رضي الله عنه وترك الامر مهملا فاجتمع كبار المهاجرين والانصار على عليّ كرم الله وجهه لما كان افضل عصره واوليهم بالخلافة وما وقع من المخالفات والمحاورات لم يكن عن نزاع في خلافته بل عن خطأ في الاجتهاد وما وقع من الاختلافات بين الشيعة واهل السنة في هذه المسألة وادعاء كل من الفريقين النص في باب الامامة وايراد الاسئلة والاجوبة من الجانبين فمذكور في المطولات ثم كانت مدة خلافة الاربعة ثلاثين سنة كما اخبر به عليه الصلاة والسلام (**الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا**) اي الخلافة الكاملة التي لا يشوبها من المخالفات فلا يرد انه اتى بعدهم خلفاء راشدون كعمر بن عبد العزيز[١] اسلم عليّ رضي الله عنه وكرم وجهه وعمره سبع سنين حين دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وولى الخلافة بعد عثمان خمس سنين الاّ ثلاثة اشهر قيل اول من اسلم ولذلك كان يفتخر بذلك وفيه يقول:

سبقتكم الى الاسلام طرّا * صبيا ما بلغت اوان حلمي

وسبقتكم الى الايمان قهرا * بقوة صارمي واوان عزمي

وبهذا استدل اصحابنا على صحة اسلام الصبي العاقل وصحة ارتداده وقيل ان اول من اسلم ابو بكر رضي الله عنه وقيل خديجة رضي الله عنها وقيل زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال المحققون توفيقا بين الاقوال والاورع ان يقال ان اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر رضي الله عنه ومن الصبيان علي رضي الله عنه ومن النساء خديجة رضي الله عنها ومن الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنه ومن العبيد بلال رضي الله عنه وعنهم اجمعين ولم يسجد علي رضي الله لصنم قط ولهذا يقال

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ثامن خلفاء الامويين توفي سنة ١٠١ هـ. [٧٢٠ م.]

كرم الله وجهه قال الثوري[١] نقلوا عنه آثارا كثيرة تدل على انه علم السنة والشهر والليلة التي يقتل فيها وانه لما خرج الى صلاة الصبح صاحت الرواقي اي الديوك في وجهه فقال دعوهن فانهن نوايح وروي انه جاء اليه رجل من مراد وهو يصلي في المسجد فقال له احترس فان اناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدّر عليه فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه فان الاجل جنة حصينة ضربه عبد الرحمن المرادي بن ملجم بسيف مسموم في جبهته فاوصله الى دماغه ليلة الجمعة وتوفي ليلة الاحد التاسع او السابع عشر من رمضان سنة اربعين ثم بعد الاربعة الخلفاء رضي الله عنهم في الفضل بقية العشرة المشهود لهم بالجنة والاجماع على ذلك روى اصحاب السنن وصححه الترمذي عن سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عشرة في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة والزبير في الجنة وطلحة في الجنة وعبد الرحمن في الجنة وابو عبيدة في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة و لم يرد صريح تفضيل بين هؤلاء الستة وممن شهد له بالجنة فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم لما في الحديث الصحيح ان فاطمة اسعد النساء وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة ثم اهل بدر وفي الحديث الصحيح لعل الله اطلع على اهل بدر فقال لهم (**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**) ويليهم اهل احد الذين شهدوا وقعتها ويليهم اهل بيعة الرضوان قال عليه السلام (**لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة**) رواه ابو داود ونقل ابو منصور التميمي الاجماع على هذا الترتيب وهذا باعتبار من حضر احدى الغزوات دون غيرها والاّ فقد يكون احديا بدريا مثلا فافهم ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم افضل من غيرهم من بقية الامة قال عليه السلام (**لا تسبوا اصحابي فو الذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد**

---

(١) سفيان الثوري من ائمة اهل السنة توفي سنة ١٦١ هـ. [٧٧٨ م.] في البصرة

احدهم ولا نصيفه) رواه مسلم فباقي الامة افضل من سائر الامم قال تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) وذلك مع اختلاف مراتبهم باختلاف اوصافهم واعمالهم فمنهم العالم والعابد والتالي والسابق والمقتصد والظالم لنفسه وقد قال بعض العلماء: من الدين تفضيل الشيخين يعني ابا بكر وعمر وحب الختنين يعني عثمان وعليا لان الختن هو الصهر ومن جعلهما الحسن والحسين فقد غلط كما نبه عليه غير واحد وان يرى المسح على الخفين ويعتقد ان ابا حنيفة امامنا ومالكا والشافعي واحمد وسائر أئمة اهل السنة على هدى من ربهم في العقائد وغيرها ولا التفات لمن تكلم بما هم بريئون عنه.

قال الناظم رحمه الله:

٣٨ وَلِلصِّدِّيقَةِ الرُّجْحَانُ فَاعْلَمْ * عَلَى الزَّهْرَاءِ فِي بَعْضِ الْخِصَالِ

يعني ان **الصديقة** اي عائشة ام المؤمنين بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة على ما سنبينه افضل من فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الخصال لا مطلقا وافضل نساء العالمين مطلقا واحب النساء الى النبي صلى الله عليه وسلم واعلمهن بالسنة قال عليه السلام (**خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء**) وقال عليه السلام (**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الاّ مريم بنت عمران وآسية إمرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الاطعمة**) وروي عن ابي موسى انه قال ما اشكل علينا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فسألنا عنه عائشة الاّ وجدنا عندها منه علما وتكنى بام عبد الله كناها به النبي صلى الله عليه وسلم باسم ابن اختها عبد الله بن الزبير[١] لما سألته في ذلك تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاثة وقيل بنحو ثمانية عشر شهرا وهي بنت ست سنين

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام وابن اسماء بنت ابي بكر الصديق استشهد سنة ٧٣ هـ. [٦٩٢ م.] في المدينة المنور

وبنا بها في المدينة في شوال منصرفة من بدر وهي بنت تسع سنين وبقيت عنده تسع سنين روي انه عليه السلام لما خطبها من ابيها ابي بكر قال يا رسول الله انها صغيرة لا تصلح لك ولكن انا ارسلها فان كانت تصلح فمن السعادة الكاملة قال عليه السلام (**ان جبريل اتاني بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان الله تعالى زوجك بهذه**) ثم ذهب ابو بكر رضي الله عنه الى مترله وملأ طبقا من تمر وغطاه وقال يا عائشة اذهبي بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولي له هذا الذي ذكرته لابي بكر فان كان يصلح فبارك عليك فمضت اليه عائشة رضي الله عنها بالطبق وهي تظن ان ابا بكر يعني التمر فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلّغته فقال (**قبلنا يا عائشة قبلنا**) وجذب طرف ثوبي قالت فنظرت اليه مغضبة ودخلت على ابي بكر فاخبرته بما وقع فقال يا بنية لا تظنين برسول الله صلى الله عليه وسلم ظن سوء ان الله تعالى قد زوجك به واني قد زوجتك منه قالت عائشة فما فرحت بشئ اشد من فرحي بقول ابي قد زوجتك منه والصحيح انها لم تلد قط وذكر السهيلي في الروض انها القت سقطا و لم يثبت ذلك وذكر النووي في التفضيل بينها وبين خديجة اوجها ثالثها الوقف واختار السبكي تفضيل خديجة ثم عائشة ثم حفصة ثم الباقيات من ازواجه صلى الله عليه وسلم و لم يتعرض له المصنف واراد بالزهراء فاطمة رضي الله عنها كما قدمنا لقبت بالزهراء قيل لانها لم تحض قط وروي انها ولدت وقت غروب الشفق فطهرت من النفاس في ليلتها واغتسلت وصلت العشاء في وقتها قيل سبب عدم حيضها انه عليه السلام دخل الجنة ليلة المعراج اعطاه رضوان تفاحة فلما اكلها تقوى وتفرقت القوة في جميع اعضائه فجامع خديجة فحملت بفاطمة وفيه نظر ظاهر وكان لها نور يضئ حتى روي عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تقول كنت اسلك الخيط في سم الخياط في الليلة المظلمة من نور وجه فاطمة فلذلك لقبت بالزهراء وعن ابي جعفر الاستروشيني وبعض الائمة انها افضل من عائشة لان درجة عائشة انما ارتفعت تبعا للنبي صلى الله عليه وسلم بالزوجية ودرجة فاطمة اصلية

بالجزئية واكثر الائمة قالوا ان عائشة رضي الله عنها افضل لان درجتها مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وفاطمة رضي الله عنها مع علي في الجنة وفرق بين المقامين وقال القاسم[١] بن محمد ان عائشة استقلت بالفتوى زمن ابي بكر وعمر وعثمان فمن بعدهم و لم يحصل لغيرها من النساء هذه المرتبة وقيل التفضيل بينهما بالاعتبار فعائشة افضل من جهة العلم وفاطمة من جهة البضعية والى هذا يشير كلام المصنف بقوله في بعض الخصال وهو الراجح وقال بعضهم لا نقول بالترجيح بل نقول كانت عائشة رضي الله عنها افضل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة رضي الله عنها وفاطمة رضي الله عنها افضل بناته وقال الشراح والذي اشار اليه المصنف في البيت هو الصحيح دفنت عائشة رضي الله عنها بالبقيع سنة سبع او ثمان وسبعين وعاشت ستا وستين سنة وصلى عليها ابو هريرة رضي الله عنه وروي لها الف حديث وعشرة اتفق البخاري ومسلم منها على مائة واربعة وسبعين وانفرد البخاري باربعة وسبعين ومسلم بثمانية وستين واما فاطمة رضي الله عنها فروي لها ثمانية عشر حديثا.

(الإعراب): للصديقة خبر مقدم الرجحان مبتدأ مؤخر على الزهراء متعلق بالرجحان وقوله فاعلم معترض بينهما وفي بعض الخصال متعلق بالرجحان ايضا او في محل نصب حال منه نظرا للفظه.

قال الناظم رحمه الله:

٣٩ وَلَمْ يَلْعَنْ يَزِيدًا بَعْدَ مَوْتٍ * سِوَى الْمِكْثَارِ فِي الْإِغْرَاءِ غَالِ

وجه مناسبة ايراد هذا البيت ههنا انه كما يجب التفضيل والتعظيم للصحابة رضي الله عنهم وكذلك للتابعين رضي الله عنهم اجمعين يجب الكف عن التكلم في حقهم بما لا يليق وما وقع بينهم من التشاجر وما وقع من بعضهم من السقطات

---

(١) قاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق توفي سنة ١٠٦ هـ. [٧٢٤ م.] في قديد

وخص يزيد بالذكر لرد الخلاف في جواز لعنه وليفيد ان التكلم في حق غيره من الصحابة والتابعين ممن لم يقع منه ما وقع من يزيد من قبيح الافعال لا يجوز بالاولى **واللعن** الطرد والابعاد واصطلاحا يحتمل معنيين الاول البعد عن رحمة الله تعالى وهو مراد المصنف وهذا لا يجوز الاّ في حق من قطع بموته على الكفر او يأس من توبته كابلس والثاني البعد عن مقام الابرار ودرجات الاخيار وهو محمل ما ورد من لعن نحو الفاسق والظالم وآكل الربا المسلم ونحوهم كما سيأتي ويزيد هو ابن معاوية بن ابي سفيان رضي الله عن أبيه وجده **والمكثار** مفعال وهو كثير اللغو في ما لا يعني قيل اراد بهم الروافض والمعتزلة **والاغراء** بكسر الهمزة والمدِ الافساد والتحريض عليه وغال بالغين المعجمة اسم فاعل من الغلو وهو المبالغة في التعصب.

(**الإعراب**): يلعن مجزوم بلم ويزيد مفعوله وصرفه للضرورة وبعد موت في محل نصب حال من يزيد وحذف الضمير الرابط للضرورة اي حال كونه ميتا ولو ذكره ووقف عليه بالسكون لاستقام ايضا وقيل تنوينه عوض عن الضمير وسوى اداة استثناء مفرع في محل رفع فاعل لم يلعن مضاف الى المكثار في الاغراء جار ومجرور اما متعلق بالمكثار وغال صفة لانه في معنى النكرة او بدل منه ومعمول غال محذوف دل عليه ما قبله اي غال في الاغراء واما متعلق بغال قدم عليه وغال بدل من المكثار او حال منه ووقف عليه بالسكون اي حال كونه غاليا في الاغراء.

(**وحاصل معنى البيت**): لم يلعن يزيدا ميتا وكذا حيا بالاولى الاّ كلّ باغ مفتر كثير اللغو مخالف لاهل السنة والجماعة او لما عليه الجمهور منهم فاحترز ايها العاقل عن شتمه واكفف عن لعنه فانك لست مكلفا بذلك ولا مسئولا عنه في الآخرة وما قاله الروافض والخوارج وبعض المعتزلة وذهب اليه التفتازاني من جواز لعنه لرضاه بقتل الحسين واستبشاره به واهانة اهل بيت النبوة وقوله:

ليت اشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

وان ذلك يؤذن بكفره اذ معناه انه يتمنى لو وجد كفار قريش الذين قتلوا ببدر كابي

جهل فيروا اهانته لاهل المدينة وفعله ببيت النبوة فمردود فقد نقل التمهيد[١] ان يزيدا لم يأمر بقتل الحسين رضي الله عنه وانما امرهم بطلب البيعة منه او باخذه وحمله اليه حيا فهم قتلوه من غير حكمه وكان ذلك من عبيد الله بن زياد[٢] حيث جيش عليه الجيوش من الكوفة فلاقوه في كربلا فقتلوه والقصة مذكورة في المطولات على ان الامر بقتل الحسين بل نفس قتل غير الانبياء مباشرة من غير استحلال لا يوجب جزاء اللعن على مقتضى اهل السنة اذ غاية الامر انه اذا لم يستحله يكون بذلك فاسقا لا كافرا ولا يجوز لعن الفاسق المؤمن بل ولا الكافر الحيّ بعينه لاحتمال موته مؤمنا ما لم يتحقق موته على الكفر وبغير عينه يجوز كقوله تعالى (**اَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** * هود: ١٨) وقوله عليه السلام (**لعن الله آكل الربا وموكله**) الحديث ونحو ذلك ومن المحقق ان يزيدا لم يخرج عن كونه من المصلين وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن لعن المصلين وقد توسع بعضهم وقالوا نحن لا نتوقف في لعنه لما صدر منه وقال السعد التفتازاني على العقائد رحمه الله واختلفوا في لعن يزيد بن معاوية فذكر في الخلاصة[٣] وغيرها انه لا ينبغي اللعن عليه ولا على الحجاج[٤] لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن المصلين ومن كان من اهل القبلة وما نقل من لعن النبي صلى الله عليه وسلم لبعض من اهل القبلة فلما انه يعلم من احوال الناس ما لم يعلمه غيره وبعضهم اطلقوا اللعن عليه لما انه كفر حين امر بقتل الحسين رضي الله عنه واتفقوا على جواز اللعن على من قتله او امر به او اجازه او رضي به والحق ان رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك واهانته اهل بيت النبوة مما تواتر معناه وان كان تفاصيليها آحادا فنحن لا نتوقف في شأنه بل في ايمانه لعنة الله عليه وعلى

---

(١) مؤلف التمهيد ميمون بن محمد النسفي توفي سنة ٥٠٨ هـ. [١١١٤ م.]

(٢) عبيد الله بن زياد بن معاوية والي الكوفة قُتل سنة ٦٧ هـ. [٦٨٧ م.]

(٣) مؤلف خلاصة الفتاوى طاهر البخاري توفي سنة ٥٤٢ هـ. [١١٤٧ م.]

(٤) الحجاج الظالم بن يوسف توفي سنة ٩٥ هـ. [٧١٤ م.]

انصاره واعوانه انتهى فتدبر ونقل علي القاري رحمه الله الباري ايضا عن بعض العراقيين لعنه لما انه كفر بما استحل من محارم الله بفعله في اهل البيت ثم قال ولا يخفى ان الاستحلال امر قلبي غائب عن ظاهر الحال ولو فرض وجوده او لا يحتمل انه مات تائبا آخرا فلا يجوز لعنه باطنا ولا ظاهرا انتهى والحاصل ان الظاهر من كلامهم أن الاختلاف في جواز لعنه مبني على انه هل كفر بذلك حيث ثبت صدوره منه او لا وذلك مبني على انه هل استباح ذلك ام لا ولم يظهر لنا حقيقة الحال فاولى لنا السكوت عن شأنه فانه اسلَمُ واورعُ على انّا لم نكلف بلعنه ولا نسأل بتركه في الآخرة فلا يضرنا السكوت عنه مع ان لعنه يوجب السؤال وان لم يكن فيه نكال غاية الامر انه يجب علينا الانكار ما وقع منه من قبيح الافعال لانه متسبب على كل حال والله اعلم بحقيقة الحال.

تتمة: يجب الكف عما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ونعتقد ان الكل مأجورون اذ الطعن فيهم ان كان مما يخالف الدليل القطعي كقذف عائشة رضي الله عنها او سب احد الشيخين فهو كفر والاّ ففسق واعتزال ما لم يكن من الطاعن عن اجتهاد ممكن فجائز منه كقول علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه في حق معاوية رضي الله عنه واهل الشام انهم اخواننا بغوا علينا وفي الجملة لم ينقل عن احد من السلف المعتبرين جواز التكلم في حق معاوية وامثاله لانهم كانوا مجتهدين والمجتهد مأجور وان اخطأ ولم يسلم ان امرهم لم يكن عن اجتهاد فغاية امرهم البغي والخروج على الامام وهو فسق والفسق عند اهل السنة لا يخرج عن الايمان كما قدمنا والله تعالى اعلم واحكم.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٤٠ وَاِيمَانُ الْمُقَلِّدِ ذوُ اعْتِبَارٍ * بِاَنْوَاعِ الدَّلَائِلِ كَالنِّصَالِ

المقلد اسم فاعل من التقليد وهو قبول قول الغير بلا استدلال والمراد به ههنا العقد الجازم بما يأتي به الشرع من العقائد بدون استدلال ونظر بل اخذا من الغير

فيكفي في صحة الايمان ممن لم يكن اهلا للنظر والاستدلالِ التلفظُ بالشهادتين المبنيّ على العقد الجازم ويقاس غير الايمان من التكاليف عليه واراد **بالاعتبار** الاعتداد بالشئ **والانواع** جمع نوع وهو المقول على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة حقيقيا كان او اضافيا والمراد بها ههنا العقل والنقل وفعله صلى الله عليه وسلم والاجماع فجعل كلا منها نوعا **والدلائل** جمع دليل وهو عند الاصوليين ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خيري فهو عندهم ما يستدل بوقوعه أي بشئ من حالاته على وقوع غيره وهو المناسب ههنا وعند غيرهم هو الذي يلزم من العلم به العلم بشئ آخر وهو المدلول فالعالم عند الاصوليين دليل على اثبات الصانع وعند غيرهم ما ينتجه الحكم عليه من القضايا كالعالم حادث وكل حادث له صانع وهذا ظاهر كلام بعض المحققين من الاصوليين فانهم لا يطلقون الدليل على القضايا بل على المفردات فقط و لم نظفر بتصريحهم بذلك بل كلامهم عام كما علم في محله **والنصال** جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم ونحوهما اي الدلائل القطعية.

(**الإعراب**): الواو عاطفة قصة على قصة او استئنافية وايمان مبتدأ مضاف والمقلد مضاف اليه وذو مرفوع على الخبرية مضاف الى اعتبار وبانواع متعلق بمقدر اي ثابت او ثبت ذلك بانواع الدلائل ولا يصح تعلقه باعتبار كما لا يخفى على اهل الاعتبار وقيل متعلق بالمقلد اي يكتفي بايمان من قلد بالدلائل القطعية قيل فيه نظر لانه يكون ناظرا لا مقلدا يعني اذا اريد بالدلائل مصنوعاته تعالى اما اذا اريد بها ما قدمنا فلا مانع وقوله كالنصال في محل النصب حال من انواع الدلائل او في محل الجر صفة للدلائل اي المماثلة للنصال.

(**وحاصل معنى البيت**): ان ايمان المقلد معتبر عند الاكثر ثبت ذلك بادلة قطعية كالنصال القاطعة واضحة لا شبهة فيها او في صحة تقليده بها كقوله عليه السلام (**امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الاّ الله وانّ محمدا رسول الله**)

وكان عليه السلام يكتفي في ايمان الاعراب الخالين عن النظر بمجرد التلفظ بكلمتي الشهادة وكذلك الصحابة من بعده قال الشارح الحنفي قال ابو حنيفة ومالك والشافعي والاوزاعي[١] رضوان الله عليهم اجمعين ايمان المقلد صحيح ولكنه عاص بترك الاستدلال عليه وهذا مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة ايمان المقلد ليس بصحيح اذ لا معرفة له والايمان هو المعرفة فهو لا مؤمن ولا كافر وحكم ابو هاشم من رؤسائهم بكفره وهو مردود بما قدمنا والصحيح ما عليه اهل العلم واللغة من ان الايمان هو التصديق مطلقا فاذا اخبر المقلد بما يجب عليه الايمان به فاذعن له وانقاد اليه كان مؤمنا ويدل على صحته ايضا قوله عليه السلام حين سأله جبريل عن الايمان: (**ان تؤمنَ باللهِ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه**) فانه عليه السلام ما اجاب الاّ بمجرد التصديق وهو حاصل في المقلد والجواب عن شبهتهم ان المعرفة غير الايمان بدليل انفكاكه عنها فان اهل الكتاب يعرفون الله كما يعرفون ابناءهم ولكن لا يصدقون كما نطق به القرآن وهذا انما هو في حق من نشأ على شاهق جبل ولم يسبق له التفكر في العالم ولا في الصانع حتى اخبر بذلك فصدقه واما من نشأ في بلاد المسلمين وسبح الله تعالى عند رؤيته صنعا من صنائعه فهو خارج عن التقليد خصوصا بعد انتشار الدين ووضوح البراهين حتى ان الصبي المميز اذا تأمل في هذا الملكوت علم ان صانعه واحد احد فرد صمد مستحق لجميع العبادات ثم اعلم ان الايمان هو التصديق بجميع ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله بالقلب مع القبول والانقياد واختلف في النطق به فقيل شطر واختاره بعض ائمتنا الحنفية كشمس الائمة وفخر الاسلام البزدوي[٢] رحمهم الله وقيل شرط وعليه جمهور المحققين ومنهم ابو منصور الماتريدي ومعظم الاشاعرة رحمهم الله حيث ذهبوا الى انه التصديق بالقلب فقط والاقرار شرط لاجراء احكام الاسلام في الدنيا فمن

---

(١) عبد الرحمن الاوزاعي من فقهاء الشام توفي سنة ١٥٧ هـ. [٧٧٤ م.] في بيروت

(٢) فخر الاسلام علي البزدوي الحنفي توفي سنة ٤٨٢ هـ. [١٠٨٩ م.] في سمرقند

صدق بجنانه حق التصديق بما قدمنا وانقاد اليه كان مؤمنا عند الله تعالى وان لم يتلفظ بلسانه غير معاند وعلى الاول لا يكون مؤمنا قال شيخنا وخلاصة الكلام ان ايمان المقلد صحيح عند الائمة الاربعة رحمهم الله وكان عاصيا بترك الاستدلال على انه قل لن يرى مقلد في الايمان بالله تعالى اذ المعتبر في الاستدلال على ذلك الاستدلالُ والنظر على طريق العامة كالاستدلال بحدوث الحوادث على وجوده تعالى وعلى صفاته من العلم والارادة والقدرة وغيرها وكلام العوام في الاسواق محشوة بذلك والله اعلم بالصواب.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٤١ وَمَا عُذْرٌ لِذِي عَقْلٍ بِجَهْلٍ * بِخَلَّاقِ ٱلْاَسَافِلِ وَٱلْاَعَالِي

العذر ما يسقط معه اعتبار الحكم وان امكن ايجاده بكلفة فهو اعم من المانع اذ المانع ما يلزم من وجوده انعدام الحكم بالكلية فالمريض قد يمكنه التكلف للصوم مثلا بخلاف الحائض **والعقل** في الاصل الحبس ومنه عقال البعير ثم نقل وسمى به الادراك الانساني لانه يحبس صاحبه عما يستقبح ويعقله بما يستحسن ثم سمى به القوة النظرية التي يدرك بها النفس هذا الادراك وهو معنى قولهم غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وقول بعضهم هو نور في القلب يفيد الادراك وذلك النور يقل ويكثر فاذا قوى قمع ملاحظة الهوى مبني على ان العقل عرض وهو التحقيق وما قيل من انه جوهر تدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة فمبني على انه هو النفس لانها عند جمهور المتكلمين جوهر جسماني لطيف سار في البدن وعند جماعة منهم الغزالي رحمه الله الى انها جوهر مجرد اي ليس جسما ولا قوة جسمانية حالة في البدن وانما اتصالها بالجسم اتصال معنوي كاتصال حكم حاكم بمصر في الشام يديرها وهو غير حال فيها وهو قول الفلاسفة وذهب كثير من المتكلمين الى انها عرض والحق ان العقل والنفس متغايران لغة وعرفا وان الامساك عن الخوض في العقل احوط كالخوض في الروح بناء على تغايرهما وهو الراجح كما

اشار اليه صاحب الجوهرة بقوله:

ولا تخض في الروح اذ ما وردا * نص عن الشارع لكن وجدا
لمالك هي صورة كالجسد * فحسبك النص بهذا السند
و العقل كالروح ولكن قرروا * فيه خلافا فانظرن ما فسروا

وقد ذكرنا بعض ما فسروا وهو من اشرف المواهب الالهية كما قيل:

لم يهب الله لامرئ هبة * احسن من عقله ومن ادبه
هما حياة الفتى فان فقدا * من الفتى فالموت اليق به

ثم الحاصل من نظر العقل نوعان ضروري يحصل باول النظر من غير تفكر كالعلم بان الكل اعظم من جزئه واستدلالي يحتاج فيه الى نوع تفكر كالعلم بوجود النار عند رؤية الدخان واختلف في محله من الانسان فقيل الدماغ ونوره في القلب حتى يدرك به الغايات وكماله ان ينجي صاحبه من ملامة الدنيا وندامة الآخرة وقيل محله القلب واشراقه يضرب الى الدماغ وسئل علي رضي الله عنه عن محله فقال القلب واشراقه الى الدماغ واختلف هل للكافر عقل فقيل لا يعطى الكافر لانه ينافي الشرك بالله تعالى ولو كان له عقل لآمن وانما يعطى الذهن واستدلوا بقوله تعالى (**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ اَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي اَصْحَابِ السَّعِيرِ** * الملك: ١٠) وهذا موافق لقول من قال ان العقل هو العلم والجمهور على انه يعطاه وحملوا العقل في الآية على النافع اذا العقل اذا لم يفد فائدته يترل مترلة العدم ولان الشرك نوع من الجهل والجهل يجامع العقل ولانه يلزم عدم خطابه وتكليفه بالايمان وعرفوا الجهل بانه معرفة للمعلوم على خلاف ما هو به وقيل انتفاء العلم بالمقصود وهو الاظهر لشموله قسميه: البسيط والمركب واراد **بالاسافل والاعالي** الارضين والسموات وما فيهما وما بينهما وما سوى ذلك مما تسافل.

(**الإعراب**): ما بمعنى ليس عذر اسمها وذو بمعنى صاحب مجرور باللام مضاف الى عقل في محل نصب خبر ما وبجهل متعلق بعذر والباء فيه سببية وبخلاف متعلق

بجهل والاسافل مجرور باضافة خلاق اليه والاعالي عطف عليه.

(وحاصل معنى البيت): انه لا عذر للعاقل البالغ في جهله بخالقه مع ما يرى من وصول نعمته وعظيم قدرته من خلق السموات والارض وما في خلق نفسه وانشائه من العدم وخلق هذا العالم وتكوينه وانتظامه قال تعالى (**اَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَاخَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْئٍ** * الأعراف: ١٨٥) (**اَفَلاَ يَنْظُرُونَ اِلَى الْاِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَاِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَاِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَاِلَى الاَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** * الغاشية: ١٧-٢٠) فان في كل منها للمتأمل دلالة واضحة على وحدانية خالقها كما قيل:

وفي كل شئ له آية * تدلّ على انه واحد

وقال المحققون لم يبعث الله الرسل الاّ للتوحيد لا لاثبات وجود الصانع كما يشعر به قوله تعالى (**قَالَتْ رُسُلُهُمْ اَفِي اللهِ شَكٌ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ** * ابراهيم: ١٠) فالكفار كلهم لم يكونوا شاكين في وجود الصانع وانما كفروا بالقول بتعدد الآلهة وقال الاشعرية لا عبرة للعقل بدون السمع حتى قالوا ان من اعتقد الشرك و لم تبلغه الدعوة فهو معذور وحاصله ان اهل القبلة كلهم اتفقوا على حرمة الكفر ووجوب الايمان وانما اختلفوا في انه هل يكفي في وجوب الايمان العقل فقط او لابد من السمع فمن نشأ بعيدا من المسلمين و لم تبلغه الدعوة وهو بالغ عاقل هل يجب عليه المعرفة والايمان بربه بدون تبليغ ام لا واذا لم يؤمن هل يخلد في النار ام لا فيه خلاف بين اصحابنا الحنفية ايضا فعن بعضهم نعم وهو مروي عن الامام ابي حنيفة رضي الله عنه قال ولو لم يبعث الله رسولا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم وقال ابو اليسر البزدوي لا يجب عليه ويعذر ولا يكفي مجرد العقل بدون السمع وبه قالت الاشعرية ومنهم من قال بوجوبه الاّ انه لا يعذب به كما هو رواية عن ابي حنيفة رضي الله عنه بل يكون عاصيا لقوله تعالى (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** * الإسراء: ١٥) والاولون حملوا نفي العذاب على عذاب الاستئصال في الدنيا لا على

العذاب في العقبى وبعضهم جعل الرسول ما يشمل العقل ايضا وفيه بعد وملخص كلام الشيخ النسفي[١] في اصوله حيث قال العقل معتبر لاثبات الاهلية وانه خلق متفاوتا وقال بعض الاشعرية لا عبرة للعقل اصلا دون السمع واذا جاء السمع فله العبرة دون العقل وقالت المعتزلة العقل علة موجبة لما استحسنه محرمة لما استقبحه على القطع فوق العلل الشرعية وقالوا لا عذر لمن عقل في الوقف وترك الايمان والصبي العاقل مكلف بالايمان ومن لم تبلغه الدعوة اذا لم يعتقد ايمانا ولا كفرا كان من اهل النار ونحن نقول في الذي لم تبلغه الدعوة انه غير مكلّف بمجرد العقل فاذا لم يعتقد ايمانا ولا كفرا كان معذورا فاذا اعانه الله تعالى بالتجربة وامهله لدرك العواقب لم يكن معذورا وان لم تبلغه الدعوة وعند الاشعرية ان غفل عن الاعتقاد حتى هلك او اعتقد الشرك و لم تبلغه الدعوة كان معذورا ولا يصح ايمان الصبي العاقل عندهم وعندنا يصح وان لم يكن مكلفا به انتهى قال بعضهم ومن هنا نشأ الخلاف في اهل الفترة هل يعذبون ام لا والصبي العاقل اذا كان بحال يمكنه الاستدلال هل يجب عليه المعرفة قال كثير من مشايخ العراق يجب واليه يشير ظاهر كلام المصنف رحمه الله بقوله لذي عقل الاّ ان يكون مراده به الاحتراز عن المجنون وقال بعضهم لا يجب عليه شئ قبل البلوغ وهو الظاهر ولذا لو ارتد حينئذ لا يقتل وبالاتفاق انه لا يعاقب على ترك العبادات وان امر بها تخلقا واما اسلامه وارتداده فصحيح عندنا والصبي الذي لا يعقل لا يخاطب بشئ اصلا اتفاقا.

قال الناظم رحمه الله:

٤٢ وَمَا اِيمَانُ شَخْصٍ حَالَ يَأْسٍ * بِمَقْبُولٍ لِفَقْدِ ٱلاِمْتِثَالِ

اليأس بالمثناة التحتية على ما في بعض النسخ وهو انقطاع الرجاء والمراد به ههنا ان يصير الى حالة لا يرجى فيها حياته ويقطع بموته عاجلا بان تبلغ روحه

(١) عبد الله النسفي الحنفي توفي سنة ٧١٠ هـ. [١٣١٠ م.] في بغداد

الحلقوم او يقطع الحلقوم والمرئ او يشق بطنه ويخرج حشوه او يغرق وسط البحر ويغمره الماء وهو لا يحسن السباحة ونحو ذلك لانه اذا صار في حالة من هذه الحالات يئس من حياته عادة فلا يقبل ايمانه حينئذ وضبطه بعض الشراح بالباء الموحدة قال وهو الشدة والمضرة والمراد هنا سكرات الموت قال ولم يقله بالياء المثناة موافقة لقوله تعالى (**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ اِيمَانُهُمْ لَمَّا رَاَوْا بَاْسَنَا** * المؤمن: ٨٥) انتهى ولا يخفى انه بالباء الموحدة اعم منه بالياء كما هو الظاهر الاّ ان يراد باليأس ههنا مشاهدة عذاب الآخرة كما قال شارح والمراد هنا شدة عذاب الآخرة لان المؤمن عند نزع الروح يرى مكانه في الجنة والكافر يرى شدة عذاب الآخرة ومكانه في النار وهو الظاهر ههنا **والامتثال**: الانقياد والطاعة الى الامر والنهي.

(**الإعراب**): ما نافية بمعنى ليس ايمان اسمها مضاف الى شخص وحال منصوب على الظرفية مضاف الى يأس والعامل فيه ايمان وتعلقه بمقبول غير مقبول كما لا يخفى على اهل العقول وبمقبول في محل النصب خبر ما ولفقد في محل رفع خبر مبتدإ محذوف اي وذلك لعدم الامتثال اي الانقياد والايتمار باوامره تعالى قبل ان يصل الى تلك الحالة.

(**وحاصل معنى البيت**): ان ايمان الكافر وقت يأسه من الحياة او عند معاينة البأس غير مقبول لقوله تعالى (**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ اِيمَانُهُمْ لَمَّا رَاَوْا بَاْسَنَا**) وقوله تعالى (**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى اِذَا حَضَرَ اَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ اِنِّي تُبْتُ اْلئَنَ** * النساء: ١٨) فقد قال جماعة ان المراد بالسيئات: الشرك او عمل النفاق وقال تعالى في شأن فرعون (**حَتَّى اِذَا اَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ اَنهُ لآ اِلَهَ اِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا اِسْرَآئِيلَ وَاَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ** * يونس: ٩٠) فقال تعالى باستفهام الانكار (**آلْئَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** * يونس: ٩١) فلم يقبل ايمانه حينئذ كما مشى عليه الجمهور. قيد بالايمان لان توبة المؤمن العاصي حينئذ مقبولة عندنا قال شارح واما توبة المؤمن المذنب في تلك الحالة فمقبولة باجماع الامة انتهى يعني حالة

الاحتضار لكن في دعوى الاجماع نظر قال الشارح المقدسي وهذا بخلاف توبة المسلم العاصي حينئذ فانها تقبل ما لم يغرغر اي تبلغ الروح الحلقوم لما روى ابن عمر رضي الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال (**إنّ الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**) والفرق بين المؤمن والكافر فيما ذكر ان المؤمن العاصي قد سبقت منه المعرفة بربه قبل ذلك واما الكافر فلا معرفة له ويريد ان يبتدئ حينئذ ايمانا فلا ينفعه انتهى ورده علي القاري رحمه الباري وساوى بينهما في عدم القبول حينئذ مستدلا بظاهر الآية المتقدمة بان السيئات شاملة لغير الكفر قال ومن القواعد ان معارضة النص القطعي غير مقبولة انتهى اقول وبالله التوفيق ان فيه خبطا لا يخفى منشؤه التخليط بين الحالتين فان المراد باليأس في الآية مشاهدة اهوال الآخرة كما قدمنا فهذه حالة لا يرجى فيها الحياة فهي حالة اليأس فصار فيها في حكم اهل الآخرة فلا فرق بينهما في هذه الحالة في عدم قبول كل منهما على الاصح واما اطلاق اليأس على ما قبلها فالمراد به شدة المرض ونحوه والقرب من الحالة الاولى والكلام فيها فالتوبة فيها مقبولة دون الايمان كما تقدم والجمهور على هذا وعليه فلا حاجة الى الجواب بان المراد من السيئات في الآية الشرك لانه صرف الكلام عن ظاهره من غير مقتض فافهم والى هذا يشير كلام صاحب الكشاف وهو الحق ولا عبرة بكلام من لم يفهم كلامه حيث قال في قوله تعالى (**ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ** * النساء: ١٧) الزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله تعالى (**حَتَّى اِذَا حَضَرَ اَحَدَهُمُ الْمَوْتُ**) فيتعين أن الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ماوراء ذلك في حكم القريب ثم ذكر بعد خطوط ان قوله تعالى الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات قال ساوى بين الذين سوّفوا توبتهم الى الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنهم لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما أنّ المائت على الكفر فاتته التوبة على التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما اوان التكليف والاختيار انتهى وتابعه على ذلك البيضاوي فقال ساوى بين من

سوف التوبة الى وقت حضور الموت من الفسقة والكفار في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء انتهى فتدبر وقال في البزازية قال علماؤنا وانما صحت التوبة في هذا الوقت لان الرجاء باق ويصح من الندم والعزم على ترك الفعل قال في التفسير الكبير في قوله تعالى (**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ**) دلت على ان من حضره الموت وشاهد اهواله فتوبته غير مقبولة وكذلك قوله تعالى (**حَتَّى اِذَا حَضَرَ اَحَدَهُمُ الْمَوْتُ**) وكذلك قوله تعالى (**وَاَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ اَخَّرْتَنِي اِلَى اَجَلٍ قَرِيبٍ فَاَصَّدَّقَ وَاَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ** * المنافقون: ١٠) فانه تعالى اخبر في هذه الآيات ان التوبة لا تقبل عند حضور الموت ثم قال اي في التفسير الكبير والمحققون على ان قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاهوال التي تجعل العلم عندها على سبيل الاضطرار بالله تعالى فهذا كلام الحنفية والمالكية والشافعة من المعتزلة والسنية والاشاعرة والماتريدية وان توبة اليأس لا تقبل كايمان البأس بجامع عدم الاختيار وخروج النفس من اليد وعدم ركن التوبة وهو العزم بطريق التصميم على ان لا يعود في المستقبل الى ما ارتكب وهذا لا يتحقق في توبة اليأس اذا اردت بالبأس معاينة اسباب الموت بحيث يعلم قطعا ان سلطان الموت مدركه لا محالة كما اخبر الله تعالى (**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ اِيمَانُهُمْ لَمَّا رَاَوْا بَاْسَنَا**) وهذا البيان لان البأس ما هو وقد ذكر في بعض الفتاوى ان توبة اليأس مقبولة ان اراد باليأس ما ذكرنا يرد عليه ما قلنا وان اراد بالبأس القرب من الموت مطلقا فلا كلام فيه لكن الظاهر ان زمان البأس زمان اليأس ومعاينة الهول والمسطور في الفتاوى ان توبة البأس مقبولة بخلاف ايمان اليأس لان الكافر اجنبي غير عارف بالله تعالى وابتدأ ايمانا وعرفانا والفاسق عارف وحاله حال البقاء والبقاء اسهل وقوله تعالى (**حَتَّى اِذَا حَضَرَ اَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ اِنِّي تُبْتُ اْلئَنَ**) يحتمل ان يراد به تقييد التوبة بالآن بان يقيد توبته بزمان العجز كما يقال تاب يوما او عاما والدليل على قبولها مطلقا اطلاق

قوله تعالى (**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** * الشورى: ٢٥) انتهى كلام البزازي فتحصل لك ان ايمان البأس غير مقبول بالاتفاق وان توبته مختلف فيها والاصح عدم القبول وان الحالة التي تقرب من البأس قد يطلق عليها البأس والتوبة فيها مقبولة بالاتفاق فليفهم هذا المقام على النظام فانه من مزالق الاقدام وقد وقع فيه كثير خبط من بعض فضلاء الانام والحمد لله ملهم الصواب واليه المرجع والمآب.

فائدة: قيل لما وصل فرعون الى قوله وانا من المسلمين اخذ جبرائيل من اوحال البحر اي طينه الاسود فسد فمه مخافة ان تدركه الرحمة وانما فعل به ذلك عقوبة له على ما كان منه والله أعلم.

قال الناظم رحمه الله تعالى رحمة واسعة:

٤٣ وَمَا اَفْعَالُ خَيْرٍ فِي حِسَابٍ * مِنَ الْاِيمَانِ مَفْرُوضُ الْوِصَالِ

المراد **بافعال الخير** هنا الطاعة والعبادات مطلقا فيتناول البدنية والمالية وغيرهما كالصوم والصلاة والزكاة والصدقات وحب الخير للمسلمين وان اطلق الخير في بعض المواضع واريد به خصوص المال كما في قوله تعالى (**وَاِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** * العاديات: ٨) قال البيضاوي اي المال من قوله تعالى (**اِنْ تَرَكَ خَيْرًا** * البقرة: ١٨٠) وقوله **في حساب** اي في اعتداد بمعنى انها لا يحتسب ولا يعتد بها في حقيقة الايمان وليست جزء منه بل هي خارجة عن حقيقته وان كان كماله بها لانه عبارة عن التصديق وحده او مع الاقرار باللسان على ما قدمنا الاّ ان التصديق ركن لا يحتمل السقوط اصلا ولا يتوقف على شئ آخر من فعل خيرا وغيره والاقرار قد يحتمل السقوط كما في حالة الاكراه وكالخرس وقولهم انتفاء الجزء يستلزم انتفاء الكل مبني على ان الاقرار شطر وهو خلاف الراجح ولو سلم فان ذاك انما هي في الماهية الحقيقية لا الاعتبارية واذا سقط الاقرار في الجملة و لم يعتبر كان التصديق فقط نفس الايمان فمن صدق حق التصديق كان مؤمنا عند الله وان توقف اجراء الاحكام عليه على الاقرار باللسان كما قدمنا قال السعد رحمه الله والاجماع منعقد على ايمان من

صدق بقلبه وقصد الاقرار باللسان ومنعه مانع من خرس ونحوه انتهي فلا تكون افعال الخير داخلة في ذات الايمان وان حصل بها كماله ولذا قيد الناظم بقوله **مفروض الوصال** دفعا لما يتوهم من نفي كونها من الايمان ان لا يكون لها تعلق به اصلا فافاد ان المنفي كونها من حقيقة الايمان وليست متصلا به كاتصال الجزء بالكل والاّ فلها تعلق بكماله فافهم.

(**الإعراب**): ما بمعنى ليس افعال اسمها مضاف الى خير في حساب في محل نصب خبر ما ومن الايمان متعلق بحساب اي ليست محسوبة ويصح ان يجعل الظرف الثاني خبر ما وفي حساب في محل نصب حال من الايمان قدمت عليه ومفروض الوصال حال اخرى من الايمان وحذفت تنوينه واضيف والاصل مفروضا وصاله فَاَلْ في الوصال عوض عن الضمير او حال من افعال خير وحذفت منه التاء للضرورة والتقدير مفروضة الوصال وفائدة التقييد بها انه لما نفي الخير ان يكون من الايمان اوهم ان لا يكون به تعلق اصلا فدفعه بصرف النفي الى هذا القيد كما قدمنا والاّ فكمال الايمان انما هو بالاعمال.

(**وحاصل معنى البيت**): ان الاعمال الصالحة كالعبادات ليست عندنا داخلة في مفهوم الايمان ولا محسوبة منه مفروضة الاتصال لانه تعالى عطفها على الايمان بقوله (**انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** * يونس: ٩) والمعطوف غير المعطوف عليه وجعله شرطا لها بقوله: (**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ** * طه: ١١٢) والشرط غير المشروط له وخاطب بوجوب الايمان قبل وجوب الاحكام بقوله: (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** * البقرة: ١٨٣) فلو كانت من جملة الايمان لما سمّاهم بالمؤمنين قبل وجودها ولما نزل فرضية شئ منها الاّ بعد وجود الايمان وقد اثبت الايمان لمن ترك بعض الاعمال بقوله تعالى: (**وَاِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا** * الحجرات: ٩) فاثبت لهم الايمان مع وجود المقاتلة التي هي بعض الاعمال وفسره عليه افضل الصلاة واتم التسليم حين سأله جبرائيل ما

الايمان بقوله (**ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه**) ولم يذكر الاعمال ولو كانت داخلة في حقيقته لذكرها خصوصا والمقام مقام العليم وللاجماع على من آمن فمات قبل ان توجد منه الاعمال مات مؤمنا وكذا من عاش في اقصى البلاد او على رأس جبل وبقى سنين ولم يعلم بالشرائع ومات مات مؤمنا ولانه قد يرتفع العمل ولا يرتفع الايمان كالحائض فانها امرت بترك الصلاة مثلا ولا يجوز ان يقال بترك الايمان وكذا سقوط الحج والزكاة عن الفقير وهذا ما عليه اكابر العلماء كابي حنيفة رحمه الله واصحابه واختاره امام الحرمين وجمهور الاشاعرة لما قدمنا من ان حقيقة الايمان التصديق القلبي فقط او مع الاقرار باللسان وعلى القولين فالاعمال ليست داخلة فيه ويتفرع عليه ان الايمان عندنا لا يزيد ولا ينقص لكنه يقوى ويضعف وذهب الامام الشافعي والاوزاعي[١] من ائمة الحديث الى انها داخلة في الايمان وانه يزيد وينقص وعليه البخاري قال كتبت عن الف وثمانين رجلا ليس فيهم الاّ صاحب حديث كلهم كانوا يقولون الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وقيل التراع في المسألة بين الفريقين لفظي وبينه بعض المحققين بان الشافعي ومن وافقه يقولون انها ركن من الايمان الكامل بمعنى ان تاركها لا يكون كافرا بل يخرج عن الايمان الكامل لا عن حقيقة الايمان بحيث لا يكون مؤمنا اصلا كما هو قول المعتزلة قال السعد رحمه الله ولا يخفى ان هذه الوجوه يعني الدلالة على ان الاعمال ليست داخلة في حقيقة الايمان انما تقوم حجة على من يجعل الطاعات ركنا من حقيقة الايمان بحيث ان تاركها لا يكون مؤمنا كما هو رأي المعتزلة لا على من ذهب الى انها ركن من الايمان الكامل بحيث لا يخرج تاركها عن حقيقة الايمان كما هو مذهب الامام الشافعي انتهى وذهب الكرامية الى ان الايمان هو الاقرار فقط وذهب بعض المعتزلة الى انه العمل فقط فتحصل ان

---

(١) عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي توفي سنة ١٥٧ هـ. [٧٧٤ م.] في بيروت

الاقوال خمسة في ثلاثة منها هو بسيط وفي واحد منها هو مركب من اثنين وفي واحد مركب من ثلاثة واحتج من قال بدخول الاعمال في الايمان وانه يزيد باعتبارها وينقص بقوله تعالى (**وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ اِيمَانًا** * الأنفال: ٢) واجيب بان المعنى والله اعلم زادتهم نور الايمان والتمكن منه لا نفس الايمان اذ لو كانت داخلة في حقيقته لزم عدم الفائدة في خطابه تعالى بالايمان في حق من علم ايمانه كقوله تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلَوةِ** * المائدة: ٦) وقوله تعالى (**اَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَآتُوا الزَّكَوةَ** * النور: ٥٦) وغير ذلك كما قدمنا ولو كان ما أمر به من الاعمال من حقيقة الايمان لدخل في خطاب الايمان ولخرج خطاب الامر بالاعمال عن الفائدة تعالى كلام الرب عن ذلك علوا كبيرا قال في شرح العقائد وما ورد من الآيات الدالة على زيادة الايمان كقوله تعالى (**وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ اِيمَانًا**) فمحمول على ما ذكره ابو حنيفة رحمه الله من انهم كانوا آمنوا في الجملة ثم يأتي فرض بعد فرض وكانوا يؤمنون لكل فرض خاصّ فالزيادة انما هي باعتبار زيادة ما يجب الايمان به تفصيلا وهذا لا يتصور في غير عصر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى فإن قلت ان بعض الاحكام ثبت بعد النبي عليه السلام كالثابت بالاجماع قلنا هو مؤمن به قبل اجماعهم اجمالا بقوله عليه السلام (**عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين من بعدي**).

تتمة: الايمان والاسلام واحد اذ الاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الاحكام والاذعان حقيقة التصديق على ما قدمنا ويؤيده قوله تعالى (**فَاَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** * الذاريات: ٣٥-٣٦) وبالجملة لا يصح في الشرع ان يحكم على احد بانه مؤمن وليس بمسلم او مسلم وليس بمؤمن ولا نعني بوحدتهما سوى هذا وظاهر كلام المشايخ انهم ارادوا عدم تغايرهما بمعنى انه لا ينفك احدهما عن الآخر لا الاتحاد بحسب المفهوم لما ذكر في الكفاية من ان الايمان هو تصديق الله فيما اخبر به من اوامره ونواهيه والإسلام

هو الانقياد والخضوع لالوهيته وذا لا يتحقق الاّ بقبول الامر والنهي فان الايمان لا ينفك عن الاسلام حكما ومن اثبت التغاير يقال له ما حكم من آمن ولم يسلم او اسلم ولم يؤمن اي اثبت لاحدهما حكما ليس بثابت للآخر والاظهر بطلان قوله فان قيل قوله تعالى (**قَالَتِ ٱلاَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا اَسْلَمْنَا** * الحجرات: ١٤) صريح في تحقيق الإسلام بدون الايمان قلنا المراد ان الاسلام المعتبر في الشرع لا يوجد بدون الايمان وهو في الآية بمعنى الانقياد والظاهر من غير انقياد الباطن بمنزلة المتلفظ بكلمة الشهادة من غير تصديق في باب الايمان فان قيل قوله عليه السلام في تفسير الاسلام (**ان تشهد ان لا اله الاّ الله وانّ محمدا رسول الله وتقيم الصلاة**) الحديث دليل على ان الاسلام هو الاعمال دون التصديق القلبي الذي فسر به الايمان فلا يكون الاسلام والايمان واحدا قلنا المراد ان ثمرات الاسلام وعلاماته ذلك كما قال عليه السلام للوفد (**أتدرون ما الايمان بالله وحده**) قالوا الله ورسوله اعلم فقال صلى الله عليه وسلم (**شهادة ان لا اله الاّ الله وانّ محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس**) وكما قال عليه افضل الصلاة والسلام (**الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الاّ الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق**) فقد اطلق الايمان على ثمراته وما يكون به كماله والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله تعالى رحمة واسعة:

٤٤ وَلاَ يُقْضَى بِكُفْرٍ وَارْتِدَادٍ * بِعَهْرٍ اَوْ بِقَتْلٍ وَاخْتِزَالِ

العهر فتح العين المهملة وسكون الهاء الزنا واسم الفاعل منه عاهر ومنه قوله عليه السلام (**الولد للفراش وللعاهر ٱلحَجَرُ**) اي وللزاني الرجم بالحجر والمراد **بالقتل** قتل النفس المعصومة عمدا بغير حق غير مستحل قتلها ويتبعه قتل عضو معصوم كذلك والاختزال بالخاء المعجمة والتاء المثناة والزاء اي الاقتطاع والمراد اقتطاع مال معصوم بغير حق كالسرقة ونحوها وفي معنى ذلك جميع مظالم العباد فانها كلها كبائر وانما اقتصر على هذه الثلاثة منها لانها اعظمها بعد الكفر ولذا خصها عليه السلام

بالذكر في النهي عن انتهاكها بقوله (**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**) رواه مسلم وجعلها كل المسلم لان قوامه بها وروى ابن عمر رضي الله عنهما انها تسعة اعظمها الشرك بالله تعالى ثم قتل النفس وقذف المحصن والزنا والفرار من الزحف والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد في الحرم اي الذنب فيه قيل ولو صغيرة فالكبيرة فيه كبيرتان وزاد فيه ابو هريرة رضي الله عنه اكل الربا وزاد علي رضي الله عنه السرقة وشرب الخمر وقيل هي كل ما توعد عليه الشارع بخصوصه في كتاب او سنة وقيل كل معصية اصرّ عليها العبد فهي كبيرة وما استغفر عنها فهي صغيرة وقيل غير ذلك وبالجملة فالمؤمن لا يخرج عن ايمانه بفعل شئ منها او فعل كلها ما عدا الكفر.

(**الإعراب**): لا نافية يقضى مضارع مبني للمفعول من قضى بمعنى قدر او قطع والمراد ان لا يحكم او لا يقطع بكفره ونائب فاعله محذوف اي على المؤمن وبكفر متعلق بيقضى وارتداد معطوف على كفر وبعهر وما عطف عليه متعلق بكفر والباء سببية واو بمعنى الواو او على بابها وهو ابلغ.

(**وحاصل معنى البيت**): انه لا يحكم بكفر المؤمن عن الاسلام وخروجه عن الايمان بسبب ارتكابه زنا او قتل نفس او سرقة مال معصوم او غير ذلك كترك عبادة تكاسلا او كل ما هو كبيرة غير الكفر فان شيئا من ذلك او مجموعه لا يخرج المؤمن من ايمانه لبقاء التصديق ما لم يستحل شيئا من ذلك وهذا مذهب اهل السنة والجماعة خلافا للخوارج حيث قالوا بكفره وخلوده في النار زعما بان الايمان لا يجامع المعصية ولا واسطة عندهم بين الكفر والايمان بخلاف المعتزلة حيث زعموا ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر واثبتوا له منزلة بين المنزلتين يزعمون انه ليس بمؤمن لانتفاء الاعمال الصالحة التي هي عندهم جزء من حقيقة الايمان على زعمهم ولا كافر لبقاء التصديق الذي هو اصل الايمان واحتج كل من الفريقين بظواهر ادلة متروكة الظاهر مردودة بما في المطولات ونحن نقول انه يكون بذلك عاصيا تحت

المشيئة باقيا على ايمانه حيث لم يكن مستحلا شيئا من ذلك و لم تكن الكبيرة شركا قال الله تعالى (**اِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشآءُ** * النساء: ١١٦) ولا نقول ان المعصية لا تضر مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر كما ذهب اليه اهل البدعة بل نقول لها دخل في ضعف الايمان نعم اذا فعل المعصية على طريق الاستحلال او ترك الطاعة على الانكار او الاستخفاف فلا كلام في ان يكون كفرا لكونه علامة التكذيب ولا نزاع في ان من المعاصي ما جعله الشارع امارة التكذيب وعلم كونه كذلك بالادلة الشرعية ولا يتوقف على النية كالسجود للصنم والقاء المصحف في القاذورات ونحو ذلك مما ثبت بالادلة القطعية.

تنبيه: الكفر لغة الستر واصله الكفر بفتح الكاف سمي به لانه ستر الايمان وشرعا جحد ما علم بالضرورة مجئ النبي صلى الله عليه وسلم به كما مر وهو اربعة اقسام **الاول** كفر الجحود وهو ان يعرف الحق ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وامية بن ابي الصلت **الثاني** كفر النفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد بقلبه كالمنافقين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم **الثالث** ان يعلم بقلبه ويقر بلسانه ولكن يأبى ان يقبل الايمان فلا يدين به ككفر ابي طالب حيث قال:

إني لاعلم ان دين محمد * من خير اديان البرية دينا

لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

الرابع كفر الانكار وهو ان يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف بوحدانية الله تعالى اصلا وبقى قسم خامس وهو الكفر الطاري بان يرجع عن الايمان بعد التصديق والاذعان بالقلب واللسان وهذا القسم الذي اشار اليه المصنف والناظم رحمه الله تعالى:

٤٥ وَمَنْ يَنْوِ ارْتِدَادًا بَعْدَ دَهْرٍ * يَصِرْ عَنْ دِينِ حَقٍّ ذَا انْسِلاَلِ

النية قصد القلب مطلقا واصطلاحا قصد القلب الجازم على فعل او ترك **والردة** الرجوع عن الشئ مطلقا وفي الشرع قطع الاسلام بقول كفر او فعله او نيته

والدهر والزمان والحين بمعنى واحد وقد تقدم الدهر في الاصل اسم لبقاء مدة العلم من مبدإ التكوين الى ان ينقرض وقد يعبر به عن كل مدة طويلة و لم يتكلم فيه ابو حنيفة لورعه رحمه الله قيل سبب توقفه وعدم تكلمه فيه خبر (**لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر**) وقال صاحباه هو ستة اشهر فاكثر فاراد المصنف رحمه الله به ههنا مطلق الوقت طال او قصر **ودين الحق** هو دين الاسلام **والانسلال** هو الخروج بسهولة من انسل اذا خرج من حيث لا يدري.

(**الإعراب**): من اسم شرط جازم يجزم فعلين الاول فعل الشرط والثاني جوابه ينو: فعل الشرط مجذوم بحدف وفاعله مستتر يرجع الى من وارتدادا مفعول وبعد منصوب على الظرفية مضاف الى دهر يصر جواب الشرط مجزوم بسكون آخره وحذفت ياؤه لالتقاء الساكنين وهو من الافعال الناقصة واسمه مستتر عائد الى من او الى ضميره وانسلال مضاف اليه.

(**وحاصل معنى البيت**): ان من ينو اي يعزم بقلبه الردة والرجوع عن الاسلام او على الكفر ولو بعد مدة طويلة او قصيرة يخرج بذلك العزم عن دين الاسلام في الحال سواء فعل ما نواه بعد ذلك او لا لان قصد الكفر يزيل التصديق وبزواله يصير منافقا والمنافق كافر باطنا فان فعل ما قصد صار كافرا ظاهرا وباطنا ولانه رضي بالكفر في الحال والرضا به كفر في الحال والمآل ثم الرضاء بكفر نفسه كفر اجماعا وانما الخلاف في الرضاء بكفر غيره لقصد غيره لا لاستحسان الكفر في نفسه والاّ يكون كافرا ايضا اجماعا ولذا قالوا الكافر بطول البقاء ونحوه ان قصد استدامة كفره يكفر لانه يكون مستحسنا للكفر وان اراد يؤل امره الى الاسلام او لينتفع المسلمون بجزيته فلا واختلف في الدعاء على الظالم بموته على الكفر بقصد ان يجازي بالخلود عل ظلمه والصحيح عدم الجواز وحاصله ان قصد الكفر والرضاء به مطلقا كفر وهو غير معفو اجماعا وان كان هاذلا به لانه تعالى نهى العفو عن الشرك ايضا بقوله عزّ شأنه (**اِنَّ اللّٰهَ لاَ يَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ**) وهذا بخلاف

قصد المعصية والتصميم علي فعلها فانها مرجوّة العفو بوعده تعالى وان فعل لدخولها تحت قوله (**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ**) فان لم يكن معها تصميم و لم يفعلها كتبت له حسنة كما قال عليه السلام (**فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة**) وفي هذا رد على من زعم ان الحفظة انما تكتب ما ظهر من افعال العباد وسمع من اقوالهم محتجا بقول عائشة رضي الله عنها (**لَاَنْ اذكر الله في قلبي مرّة واحدة احبّ اليّ من ان اذكره بلساني سبعين مرة**) وذلك ان ملكا لا يكتبها وبشرا لا يسمعها واجيب عنه بان ذلك ان صح عليها فهو محمول على انها قالته قبل اطلاعها على الكتب ثم اطلاع الملكين الموكلين بالعبد على كتب الهم بالقلب على معصية او طاعة اما بكشف الله تعالى لهما على القلب وما يحدث فيه كما يقع لبعض الاولياء وأما باعلام الله تعالى اياهما بذلك ويؤيده ما وقع في حديث ابن عمر رضي الله عنهما (**فينادي الملك اكتب لفلان كذا وكذا فيقول يا ربّ انه لم يعمل فيقول انه نواه**) واما بريح يظهر لهما من القلب فريح الحسنة طيبة وريح السيئة خبيثة تمتاز بها وعلم بقوله بعد دهر انه لو نوى الارتداد في الحال يصير كافرا في الحال بالاولى ويحتمل كلامه معنى آخر وهو ان من دام على الايمان دهرا طويلا مع احسان العمل ثم بعد ذلك نوى الردّة يخرج عن الايمان في الحال ويبطل جميع ما قدمه من الخير لكن المعنى الاول ابلغ والمراد بالنية العزم والتصميم كما قدمنا لان مجرد الخطور بالبال غير معتبر اتفاقا لان ذلك ليس في وسع العبد لا يكلف الله نفسا الاّ وسعها فلو خطر له مع كراهته وخوف اظهاره بلسانه او فعله كان مثابا لانه عين الايمان ما دام مصمما على التصديق وقد قال عليه السلام (**ان الله تجاوز لامته عما وسوست به نفوسها ما لم تعمل به او تتكلم**) اذ الاحتراز عنه غير ممكن بخلاف العزم والتصميم فان الاحتراز عنه ممكن ولذا كان عزمه على الكفر ولو بعد

سنين يخرجه عن الايمان في الحال فان قلت في حديث رواه مسلم (**والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس**) قلنا معناه ان كل ما حاك في النفس واستكرهته كان اثما عند وقوعه لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وتكره ضد ذلك ولكن قالوا الهمّ بالمعصية الذي لا يؤاخذ به شرطه ان لا يصرّ عليه والاّ فهو به اثم وان تكلم اللسان بخلافه حتى ان الله تعالى يلقي في قلوب الناس ما اضمره كما روى محمد بن داود قال حدثنا محمد بن جعفر عن ابراهيم النخعي قال ان الرجل ليتكلم بالكلام وفي كلامه المقت ولكنه ينوي به الخير فيلقي الله تعالى في قلوب الناس الاعتذار عنه حتى يقولوا ما اراد بقوله هذا الاّ خيرا وان الرجل ليتكلم بكلام حسن لا ينوي به الخير فيلقي الله تعالى في قلوبهم حتى يقولوا ما اراد بقوله هذا الاّ شرا فعلم به ان العبرة لما في القلب وان الوسوسة ساقطة الاعتبار وان الجزم والتصميم هو المعتبر ولذا شرط ذلك في الايمان بحيث لا يخالطه شئ ينافيه اذ لو كان معه تردد او تشكيك لم تثبت حقيقة على ما قدمنا اذا علم هذا فلا يتصور ان يقال انا مؤمن ان شاء الله على وجه الشك لا في الحال ولا في المآل اتفاقا واما على وجه التبرك فجوزه الشافعي رحمه الله ومنعه ابو حنيفة مطلقا لان وضع هذه الكلمة على التشكيك ولذا اجمعا على انها تبطل اليمين والطلاق والعتاق والبيع والاقرار ونحو ذلك وقيد بنية الارتداد لان الكافر اذا عزم على ان يؤمن في الحال والمآل لا يخرج بذلك عن الكفر فلا يجتمع مع الايمان اذ الضدان لا يجتمعان والحمد لله الكريم المنان.

قال الناظم رحمه الله:

٤٦ وَلَفْظُ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ * بِطَوْعٍ رَدُّ دِينٍ بِاغْتِفَالِ

أراد **باللفظ** التلفظ بما يوجب الكفر عن طوع واختيار كنفي الصانع او الرسل او احدهم او تكذيب رسول او شتمه او تحليل محرم اجماعا او عكسه او نحو ذلك بما هو معلوم من الدين بالضرورة **والطوع** الاختيار ضد الاكراه واحترز به عنه كما سيأتي **والاغتفال** افتعال من الغفل بالضم وهو انعدام الشئ وانطماس اثره يقال

ارض غفل اي لا علم بها ولا اثر عمارة او من الغفل بفتح الغين بمعنى الترك يقال اغفلت الشئ وتغافلت عنه اذا تركته على ذكر وغفلت عنه اذا تركته عن ذهول.

(**الإعراب**): ولفظ مبتدأ مضاف الى الكفر من غير اعتقاد في محل نصب حال من الكفر اي حال كونه غير معتقد للتكلم لان المضاف عامل فيه او من لفظ الكفر او في محل جر صفة للكفر لانه في معنى النكرة او حال من الفاعل المفهوم من المقام اي حال كون اللافظ غير معتقد والباء في قوله بطوع بمعنى مع متعلق بلفظ في محل نصب حال من الفاعل وقوله رد بالرفع خبر المبتدإ مضاف الى دين من ضافة المصدر الى مفعوله وقوله باغتفال متعلق برد والباء للملابسة.

(**وحاصل معنى البيت**): ان من اجرى كلمة كفر على لسانه حال كون الكفر غير معتقد له او حال كونه غير معتقد للكفر وحال كونه طائعا مختارا يصير مرتدا بذلك عن الاسلام تاركا للدين عن اصله او مع غفلته عن كونه صار مرتدا خارجا عن دين الاسلام ودائرة الاحكام لزعمه عدم كفره بعد اعتقاده الكفر وهذا ما عليه ائمة بخارى وسمرقند وعليه الفتوى كما قال الشارح الحنفي فعلم ان القيود ثلاثة ان لا يعتقد الكفر وان لا يكون مكرها عليه وان يكون غافلا عن كون ذلك اللفظ مكفرا وقيل ان الفتوى على انه لا يكفر والجهل عذر واستظهره بعض المشايخ لان الجهل غالب في اكثر العوام بحيث لا يميزون بين الالفاظ المكفرة وغيرها فيلزم عليه تكفير كثير من المسلمين ولو اعتقد مع ذلك الكفر يكفر اتفاقا ولو كان يعلم ان ذلك اللفظ مكفر فتلفظ به عمدا عن طوع من غير اعتقاد غير حاك له عن غيره يكفر ايضا فتحصل المسألة باربعة اوجه يكفر في صورتين ولا يكفر في صورة والخلاف في صورة المتن وقد علمت ما فيها وبقى وجه خامس وهو ما اذا سبق لسانه غلطا الى كلمة كفر فانه لا يكفر بخلاف الطلاق والعتاق وسادس وهو ما اذا نقله على لسان غيره كقوله: النصارى يقولون المسيح ابن الله فلا يكفر اتفاقا ثم الاكراه المبيح للتلفظ به لا بد ان يكون بما يزيل الرضاء بان لا يكون بنحو قتل او

قطع عضو او ضرب يخاف منه تلف النفس مع اطمئنان قلبه بالايمان كما وقع لعمار بن ياسر رضي الله عنه حين اسره المشركون و لم يخلوا سبيله حتى تكلم بالنبي صلى الله عليه وسلم فحين جاءه قال له صلى الله عليه وسلم **(ما تركت وراءك)** قال شرا يا رسول الله ثم اخبره بذلك فقال عليه السلام **(كيف وجدت قلبك)** قال مطمئنا بالايمان فقال عليه السلام **(ان عادوا فعد)** قيل اي فعد الى التكلم مع الاطمئنان وقيل الى الاطمئنان وفيه نزل قوله تعالى **(اِلاَّ مَنْ اُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنّ بِالْايمَانِ** *النحل: ١٠٦) وان صبر على القتل كان مأجورا كما روي ان خبيبا رضي الله عنه صبر على القتل حتى صلب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم **(سيّد الشهداء)** ولو اكره بقيد او حبس او اخذ مال او ضرب قيل لا يخاف منه تلف نفس او عضو لا يباح له ذلك قال علي القاري رحمه الباري من فروع الارتداد انه تبطل اعماله الصالحة وتقع الفرقة بينه وبين امرأته ولو جدد الايمان خلافا للشافعي لانه لا يبطلها الاّ بالموت على الكفر وعندنا تعود اعماله السابقة لكن قالوا تعود بلا ثواب ويجب عليه حجة الاسلام لان وقت الحج ممتد الى آخر العمر وكذا لو اسلم في آخر وقت صلاة ارتد في اوله بعد ادائها يجب اعادتها لبقاء الوقت وامكان التدارك وأما الصلوات ونحوها الواقعة في ايام الارتداد فلا يجب قضاؤها قال شيخنا اقول وكذا يبطل وقفه وروايته للحديث فيجب اعادة وقفه بعد الاسلام كما صرح بذلك في كتب الفروع انتهى والالفاظ المكفرة وغير المكفرة والمختلف فيها مذكورة في المطولات وقد بالغ في ذلك صاحب البزازية وقال ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيهوي بها في النار فهو لا يدري فينبغي للمسلم ان يتحرز في كلامه عن سقطات اللسان واذا طغى لسانه من غير قصد ينبغي ان يحمل على وجه حسن ولو رواية ضعيفة لئلا يلزم عليه تكفير كثير من المسلمين قال ابن نجيم[١] وقد آليت على نفسي ان لا افتي بتكفير مسلم في

(١) ابن نجيم زين العابدين الحنفي المصري توفي سنة ٩٧٠ هـ. [١٥٦٢ م.]

كفره خلاف ولو رواية ضعيفة والله الموفق والمرشد.

قال الناظم رحمه الله:

٤٧ وَلاَ يُحْكَمْ بِكُفْرٍ حَالَ سَكْرٍ * بِمَا يَهْذِي وَيَلْغُو بِارْتِجَالِ

هذا البيت يشبه ان يكون تفريعا على البيت السابق اذ لا اعتقاد ولا طواعية مع حقيقة **السكر** ويهذي بالذال المعجمة مضارع هذي اذا تكلم بكلام لا معنى له من غير روية يقال هذى في منطقه **يهذي** هذيا وهذيانا اذا تكلم بغير معقول لمرض او غيره **ويلغو** مضارع لغا في كلامه اذا تكلم بكلام لا فائدة فيه او باطلا من غير قصد فهو اخص من الهذيان ويقال كلام ملغى اي مطروح من الغيته اذا طرحته ومنه يمين اللغو التي لا ينعقد عليها القلب ولا يترتب عليها حكم قال تعالى (**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ الله بِاللَّغْوِ فِي اَيْمَانِكُمْ** * البقرة: ٢٢٥) وهو المراد هنا **والارتجال** مصدر ارتجل اذا تكلم بكلام بسرعة من غير تفكر وتأمل.

(**الإعراب**): لا ناهية ونحكم بالنون او التاء على البناء للفاعل او بالياء بالبناء للمفعول مضارع حكم مجزوم بلاء الناهية بكفر متعلق به وحال منصوب على الظرفية مضاف الى سكر بما الباء للسببية متعلقة بكفر او بسكر وما مصدرية او نكرة موصوفة ويلغو عطف على يهذي وفاعلهما مستتر يعود الى السكران المفهوم من السكر والعائد محذوف اي به او فاعل يلغو محذوف على انه مستأنف اي ويلغو كفره دل عليه قوله بكفر وقوله بارتجال تنازع فيه الفعلان او متعلق بيلغو فقط.

(**وحاصل معنى البيت**): انا لا نحكم بكفر السكران بسبب تكلمه حال سكره بما يهذي ويلغو به من الالفاظ المكفرة من غير قصد وتفكر فيما يقول او لا نحكم بكفره بما تكلم به من كلمات الكفر بما يهذي به من المسكرات او ويلغو كفره في الحال ولا يعتبر ثم اعلم ان كلام المصنف مجمل يحتاج تفصيله الى مقدمتين الاولى في سبب السكر وقد قالوا انه على نوعين الاول ما يكون بطريق مباح كشرب الدواء والسكر والبنج وما يتخذ من الحبوب والعسل ونحوه فهذا لا يقع

طلاقه ولا عتاقه ولا تنعقد لانه ليس من جنس اللهو فصار كالمريض النوع الثاني السكر بطريق محظور كشرب الخمر ونحوه ومنه العَرَق لانه من اجزاء الخمر ونجاسته مغلظة فهذا لا ينافي الخطاب ببطلان اهليته وتلزمه الاحكام وتنفذ تصرفاته كلها تغليظا عليه لا الردة فلا يحكم بها عليه استحسانا لانها تتوقف على القصد وغيرها من التصرفات كالطلاق والعتاق يتعلق بالالفاظ واذا لم يحكم عليه بالردة في هذا ففي النوع الاول بالاولى ولذا اطلقه المصنف رحمه الله والاصل فيه ما روي ان صحابيا امّ قوما في صلاة المغرب وهو سكران قبل ان تحرم الخمر فقرأ قل يا أيّها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الى آخرها وترك كلمة لا وبتركها يكفر المؤمن العاقل الصاحي مع ان الله تعالى خاطبه بلفظ المؤمن في قوله (**يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلَوةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** * النساء: ٤٣) فصار ذلك سببا في تحريم السكر ثم حرمت مطلقا والثانية في حد السكر وحده عند ابي حنيفة رحمه الله ان يصير بحال لا يعرف الرجل من المرأة ولا الارض من السماء وقيل ان تختل مشيته وقيل ان يختلط كلامه وقيل غير ذلك وحاصله ان المراد ان يصير بحال لا يعني ما يقول ولا يفرق بين الخير والشر فان فرق يحكم بكفره اتفاقا والله اعلم واحكم.

قال الناظم رحمه الله:

٤٨ وَمَا الْمَعْدُومُ مَرْئِيًّا وَشَيْئًا * لِفِقْهٍ لاَحَ فِي يُمْنِ الْهِلاَلِ

المعدوم خلاف الموجود يشتمل المستحيل والجائز **والمرئي** اسم مفعول من رأيت الشئ فهو مرئي من الرؤية البصرية واراد **بالفقه** الفهم **وباليمن** البركة **والهلال** في الاصل رفع الصوت ثم سمي به القمر لليلتين من اول الشهر وليلتين من آخره وقيل لثلاث من اوله ثم يسمى قمرا بقية الشهر وقيل هو هلال حتى يبهر بضوئه السماء وذلك لليلة سبع ويمنه في اوائله لان اواخره ادبار وقيل اراد بيمنه لياليه البيض وهي ليلة الثالثة عشر والرابعة عشر والخامسة عشر وهو مناسب هنا لان المراد شدة ظهوره وهو في هذا أظهر اذ المعنى على التشبيه او الاستعارة كما لا يخفى.

(**الإعراب**): ما بمعنى ليس المعدوم اسمها مرئيا خبرها وشيئا معطوف على مرئيا لفقه اللام تعليلية وفقه مجرور بها في محل رفع خبر مبتدإ محذوف اي وذلك لفقه لاح ماض بمعنى ظهر وفاعله مستتر يعود على فقه والظرف متعلق به ويمن مضاف والهلال مضاف اليه وجملة لاح ومتعلقه في محل جر صفة فقه.

(**وحاصل معنى البيت**): ان المعدوم ليس مرئيا لله تعالى ولا يطلق عليه شئ اذ الشئ هو الموجود والمعدوم ضده وذلك لظهور العلم بذلك ظهورا بينا واشتهاره عند ارباب العقول كظهور الهلال المبارك للناظرين وارتفاعه ليلة كماله بحيث لا يخفى الاّ على من اعمى الله بصره وبصيرته اذ الرؤية انما تتعلق بالموجود والمعدوم ضده ليس بشئ قال تعالى (**وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا** * مريم: ٩) قال في المقاصد وهذا ما ذهب اليه اهل الحق من ان المعدوم ليس بشئ وانما هو نفي محض وفيه الرد على المعتزلة القائلين ان المعدوم شئ مستدلين بقوله تعالى (**اِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْئٌ عَظِيمٌ** * الحج: ١) فقد اطلق عليها اسم الشئ مع انها الآن معدومة والجواب ان معناه ان زلزلة الساعة يكون شيئا عظيما عند وجوده وما اخبر به تعالى انه سيكون فهو كالكائن فصح الاطلاق ثم اعلم ان المعدوم على نوعين معدوم ممتنع الرؤية وهو ما يكون وجوده محالا وعدمه واجبا كشريك الباري تعالى وكاجتماع الضدين والثاني المعدوم البسيط الممكن الوجود والعدم فالرؤية لا تتعلق بالنوع الاول ولا يطلق عليه اسم الشئ اتفاقا والخلاف في النوع الثاني قبل وجوده فعند اهل السنة لا تتعلق به الرؤية ولا يسمى شيئا لان علة الرؤية والتسمية الوجود وهو منتف اذ الشئ هو الموجود وكل موجود شئ كما هو مذهب الاشعري ايضا وتمامه في شرح المواقف من الخاتمة وقال وفيه الحال وهو الواسطة بين الموجود والمعدوم اثبته امام الحرمين وابو هاشم وبطلانه ضروري ثم نقل التوفيق والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

٤٩ وَغَيْرَانِ الْمُكَوَّنُ لاَ كَشَيْءٍ * مَعَ التَّكْوِينِ خُذْهُ لِاكْتِحَالِ

غيران مثنى غير و**المكوّن** بفتح الواو المشددة اسم مفعول من التكوين و**التكوين** مصدر من كون بتشديد الواو وقد اثبته علماؤنا صفة لله تعالى زائدة على القدرة والارادة وقالوا بقِدمه وفسروه بانه صفة حقيقية وهي مبدأ الصفة الاضافية التي هي اخراج المعدوم الى الوجود لا عينها لان نفس الاخراج وصف اضافي في حادث وقديم والمكوّن هو الشئ الحاصل بالتكوين فهما متغايران.

(**الإعراب**): غيران خبر مقدم والمكون مع التكوين مبتدأ مؤخر وفصل بينهما بالجملة المحذوفة المبتدأ الواقعة صفة لغيران او تأكيد له او خبر بعد خبر اي لا هما كشئ واحد على ما فيه من التسامح في التركيب لضرورة الوزن ولا يصح ان يقدر ذلك المبتدأ مفردا راجعا للمكون اي لا هو كشئ ويتنازع مع المكون في مع التكوين كما لا يخفى وخذه فعل امر والهاء مفعوله راجع لمقدر اي خذ هذا الكلام او هذا التقرير او نحو ذلك ولاكتحال متعلق بخذ واسقطت همزته تخفيفا.

(**وحاصل معنى البيت**): ان المكون والتكوين متغايران لا هما متحدان كشئ واحد فاحْتَفِلْ بهذا الكلام فانه يجلو البصيرة كما يجلو الكحل البصر لان التكوين الايجاد والمكون هو الشئ الذي يوجد بالتكوين وهما متغايران اذ الفعل غير المفعول والسبب غير المسبب وذهبت المعتزلة الى انهما شئ واحد ونسب ايضا الى الاشعري لكن المحقق التفتازاني[١] والشارح الشافعي ردا نسبة ذلك على ظاهره اليه وحملا كلامه على محمل صحيح قال المحقق رحمه الله من قال ان التكوين عين المكون اراد ان الفاعل اذا فعل شيئا فليس ههنا الاّ الفاعل والمفعول واما المعبر عنه بالتكوين فهو امر اعتباري يحصل في العقل من نسبة الفاعل الى المفعول وهو ليس امرا محققا مغايرا للمفعول في الخارج و لم يرد ان مفهوم التكوين هو بعينه مفهوم المكون وهذا خلاصة كلامه في شرح المقاصد والعقائد ونقله علي القاري لكن مقتضى ما في الطوالع ان

---

(١) سعد الدين التفتازاني مسعود الشافعي توفي سنة ٧٩٢ هـ. [١٣٨٩ م.] في سمرقند

الخلف حقيقي قال البحث الخامس في التكوين قال الحنفية التكوين صفة قديمة مغايرة للقدرة فان متعلق القدرة قد لا يوجد اصلا بخلاف متعلق التكوين والقدرة تتعلق بامكان الشئ والتكوين بوجوده قلت الامكان بالذات فلا يكون بالغير والتكوين هو التعلق الحالي ولذا يترتب عليه الوجود كما قال الله تعالى (**اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْئٍ اِذَآ اَرَدْنَاهُ اَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ** * النحل: ٤٠) انتهى فبعد قوله والتكوين هو التعلق الحالي كيف يمكن التوفيق فتدبر وبالله التوفيق والاظهر الموافق لمذهبنا ما قاله في العقائد وشرحه قال ولما استدل القائلون بحدوث التكوين بانه لا يتصور بدون المكون كالضرب بدون المضروب ولو كان قديما لزم قدم المكونات وهو محال اشار الى الجواب بقوله وهو اي التكوين هو تكوينه تعالى للعالم ولكل جزء من اجزائه لوقت وجوده على حسب علمه وارادته فالتكوين باق ازلا وابدا والمكون حادث بحدوث المتعلق كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها لكون متعلقاتها حادثة وهذا تحقيق ما يقال ان وجود العالم ان لم يتعلق بذات الله تعالى وصفة من صفاته لزم تعطيل الصانع واستغناء تحقق الحوادث عن الموجد وهو محال وان تعلق فاما ان يستلزم ذلك قدم ما يتعلق وجوده به فيلزم قدم العالم فهو باطل فليكن التكوين ايضا قديما مع حدوث المكون المتعلق به فافهم والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٥٠ وَاِنَّ السُّحْتَ رِزْقٌ مِثْلَ حِلٍّ * وَاِنْ يَكْرَهْ مَقَالِي كُلُّ قَالِ

السحت بضمتين وبسكون الثاني ايضا وهو الاكثر هو الحرام الذي لا يحل كسبه ولا الانتفاع به سمي به لانه يسحت البركة اي يذهبها **والرزق** بكسر الراء بمعنى الشئ المرزوق الذي قدره الله تعالى للحيوان مدة حياته واراد **بالحل** المقابل للسحت **والمقال** مصدر ميمي بمعنى القول والمراد المقول والقالي اسم فاعل اي المبغض من القِلا بالكسر هو البغض او الترك والهجر واراد بهم المعتزلة يعني ان الحرام

عندنا يعدّ من الرزق كالحلال لان الرزق اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان لينتفع به وذلك قد يكون حلالا وقد يكون حراما وهذا اولى من تفسيره بما يتغذى به الحيوان لخلوه عن معنى الاضافة الى الله تعالى مع انه معتبر في مفهوم الرزق وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لانهم فسروه تارة بمملوك يأكله المالك وتارة بما لا يمنع من الانتفاع به وذلك لا يكون الاّ حلالا ويلزمهم على الاول ان لا يكون ما يأكله الدواب رزقا وعلى الوجهين ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا وفساده ظاهر ومبنى هذا الاختلاف على ان الاضافة الى الله تعالى معتبرة في معنى الرزق وانه لا رازق سواه تعالى وان العبد يستحق الذم والعقاب على اكل الحرام ولا يستحق ذلك الاّ على ارتكاب القبيح وما يكون مسندا الى الله لا يكون قبيحا ومرتكبه لا يستحق الذم والعقاب والجواب ان استحقاق ذلك لسوء مباشرته اسبابه باختياره وخالق المليح والقبيح هو الله لا سواه ثم اعلم ان الحرام وان كان عندنا رزقا الاّ انه اضرّ ما يكون على آكله في دنياه وآخرته ولذا سماه الله تعالى خبيثا بقوله (**وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ** * البقرة: ٢٦٧) وقال صلى الله عليه وسلم (**من اكتسب مالا من حرام فانفق منه ووَصَل رَحِمَهُ كان ذلك اضرارا عليه**) اخرجه الحاكم وابن حبان، واخرج احمد عن ابن عمر رضي الله عنهما (**من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيها درهم من حرام لم يقبل الله عزّ وجلّ صلاته ما دام عليه**) ثم ادخل اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما (**من اكل لقمة من حرام لم يقبل الله عمله اربعين صباحا ومن اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان خلفه من بعده كان دليله الى النار ومن اكل الحلال اربعين صباحا نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة على لسانه ومن سعى على عياله من حل كان كالمجاهد في سبيل الله**) وفي الحديث (**من حج بمال حرام فقال لبيك قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك**) واخرج ابن سعد[١] عن

---

(١) ابن سعد محمد البصري توفي سنة ٣٣٠ هـ. [٩٤٢ م.]

عمر بن عبد العزيز انه قال يوما قد اكلت الليلة حمصا وعدسا فنفخني فقال له بعض القوم يا امير المؤمنين ان الله تعالى يقول (**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** * البقرة: ٥٧) فقال عمر هيهات هيهات ذهبت به الى غير مذهبه انما يريد طيب الكسب ولا يريد به طيب الطعام.

(**الإعراب**): ان هنا بكسر الهمزة على الظاهر والسحت اسمها ورزق خبرها ومثل صفة رزق مضاف الى حل اي مماثلا للحل وان وصلية على الاظهر اي اقول ذلك وان يكره الى آه ويحتمل ان يكون شرطية بحذف جواب الشرط والتقدير وان يكره اقل ذلك وعلى كل فيكره مجزوم بها ومقالي مفعول مقدم ويحتمل الوزن فتح يائه وتسكينها وكل فاعل مؤخر مضاف الى قال والكلية حقيقية او اضافية.

(**وحاصل معنى البيت**): ان الحرام عندنا رزق كما ان الحلال رزق لانه ما يسوقه الله تعالى الى الحيوانات لينتفع به حلالا كان او حراما و ان كان ضررا عليه لانه تعالى لا يجب عليه فعل الاصلح للعبد و الخير و الشر كله بيده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد كما قدمنا وهو المبنيّ عليه زعم المعتزلة من ان الحرام ليس برزق للانسان و انه قبيح و القبيح لا ينسب اليه تعالى كما قدمنا قال شارح والاختلاف فيه بناء على ان الرزق عندنا هو الغذاء المقدر للحي المتغذي فما قدره الله تعالى ان يكون غذاء الحيوان معين لا يصير غذاء لغيره سواء ملكه او لم يملكه و عندهم الرزق اسم للملك تمسكا بقوله تعالى (**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** * الأنفال: ٣) اي مما ملكناهم قلنا الرزق هنا مفسر بالتقدير من الغذاء وهو غير التمليك وما ذكروه فيه من ان الاصلح للعبد ان يقدر له من الحلال دون الحرام والاّ لكان ظلما ممنوع بما قدمنا من انه لا ايجاب عليه تعالى و الاّ لكان فوقه موجب و هو باطل و ايضا لو كان الرزق هو الملك لما رزق الدواب لانتفاء اهلية التملك وكذا المماليك عندنا لكن الكل مرزوقون عندنا بقوله تعالى (**وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْاَرْضِ اِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا** * هود: ٦).

قال الناظم رحمه الله:

٥١ وَدُنْيَانَا حَدِيثٌ وَالْهَيُولَىَ * عَدِيمُ الْكَوْنِ فَاسْمَعْ بِاجْتِذَالِ

الدنيا بضم الدال على الاشهر وزنها فعلى مقصورة كحبلى غير منوّنة اذ هي غير منصرفة للوصفية ولزوم الف التأنيث وحكي فيها كسر الدال سميت لسبقها الدار الآخرة وقربها منها من الدنو وهو القرب او لدنوها من الزوال ولدناءتها من الدناءة اي الخسة وفي حقيقتها قولان للمتكلمين احدهما انها الارض مع الهوى والجو والثاني جميع المخلوقات من الجواهر والاعراض الموجودة قبل الآخرة ورجح الثاني وهو المناسب ههنا وهي بما فيها حادثة عند اهل السنة والجماعة.

فرع: كثير من القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من بيان الشرائع كيف لا وهي عدوة الله تعالى لقطعها طريق الوصلة اليه وعدوة اوليائه لتزينها لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه لاستدراجها لهم حتى خذلتهم وصح انه عليه افضل الصلاة والسلام رأى شاة ميتة فقال (**والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله تعالى من هذه الشاة على اهلها ولو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء**) وفي الخبر الحسن؛ (**الدنا ملعونة ملعون ما فيها الاّ ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم**) وصح ان ابا بكر رضي الله عنه دعا بشراب وعسل فلما جئ به بكى حتى بكى اصحابه فسألوه عن ذلك فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال (**هذه الدنيا مثلت لي فقلت اليكِ عني فرَجَعَتْ ثم قالت انك اُفلِتَّ مني لم يفلت مني من بعدك**) وصح من جملة الحديث المشهور (**فو الله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تسلط عليكم الدنيا كما سلطت على من قبلكم فَتُنَافِسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم**) وقدمنا ايضا والحديث ضد القديم ومعنى الهيولى عند القائلين بها وهم الفلاسفة والدهرية طينة العالم وهيولى الشئ مادته التي يتخذ

منها كالخشبة يتخذ منها السرير والباب ونحوهما وكالحنطة يتخذ منها الخبز ونحوه وهم اختلفوا في الطينة فمنهم من قال هي الطبائع الاربع: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واصل العالم هذه الاربع وهي عندهم قديمة ومنهم من قال هي الاستقصات وهي الماء والتراب والنار والهواء وهي قديمة عندهم وحاصله انهم قائلون بقدم الممكنات كالهيولى يزعمون انه محتاج الى العقل الاول صادر عنه دائم بدوامه قديم بقدمه وهو ظاهر البطلان لان العالم على زعمهم مركب من الهيولى والهيولى قديم فيلزم قدم العالم والاجسامِ والصورِ ونفي حشر الاجساد كما قدمنا وسنبين ايضا وجه فساده وقوله **باجتذال** بالجيم والذال المعجمة الفرح اي فاسمع مقالي ملتبسا بالفرح والسرور بسماع هذا الحق.

(**الإعراب**): دنيانا مبتدأ وحديث خبره وفعيل يستوي فيه المذكر والمؤنث او المعنى مخلوق حديث والهيولى مبتدأ وعديم الكون خبره وقال بعض الناس الهيولى معطوف على دنيانا وحديث خبر عنهما وفيه نظر من جهة المعنى والاعراب كما لا يخفى على اولي الالباب.

(**وحاصل معنى البيت**): ان الدنيا وما فيها بجميع اجزائها محدثة فانه تعالى احدث هذا العالم بعد ان كان معدوما واوجده بعد ان لم يكن شيئا مذكورا على وفق ما سبق في علمه الازلي من غير توقف قدرته على مادة وابداعه على استفادة فائدة والقول بكون الهيولى اصل العالم ومادة بني آدم من العناصر الاربعة او غيرها وانه قديم في الكون قول قديم وفهم سقيم مخالف للادلة النقلية والعقلية قال تعالى (**وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا** * مريم: ٩) ولانه يلزم ان تتوقف قدرته تعالى وايجاده على مادة فيلزم العجز وينتفي وصفه بالبديع اي المبدئ ويلزم قدم العالم وكل ذلك ظاهر البطلان كما يدل عليه ظاهر من القرآن قال الله تعالى (**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ وَاِذَا قَضَى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ** * البقرة: ١١٧) (**اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْئٍ اِذَآ اَرَدْنَاهُ اَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ** * النحل: ٤٠) الى غير ذلك من

الآيات وفي الحديث القدسي (**كنت كنزا مخفيا فاردت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف**) واظهر منه بطلانا واقوى فسادا قول القدرية: انّ بعض العالم مخلوق للعبد وهذا هو الشرك الظاهر وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام (**القدرية والجبرية مجوس هذه الامة فانهم يضيفون الخيرات الى الله تعالى والشرور الى العبد**) وقد قال تعالى (**كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله** * النساء: ٧٨).

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٥٢ وَلِلْجَنَّاتِ وَالنِّيرَانِ كَوْنٌ * عَلَيْهَا مَرَّ اَحْوَالٌ خَوَالِ

الجنات جمع جنة وهي في الاصل اسم للبستان والمراد بها ههنا التي اعدها الله تعالى لتنعم عباده المؤمنين في الآخرة **والنيران** جمع نار والمراد بها جهنم التي اعدت لعذاب الكافرين واراد **بالكون** الوجود اي لها وجود الآن **والاحوال** جمع حول بمعنى السنين اي مر عليها سنين كثيرة او جمع حال اي مر عليها احوال كثيرة من احوال العالم **والخوالي** جمع خالية اي الماضية والقرون الخالية اي الماضية يعني انه مما يجب اعتقاده ان الجنة حق والنار حق وانهما مخلوقتان موجودتان الآن وقد مر عليها ازمان كثيرة واحوال عديدة قال تعالى: (**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** * البقرة: ٣٥) والنصوص الظاهرة في اعدادهما مثل اعدّت للمتّقين اعدّت للكافرين ولا ضرورة في العدول عن الحقيقة وفيه اشارة الى الرد على المعتزلة في انكار وجودهما الآن وانهما يخلقان يوم الجزاء لعدم الاحتياج اليهما الآن واحتجوا بمثل قوله تعالى (**تِلْكَ الدَّارُ اْلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي اْلاَرْضِ وَلاَ فَسَادًا** * القصص: ٨٣) والجواب بان هذا يحتمل الحال والاستقبال وقصة آدم عليه السلام نص في الوقوع فبقيت سالمة عن المعارض على ان معنى نجعلها يحتمل ان يكون نخصها بهم كما يقال اجعل هذا لزيد وهذا لعمرو اي اخص به فلا ينافي وجودهما الآن وقولهم لو كانتا موجودتين الآن لما جاز هلاك اكل الجنة لقوله تعالى (**اُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا** * الرعد: ٣٥) لكن اللازم باطل لقوله تعالى (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ اِلاَّ وَجْهَهُ** * القصص:

٨٨) مردود لانه نقول لا خفاء في انه لا يمكن دوام اكل الجنة بعينه والاّ فكيف يصح التنعم في الآخرة وانما المراد بدوامه انه اذا فني منه شئ جئ ببدله وهذا لا ينافي الهلاك لحظة وقدمنا بقية الكلام في ذلك.

(**الإعراب**): للجنات خبر مقدم والنيران معطوف عليه وكون مبتدأ مؤخر ومر فعل ماض وفاعله احوال وعليها متعلق به ويحتمل ان يكون مصدرا مرفوعا بالابتداء مضافا الى احوال وعليها في محل رفع خبر قدم عليه وخوال صفة احوال على كل حال.

(**وحاصل معنى البيت**): ان معتقد اهل السنة ان للجنات والنيران وجود الآن وثبوت وفيما يقابله من الازمان كما يستفاد من صريح القرآن خلافا لما تزعمه المعتزلة من نفي وجودهما الآن او نفيهما بالكلية قال القاضي ذهب جمهور الامة الى ان الجنة مخلوقة والدليل عليه الكتاب والسنة واجماع الامة وقال العلامة السيوطي[١] في كتابه المسمى بشرح الصدور وقد ثبت بالادلة ان الجنة فوق السماء السابعة وان النار تحت الارض السابعة وعن مجاهد انه قال السجين صخرة تحت الارض السابعة في جهنم جعل كتاب الفجار فيها والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٥٣ وَلِلدَّعْوَاتِ تَأْثِيرٌ بَلِيغٌ * وَقَدْ يَنْفِيهِ اَصْحَابُ الضَّلَالِ

يعني ان معتقد اهل السنة ان **للدعوات تأثيرا** اي فائدة لنفس الداعي ولغيره بدعائه من حيّ او ميت باجابة الله تعالى وكذا للصدقات وفعل الخيرات لكل ذلك نفع بامر الله تعالى كما هو صريح الكتاب والسنة وعليه اجماع الامة قال تعالى (**اُدْعُونِى اَسْتَجِبْ لَكُمْ** * المؤمن: ٦٠) وقال (**اُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ اِذَا دَعَانِ** * البقرة: ١٨٦) و غير ذلك من الآيات وقال عليه السلام (**يستجاب دعاء العبد ما لم يدع**

(١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي توفي سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٥ م.] في مصر

باثم او قطيعة رحم) وقال (**ان ربكم حيّ كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا**) وقال فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما (**خمس دعوات لا ترد دعوة الحاج حتى يصدر ودعوة الغازي حتى يرجع ودعوة المظلوم حتى ينتصر ودعوة المريض حتى يشفى ودعوة الأخ لاخيه بظهر الغيب واسرع هذه الدعوات دعوة الاخ لاخيه بالغيب**) اخرجه الحافظ وصححه الطبري وقال عليه السلام (**دعاء الاحياء ينفع الاموات**) وقال عليه السلام (**اهدوا الى امواتكم**) قالوا وما الهديّة يا رسول الله قال (**الدّعاء والصّدقة**) وقال (**تصدّقوا على موتاكم فان الله تعالى وكل ملائكته يحملون صدقات الاحياء اليهم فيفرحون بها ويقولون اللّهمّ اغفر لمن نوّر قبورنا وبشّره بالجنّة كما بشّرنا**) الحديث والاخبار في ذلك كثيرة وعليه اجماع المسلمين وفي قوله **وقد ينفيه اصحاب الضلال** اشارة الى الرد على المعتزلة في زعمهم انه لا تأثير للدعاء وان العبد لا ينتفع بعمل غيره ولا بدعائه وهو مردود بما ذكرنا وقوله تعالى (**وَانْ لَيْسَ لِلانْسَانِ الاَّ مَا سَعَى** * النجم: ٣٩) اللام فيه بمعنى على او المعنى ليس له من عمل غيره شئ اذا لم يجعله له. ثم اعلم ان تأثير الدعوات في القضاء المعلق فانّ القضاء على نوعين معلق ومبرم فالقضاء المعلق يندفع بالدعاء بشروطه وهو الذي اشار اليه المصنف وكذا بالصدقات وفعل الخيرات والبر والاحسان وصلة الارحام ومبرم لازم الوقوع لما علمت من قواعدنا ان ما سبق في علمه تعالى من غير تعليق لا بد من وقوعه فهذا لا تغير ولا تبدل وانما يحصل بذلك الرفق والبركة في العمر والتيسير وعلى هذا حمل كل ما ورد من نحو (**الصّدقة تدفع البلاء وتزيد في العمر وصلة الرحم تزيد في العمر**) ونحو ذلك ثم ان للدعاء شروطا الزمها خلو جوف الداعي من الحرام لما في حديث مسلم (**يمدّ يديه الى السّماء يا ربّ يا ربّ ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانّى يستجاب له**) اي كيف ومن اين يستجاب لمن هذه صفته وقبح ما فيه فهو ظاهر في ان تناول الحرام مانع من اجابة الدعاء ومنها ان لا يدعو بحرام كان يدعو بالشر على غير مستحقه ولا بمحال ولو عادة فان الله

تعالى اجرى الامور على العادة فالدعاء بخرقها تحكم على القدرة القاضية بدوامها وذلك سوء ادب مع الله تعالى قيل الاّ بالاسم الاعظم ومنها ان لا يكون فيما يسأل غرض فاسد كطلب مال للتفاخر وطول عمر لغير طاعة ومنها ان يكون على وجه الاختيار فانه سوء ظن بالله تعالى وهو تعالى على كل شئ قدير ومنها ان لا يستعظم حاجته وان يكون حاضر القلب وتكون الاجابة عنده اغلب من الرد لخبر (**ادعو الله وانتم موقنون فان الله تعالى لا يسمع دعاء من قلب غافل لاه**) ولخبر (**يقول الله عزّ وجلّ انا عند ظن عبدي بي**) ومنها ان لا يشتغل به عن فرض ومنها ان لا يضجر من تأخير اجابة فيقول كم ادعو فلم يستجب لي فانه سوء ادب مع الله تعالى وربما كان الخير في التأخير بمقضى الحكم الالهي وان لا يدعو بدعاء مجهول او ينقله عن مجهول ما لم يسأل عنه من اهل العلم ويأخذه من استاذ مع الضبط والاتقان بقدر الامكان وان يحترز عما يعد اساءة في المخاطبات كجماع ونحوه وان يدعو باسماء الله الحسنى دون غيرها وان كان حقا كخالق الخنازير قيل وان لا يعلق بما هو شأنه تعالى كاللّهمّ افعل بي ما انت اهله في الدنيا والآخرة وروي ان ابراهيم بن ادهم[١] مر بسوق البصرة فاجتمع الناس عليه وقالوا يا ابا اسحاق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة اشياء الاول عرفتم الحق فلا تؤدوا حقه الثاني زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته الثالث قرأتم القرآن فلم تعملوا به الرابع اكلتم نعم الله تعالى و لم تؤدوا شكر الله تعالى الخامس قلتم ان الشيطان عدونا و لم تخالفوه السادس قلتم ان الجنة حق و لم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق و لم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق و لم تعتدوا له التاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم و لم تعتبروا بهم ثم اعلم ان اجابة الدعاء ليست منحصرة بالاسفاف بالمطلوب بل هي حصول واحد

---

(١) ابراهيم بن ادهم من الاولياء الچشتية في الشام توفي سنة ١٦٢ هـ. [٧٧٨ م.]

من الثلاثة في قوله عليه الصلاة والسلام (**ما من داع يدعو الاّ كان بين ثلاثة اما ان يستجاب له واما ان يدخر له**) يعني (**افضل مما طلب واما ان يكفر عنه من ذنبه**) وفي لفظ او يدفع عنه من السوء مثله.

(**الإعراب**): للدعوات في محل رفع خبر مقدم وتأثير مبتدأ مؤخر وبليغ صفة تأثير والواو في وقد للحال على الاظهر وقد حرف تحقيق ولا يحسن ان تجعل للتقليل باعتبار القائل بنفيه كما لا يخفى وينفيه مضارع مرفوع بثبوت الياء والهاء في محل نصب مفعول راجع الى التأثير واصحاب بالرفع فاعل ينفي مضاف الى الضلال.

(**وحاصل معنى البيت**): ان لدعوات المؤمنين تأثيرا بل يحصل فيه الرفق بليغا في صرف اثر القضاء المعلق على الدعاء لا القضاء المبرم وزعم المعتزلة نفي تأثيره مردود بالكتاب والسنة واجماع الامة كما تقدم.

تتمة: اختلف المشايخ في انه هل يجوز ان يقال يستجاب دعاء الكافر فمنعه الجمهور لقوله تعالى (**وَمَا دُعَآءُ الْكَافِرِينَ الاَّ فِي ضَلاَلٍ** * الرعد: ١٤) ولانه لا يدعو الله تعالى لانه غير عارف به لانه وان اقر به الاّ انه لما وصفه بما لا يليق به فقد نقض اقراره وما روي في الحديث من ان دعوة المظلوم وان كان كافرا تستجاب محمول على كفران النعمة وجوز بعضهم لقوله تعالى حكاية عن ابليس (**قَالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِي اِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** * ص: ٧٩) فقال تعالى (**فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ** * ص: ٨٠) فهذه اجابة واليه ذهب ابو القاسم الحيكم وابو نصر الدبوسي[١] وقال صدر الشهيد[٢] وبه يفتى ولكن لا يخفى ما في الاستدلال بالآية لاحتمال ان يكون ذلك اخبارا عما سبق في العلم الازلي لا استجابة فالاولى ان يقتصر في الاستدلال لهذا القول بالحديث ولا مقتضى لصرفه عن ظاهره فافهم.

---

(١) ابو زيد عبيد الله الدبوسي الحنفي توفي سنة ٤٣٤ هـ. [١٠٤٣ م.] في بخارى

(٢) صدر الشهيد حسام الدين عمر الحنفي توفي سنة ٥٣٦ هـ. [١١٤٢ م.] في سمرقند

قال الناظم رحمه الله:

٥٤ وَفِي ٱلاَجْدَاثِ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّي * سَيُبْلَى كُلُّ شَخْصٍ بِالسُّؤَالِ

الاجداث بالجيم وفي آخره ثاء مثلثة جمع جدث بسكون الدال وقد تحرك ويجمع ايضا على اجدث بضم الدال على وزن افعل جمع قلة ايضا والمراد ههنا جمع الكثرة وهو مستفاد من اَلِ الاستغراقية يقال اجدث اذا اتخذ جدثا اي قبرا وقد تبدل ثاؤه فاء لغة فيه والمشهور الاول وبه ورد القرآن الكريم وسيبلى من البلاء بالفتح والمد لا من البلى بالكسر والقصر يعني سؤال منكر ونكير في القبر حق ثابت بالدلائل السمعية يبتلي به كل شخص في قبره فيسألان عن توحيد ربها ولو كان قبره البحر او الهواء او جوف السباع او غيرها بعد رد روحه اليه وجلوسه قيل معتمدا على يديه مائلا الى قفاه فيجيب بما مات عليه من ايمان او كفر وقد وردت الاحاديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله **(اذا دفن الميّت في قبره اتاه ملكان اسودان ازرقا العينين وهما شخصان مهيبان معهما مرزبتان يقعدان العبد في قبره ويسألانه عن ثلاثة: من ربّك وما دينك ومن نبيّك فاذا اجابهما وسّعا في قبره سبعين ذراعا بشارة ويقولان له ثبّتك الله بالقول الثابت نم قرير العين وان كان كافرا يقول هاه هاه لا ادري فيقولان له لا دريت ويضربانه بمرزبة يسمعها ما بين الخافقين الاّ الجنّ والانس)** فمن انكر سؤال القبر كان معتزليا او قدريا وظاهر كلام المصنف رحمه الله تعميم السؤال اذ الاصل في كلمة كل استغراق افراد النكرة الداخلة هي عليها وهذا عند البعض من ان للانبياء والصبيان سؤالا قال السيد ابو شجاع ان للصبيان سؤالا وكذا للانبياء عند البعض وقدمناه مع زيادة لكن قال الكمال ابن الهمام في مسايرته الاصح ان الانبياء لا يسألون ولا اطفال المؤمنين واختلف في اطفال المشركين ودخولهم الجنة او النار وتردد فيهم ابو حنيفة رحمه الله وغيره ووردت فيهم اخبار متعارضة فالسبيل تفويض امرهم الى الله تعالى قال محمد بن الحسن رحمهما الله اعلم ان الله تعالى لا يعذب احدا بلا ذنب انتهى واختلف في سؤال الجن فذهب بعض

المتأخرين الى انهم يسألون لعموم الادلة ولانهم مكلفون بالايمان والنبي صلى الله عليه وسلم مرسل اليهم ايضا على الصحيح وكذا يأجوج ومأجوج في الصحيح لأنهم كفار من بني آدم وقد سئل عنهم عليه السلام هل بلغتهم دعوتك يا رسول الله قال **(مررت بهم ليلة اسري بي فدعوتهم الى الاسلام فابوا فهم من اهل النار)** واما الملائكة فلا يسئلون ولا يحاسبون على الظاهر لانهم لا ذنوب لهم وقيل يحاسبون وقدمنا معناه وسيأتي بيانه ايضا وقيل ان الكافر الصريح يعذب من غير سؤال بخلاف المنافق وقيل يسئل كل منهما وهو ظاهر الحديث المتقدم هذا وقد وردت الاحاديث في عدة من المؤمنين انهم لا يسئلون منهم الشهيد والمرابط ولو يوما وليلة في سبيل الله تعالى ومن مات يوم الجمعة وليلتها ومن داوم على قراءة سورة الملك في كل ليلة والمبطون اي صاحب الاستسقاء او الاسهال قولان فعلى هذا اطلاق المصنف في غير موضعه والمعنى كل شخص من غير نص عليه انه لا يسئل ثم اختلف هل السؤال بالسرياني او كل احد يسئل بلغته فقيل بالاول وقيل بالثاني قال بعضهم وهو الحق وقيل غير معروف بين المتكلمين وهل السؤال مرة واحدة فقيل نعم وقيل يسئل ثلاثا وقيل ان المؤمن يسئل سبعة ايام والكافر اربعين صباحا ونقل الشارح المقدسي ان سؤال القبر دون عذابه من خصائص هذه الامة تبتلي في قبورها الحديث اخرجه مسلم والحكمة في ذلك لتعجل عذابها في البرزخ فتوافي القيامة ممحصة وذكروا في خصائصه صلى الله عليه وسلم انه مما خص به في امته انهم اول من تنشق عنهم الارض من الامم ويأتون غرا محجلين وعجل عذابهم في الدنيا وفي البرزخ ليوافوا القيامة ممحصين ويدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب ونقل شيخنا ان السؤال عن النبي صلى الله عليه وسلم انما يكون عن نبينا عليه الصلاة والسلام خاصة كما هو ظاهر حديث الصحيحين **(بي تفتنون وعني تسئلون)** فهو معدود من خصائصه عليه السلام انتهى وكان هذا بناء على ان السؤال مختص بهذه الامة وان المعنى ان سؤال هذه الامة مختص بكونه عن نبينا عليه السلام دون غيره والاّ فاذا كان للامم السابقة

سؤالا فالظاهر ان يكون سؤال كل امة عن النبي الذي ارسل اليها فالخطاب في قوله عليه السلام وعني تسئلون لهذه الامة فافهم.

(الإعراب): في الاجداث متعلق بسيبلى وعن توحيد ربي متعلق بالسؤال فهو لف ونشر مرتب وقيل الظرف الثاني ايضا متعلق بسيبلى ولا معنى له كما لا يخفى وكل مرفوع نائب فاعل سيبلى وشخص مجرور باضافة كل اليه وبالسؤال متعلق بسيبلى.

(وحاصل معنى البيت): سيبلى كل شخص من المكلفين او من بني آدم في قبره بالسؤال عن توحيد ربه الاّ من استثني عن ذلك والله اعلم واحكم.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٥٥ وَلِلْكُفَّارِ وَٱلْفُسَّاقِ يُقْضَى * عَذَابُ ٱلْقَبْرِ مِنْ شَرِّ ٱلْفِعَالِ

الواو عاطفة قصة على قصة **وللكفار** متعلق بيقضى والفساق عطف على الكفار **ويقضى** على صيغة المبني للمفعول ونائب فاعله **عذاب القبر** وحذف الفاعل لتعينه لان هذا القضاء لا يكون الاّ من الله تعالى كما دل عليه القرآن الكريم **ومن شر** متعلق بيقضى او بعذاب ومن ههنا تعليلية كما في قوله تعالى (**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا** * نوح: ٢٥) وقول الشاعر:

يقضى حياء ويقضى من مهابته

كما في المغني **والفعال** بكسر الفاء جمع فعل وبالفتح مصدر كما في الصحاح وكلا المعنيين محتمل ههنا.

(وحاصل معنى البيت): ان عذاب القبر حق ثابت بالادلة واقع للكفار ولمن يستحق ذلك من عصاة المؤمنين وكذلك نعيمه للمؤمنين فوقوعه ايضا واجب وتركه المصنف رحمه الله وقد ذكر في سائر كتب هذا الفن اكتفاء بذكر المقابل ولان النصوص الواردة في عذاب القبر اكثر ولان غالب اهل القبور كفار وعصاة لكن ما ذكره اولى كما فعل غيره كالنسفي رحمه الله وقال صاحب الجوهرة:

سؤالنا ثم عذاب القبر * نعيمه واجب كبعث الحشر

وهو امر ممكن اخبر به الصادق ونطقت به النصوص قال تعالى (**اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّا الْعَذَابِ** * المؤمن: ٤٦) وقال تعالى (**وَمَنْ اَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَاِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا** * طه: ١٢٤) اريد به عذاب القبر وقال تعالى (**سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ** * التوبة: ١٠١) اي مرة في القبر ومرة يوم القيامة وقوله تعالى (**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ ٱلاَدْنىَ دُونَ الْعَذَابِ ٱلاَكْبَرِ** * السجدة: ٢١) جاء في التفسير الادنى عذاب القبر وقال عليه السلام (**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ نزلت في عذاب القبر اذا قيل له من ربك وما دينك ومن نبيك**) الحديث وقال عليه السلام (**القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران**) وبيقة الاحاديث في هذا المعنى قد بلغ جملتها حد التواتر وان لم يبلغ آحادها حد التواتر وانكر عذاب القبر بعض المعتزلة والروافض زعما بان الميت جماد لا حياة له ولا ادراك له فتعذيبه محال.

الجواب: انه مردود بما قدمنا ولانه يجوز ان يخلق الله تعالى في جميع اجزائه او في بعضها نوعا من الحياة قدر ما يدرك الم العذاب ولذة النعيم وهذا لا يستلزم اعادة الروح الى بدنه ولا ان يتحرك ويضطرب او يرى اثر العذاب عليه حتى ان الغريقَ في الماءِ والمأكولَ في بطون الحيوانات والمصلوب في الهواء يعذب وان لم نطلع عليه ومن تأمل في عجائب ملكه وغرائب قدرته وجبروته لم يستبعد امثال ذلك فضلا عن الاستحالة.

فائدة: قال ابن القيم عذاب القبر قسمان دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فانهم يعذبون بحبسها ثم يرفع عنهم بدعاء او صدقة او غير ذلك قال اليافعي[١] بلغنا ان الموتى لا يعذبون ليلة

(١) عفيف الدين عبد الله اليافعي الشافعي توفي سنة ٧٦٨ هـ. [١٣٦٧ م.] في مكة المكرمة زادها الله شرفا

الجمعة تشريفا لها ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار وعممه بعض العلماء للكفار ايضا فقال ان الكفار يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وجميع شهر رمضان. وامّا المسلم العاصي فان مات في غير الجمعة عذب اليها ثم ينقطع فلا يعود الى يوم القيامة وممن صرح بان عذاب القبر نوعان دائم ومنقطع الدميري[1] من السادة الشافعية نقله شيخنا في شرحه وفيه بشارة عظيمة والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

٥٦ حَسَابُ النَّاسِ بَعْدَ اْلبَعْثِ حَقٌّ * فَكُونُوا بِالتَّحَرُّزِ عَنْ وَبَالِ

حساب الله الناس عد اعمالهم عليهم يوم القيامة ومجازاتهم عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر **والناس** ان كان من الانس ضد الوحشة اختص ببني آدم وان كان من نوس اذا تحرك فيعم الجن بالحقيقة او الغلبة والثاني هو الظاهر ههنا لانه عليه السلام مرسل اليهم على ما قدمنا واسلم منهم جمع على يديه كجن نصيبين فيحاسبون خصوصا على حقوق الآدميين لان شرورهم تصل الينا واصل الناس الاناس حذفت الهمزة تخفيفا وقال صاحب القاموس يكون من الانس ومن الجن جمع آنس اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال وفيما قاله نظر اذ جعله شاملا للجن مع كون مفرده انس غير متجه ولذا قال انه جمع عزيز ومخالف لما صرح به صاحب الكشاف في سورة البقرة والاعراف من انه اسم جمع غير تكسير بدليل عود الضمير اليه وتصغيره على لفظه ولانه لم يسمع جاء جمع على فعال بالضم الاّ في ثمانية الفاظ كما قاله السعد رحمه الله لكن زاد عليه صاحب المزهر وغيره الفاظا **والبعث** ان يخرج الله تعالى الموتى من القبور بان يجمع اجزائهم الاصلية ويعيد الارواح اليها وهو على جمعها القدير ثم يساقون الى المحشر **والوبال** سوء العاقبة.

(وحاصل معنى البيت): ان حساب الله الناس بعد بعثهم من قبورهم على

---

(١) كمال الدين محمد الدميري المصري توفي سنة ٨٠٨ هـ. [١٤٠٥ م.]

افعالهم واقوالهم قلت او كثرت ومجازاتهم عليها حق ثابت يجب اعتقاد وقوعه فكونوا معشر الناس متسمين بالتحرز عن الوقوع في الآثام وما يوجب النكال والملام واخروا لذلك اليوم ما ينفعكم فسيرى الله عملكم ويجازيكم على ما كسبتم من خير او شر كما قال الله تعالى (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** * الزلزال: ٧-٨) وقال تعالى (**ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ** * البقرة: ٢٨١) وقال تعالى (**ثُمَّ اِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** * المؤمنون: ١٦) وقوله عليه السلام (**حلالها حساب وحرامها عذاب**) فالبعث والحساب والمجازات حق عند اهل السنة للنصوص القاطعة مما ذكرنا وغيرها بحشر الاجساد وانكره الفلاسفة بناء على امتناع اعادة المعدوم بعينه قال العلامة رحمه الله في شرح العقائد وهو اي قول الفلاسفة مع انهم لا دليل لهم عليه غير مضر بالمق لان مرادنا ان الله تعالى يجمع الاجزاء الاصلية للانسان ويعيد روحه اليه سواء سمى ذلك اعادة المعدوم بعينه او لم يسم انتهى ومفاده انهم يقولون بالحشر وانما يخالفون في التسمية وفيه نظر فتأمل ثم اطلاق المصنف رحمه الله الناس يحتمل دخول الجن فيهم ويحتمل عدمه على ما قدمنا لكن الاكثرون على دخولهم لانهم مكلفون لهم ثواب وعليهم عقاب فيحاسبون كبني آدم وهو الراجح واما الملائكة هل يحاسبون: اخرج ابن ابي حاتم عن عطاء بن السائب قال اول من يحاسب جبرائيل عليه السلام والمراد من حسابه والله اعلم ما اخرجه ابن حبان[١] عن سنان انه قال: (**اللوح المحفوظ معلق بالعرش فاذا اراد الله تعالى ان يوحي بشئ كتب في اللوح المحفوظ فيجئ اللّوح حتى يقرع جبهة اسرافيل فينظر فيه فان كان متعلقا الى اهل السّماء دفعه الى ميكائيل وان كان الى اهل الارض دفعه الى جبرائيل فاوّل من يحاسب يوم القيامة اللّوح يدعى به فترعد فرائصه فيقال له هل بلّغت فيقول نعم فيقال من يشهد لك فيقول اسرافيل فيدعى اسرافيل فترعد فرائصه فيقال هل بلّغك اللّوح فاذا قال نعم قال اللّوح الحمد لله الّذي نجاني من سوء الحساب**). واخرج ايضا عن

---

(١) ابو حاتم محمد ابن حبّان الشافعي توفي سنة ٣٥٤ هـ. [٩٦٥ م.] في سمرقند

وهب بن الورد قال (**اذا كان يوم القيامة دعي اسرافيل ترعد فرائصه فيقال ما صنعت فيما ادّي اليك فيقول بلّغت جبرائيل فيدعى جبرائيل ترعد فرائصه فيقال ما صنعت فيما بلّغك اسرافيل فيقول بلّغت الرّسل فيؤتى بالرّسل فيقال ما صنعتم فيما ادّى اليكم جبرائيل فيقولون بلّغنا النّاس وهو قوله تعالى فلنسئلنّ الّذين ارسل اليهم ولنسئلنّ المرسلين**) ثم تسئل الامم وسؤالهم بحسب احوالهم فمنهم من يسئل على رؤس الاشهاد فينفضح بالسؤال ومنهم من لم يطلع على سؤاله احد كما قال عليه السلام (**انّ الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه وسرّه فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم اي ربّ حتى اذا قرّره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك قال سترتها عليك في الدّنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطيه الله كتاب حسناته وامّا الكافرون والمنافقون فينادى لهم على رؤس الخلائق هؤلاء الّذين كذبوا على رّبهم الا لعنة الله على الظالمين**) وروى الامام احمد رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (**يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجمّاء من القرناء وحتى للذّرّة من الدّرّة**) وقال (**ليختصمنّ كلّ شئ يوم القيامة حتى الشّاتان فيما انتطحا**) ذكره علي القاري قال واختلف في دخول الجن الجنة على اربعة اقوال احدها نعم الثاني لا بل يكونون في ربضها الثالث انهم على الاعراف الرابع الوقف وحكي القول بدخولهم عن اكثر العلماء وعن مجاهد انهم اذا دخلوا الجنة لا يأكلون ولا يشربون ويلهمون من التسبيح والتقديس ما يجده اهل الجنة من لذة الطعام والشراب ذكر الحارث المحاسبي[١] انا نراهم اذ ذاك وهم لا يروننا عكس ما كانوا عليه في الدنيا.

(**الإعراب**): حساب مضاف الى الناس مبتدأ من اضافة المصدر الى مفعوله اي حساب الله الناس وبعد منصوب على الظرفية مضاف الى البعث وحق خبر المبتدإ فكونوا الفاء فصيحية او تفريعية وكونوا فعل امر من كان الناقصة واسمها مستتر وبالتحرز متعلق بخبر كان المحذوف اي متلبسين او متسمين بالتحرز عن وبال اي

(١) الحارث المحاسبي من العرفاء والاتقياء البصريين توفي سنة ٢٤٣ هـ. [٨٥٧ م.]

سوء العاقبة يعني عن الانام من اطلاق السبب وارادة المسبب.

ومعنى البيت: قد ظهر **تتمة**: (**يحاسب العبد يوم القيامة بلا ترجمان فالله يسأل والعبد يجيب واول شئ يحاسب عليه الصلاةُ واول ما يقضى بين الناس في الدماء**) رواه ابن بريدة مرفوعا واول من يساق الى النار من الآدميين قابيل لانه رأس هذه الخطيئة ومن الجن ابليس لعنه الله تعالى والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

٥٧ وَيُعْطَى اْلكُتْبُ بَعْضًا نَحْوَ يُمْنَ * وَبَعْضًا نَحْوَ ظَهْرٍ وَالشِّمَالِ

الكتب بضمتين جمع كتاب وخفف بالسكون وهو قليل والمراد بها الصحائف التي اثبت فيها طاعات العباد ومعاصيهم بضبط الكاتبين على كل عبد جميع اقواله وافعاله وما اسلفه في دار الدنيا مدة حياته كما قال تعالى (**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ اِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** * ق: ١٨) وظاهر بعض الاخبار ان الذي يعرض ما بقي فيها بعد المحو منها لقوله عليه السلام (**واتبع السيئة الحسنة تمحها**) فظاهره انها تزال حقيقة من الصحيفة اذ هو المتبادر الى الفهم من المحو لان الاصل الحقيقة وجوز بعضهم كونه عبارة عن ترك المؤاخذة بها مع بقائها في الصحيفة لكنه تجوز يحتاج الى الدليل ويؤيد الاوّل ما اخرجه الطبراني عن ابي مالك الاشعري عن النبيّ صلى الله عليه وسلم انه اذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان اعطني صحيفتك فيعطيه اياها فما وجد في صحيفته محى بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات.

(**وحاصل معنى البيت**): انه مما يجب اعتقاده والايمان به ان كل انسان يعطى كتابه يوم القيامة فيجد جميع ما فعله في دار الدنيا من خير او شر فيجازى به ثبت ذلك بالادلة القطعية كما قدمنا قال تعالى (**وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَة كِتَابًا يَلْقَيهُ مَنْشُورًا * اقْرَاْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** * الإسراء: ١٣-١٤) وقال تعالى (**فَاَمَّا مَنْ اُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** * الإنشقاق: ٧-٨) اي سهلا لا مناقشة فيه (**وَيَنْقَلِبُ اِلَى اَهْلِه مَسْرُورًا** * الإنشقاق: ٩) فرحا، اذا اخذ

كتابه بيمينه يبيض وجهه ويمد له في جسمه ستون ذراعا واذا قرأ وجد عنوانه: بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا كتاب الله الجليل الى الصالح الخليل فيجد فيه اعماله الصالحة فينطلق الى اهله واصحابه وعلى رأسه تاج من لؤلؤ فاذا رأوه دعوا الله ان يكون لهم مثل ذلك فيقول لهم ابشروا كل منكم مثل هذا (**وَاَمَّا مَنْ اُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ** * الإنشقاق: ١٠) اي بشماله من وراء ظهره وقيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره ثم يعطى كتابه فيها لتشد حسرته وحينئذ يتمنى الهلاك كما قال تعالى (**فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا** * الإنشقاق: ١١) بمعنى انه يتمنى الثبور فيقول وا ثبوراه عند رؤيته ضبط جميع افعاله وقبايحه وما صدر منه في الدنيا كما قال تعالى (**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً اِلاَّ اَحْصَيهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ اَحَدًا** * الكهف: ٤٩) وانكر بعض المعتزلة الكتاب يزعمون ان الاعمال معلومة لله تعالى فكتابتها عبث ورد بما قدمنا وغيره من النصوص ولان افعال الله تعالى لا تعلل بالاغراض ولو سلم فهناك من الحكمة ما لم نطلع عليه وعدم اطلاعنا عليه لا يوجب العبث تعالى الله ان يكون في افعاله عبث.

(**الإعراب**): يعطى مضارع اعطى يتعدى الى مفعولين ويصح ان يكون ههنا بالياء التحتية وفيه وجهان احدهما ان يكون مبنيا للمفعول والاصل يعطي الله الكتب حذف فاعله للعلم به والكتب مفعوله الاول اقيم مقام الفاعل وبعضا مفعوله الثاني وحذف المضاف اليه للضرورة اي بعض الناس وقيل تنوينه عوض عن المحذوف والثاني ان يكون فاعل يعطى محذوفا لما ذكرنا ونائب فاعله مستتر يرجع الى الناس في البيت السابق وهو مفعوله الاول والكتب مفعوله الثاني ويكون بعضا وبعضا بدلا اما من نائب الفاعل باعتبار المحل او من الكتب بدل مفصل من مجمل ويصح ان يكون مبنيا للفاعل وفاعله مستتر يرجع الى الله والكتب احد مفعوليه والثاني محذوف اي الناس وبعضا وبعضا بدل من احدهما ويصح ان يكون بالتاء الفوقية مبنيا للمفعول

ونائب فاعله مستتر يرجع الى الناس والكتب مفعوله الثاني او الكتب نائب الفاعل ومفعوله الثاني بعضا وبعضا او محذوف اي الناس وبعضا وبعضا بدل منه ونحو ظرف بمعنى الجهة متعلق بيعطى مضاف الى يمنى ومثله نحو ظهر، والشمال عطف على ظهر.

(**وحاصل معنى البيت**): ان حساب الناس بعد البعث على اعمالهم حق وان الله يعطي الناس كتبهم التي ضبط فيها اعمالهم بعضهم من جهة يمينه وبعضهم من جهة شماله من وراء ظهره او يعطيهم كتبهم بعضا من جهة اليمين وبعضا من جهة الشمال كما اخبر الكريم المتعال.

قال الناظم رحمه الله تعالى رحمة واسعة:

٥٨ وَحَقٌّ وَزْنُ اَعْمَالٍ وَجَرْيٌ * عَلَى مَتْنِ الصِّرَاطِ بِلاَ اهْتِبَالِ

الوزن مصدر وزن ومنه الميزان آلته **ومتن الصراط** ظهره واراد هنا **بالاهتبال** الكذب اي بلا كذب قال في القاموس اهتبل كذب كثير يعني ان كلا من وزن **الاعمال** والمرور على الصراط حق ثابت وقوعه بالنصوص من غير كذب فيجب اعتقاد وقوعه لثبوته بالكتاب والسنة واجماع محققي الامة قال تعالى (**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَاُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا اَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ** * الأعراف: ٨-٩) وقال تعالى (**فَاَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَاَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَاُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَآ اَدْرَيكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ** * القارعة: ٦-١١) الى غير ذلك وقد بلغت احاديثه مبلغ التواتر وانعقد اجماع اهل الحق على وقوع الوزن وان اختلف في كيفية الميزان وذهب جمع من المحققين الى انه ميزان حسي له كفتان ولسان توضع فيه صحف اعمال العباد لاظهار العدل بين رابح وخاسر لا لاحتياج اليه قال العلامة رحمه الله في شرح العقائد والميزان عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال والعقل قاصر عن ادراك كيفيته انتهى وهو موافق لمن توقف في كيفيته والله اعلم بحقيقته وقال بعض

المحققين والاصح انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال، كفتاه كَاَطْباق السموات والارض يوضع بين الجنة والنار وقيل لكل امة ميزان وقيل لكل مكلف ميزان وقيل للمؤمن موازين بعدد خيراته وانواع حسناته بدليل قوله تعالى (**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ** * الأنبياء: ٤٧) واجاب الاولون بان الجمع للتعظيم نحو ارحموني يا اله محمّد واختلف في الموزون فقيل نفس الكتب وهو الذي ذهب اليه الجمهور من المفسرين وذهب البعض الى ان الذي يوزن نفس الاعمال فتصور الاعمال الصالحة بصور نورانية كالجواهر فتطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله تعالى وتصور الاعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية فتطرح في كفة الظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخفف بعدل الله تعالى كما جاء به الحديث وذهب الى انه تعالى يخلق اجساما على عدد الاعمال من غير قلب لها كما جاء به الاثر ايضا والكافر كالمؤمن في وزن الاعمال عند جمع من المحققين لكن يؤتى باعماله في أقبح صورة وقوله تعالى (**فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْناً** * الكهف: ١٠٥) اي نافعا او قدرا فان قيل اذا وزنت الاعمال فرجحت او خففت ما ذا يفعل بها بعد ذلك اجيب بما نقله بعض المحققين ان من سعد وضعت اعماله الصالحة على باب داره في الجنة يكون ذلك زيادة في السرور وان كان خاسرا وضعت على بابه في النار وقيل تلقى معه في النار والمرور على الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم ادق من الشعر واحد من السيف يعبره اهل الجنة وتزل به اقدام اهل النار وانكره اكثر المعتزلة لانه لا يمكن المرور عليه وان امكن فهو تعذيب للمؤمنين وتكليف بما لا يطاق **والجواب** انه تعالى قادر على ان يمكن من المرور عليه ويسهله على المؤمنين حتى يجوزه كالبرق الخاطف كما اخبر به الصادق صلى الله عليه وسلم فنفيه معارضة للنصوص قال الله تعالى (**وَاِنْ مِنْكُمْ اِلاَّ وَارِدُهَا** * مريم: ٧١) وورود المؤمن انما يكون فوقها على الصراط وقال عليه السلام (**انّ الله تعالى خلق للنار جسرا وهو الصّراط طوله مسيرة ثلاثة آلاف سنة الف صعود والف هبوط والف استواء، جبريل في اوّله**

وميكائيل في وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيما افنوه وعن شباهم فيما ابلوه وعن اعمالهم ما ذا عملوا). وورد في بعض الآثار: انه سبع قناطر ارق من الشعرة واحدّ من السيف واظلم من الليل كل قنطرة منها ثلاثة آلاف سنة الف صعود والف هبوط والف استواء يسئل في اوله عن الايمان وفي الثاني عن الصلاة بالاركان وفي الثالث عن الزكاة وفي الرابع عن صوم رمضان وفي الخامس عن الحج وفي السادس عن الوضوء والغسل والجنابة بالاسباغ وفي السابع عن الوالدين وصلة الارحام والاصلاح بين الاخوان فان اجاب عن كلها مر عليه كالبرق الخاطف والاّ تردى في النار وعن عائشة رضي الله عنها انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْاَرْضُ غَيْرَ الاَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** * ابراهيم: ٤٨) اذا بدلت الارض فاين يكون الناس فقال عليه السلام (**يكونون على الصراط**) والنصوص في ذلك كثيرة لا ينكرها الاّ من اضله الله ثم مرورهم مختلف متفاوت في سرعة النجاة وعدمها بحسب تفاوت اعمالهم يدل عليه حديث (**يمرّ المؤمنون كطرفة عين وكالبرق وكالرّيح وكالطّير وكاجود الخيل والرّكاب فناج سليم ومخدوش مزمّل ومكدوش في نار جهنّم**) واول من يمر على الصراط محمد صلى الله عليه وسلم ومن الامم امته ولا يتكلم حينئذ الاّ المرسلون يقولون اللّهمّ سلّم سلّم وفي بعض الروايات ثم عيسى عليه السلام بامته يدعون نبيا نبيا حتى يكون آخرهم نوحا وامته وآخر من يمر عل الصراط رجل يتلبط على بطنه فيقول اي ربّ لم بطئت بي فيقال انما بطئ بك عملك.

(**الإعراب**): حق خبر مقدم ووزن اعمال مبتدأ مؤخر وجري معطوف على وزن فيكون من عطف المفردات اي الوزن والجري ذو حق او المعطوف محذوف وهو حق فيكون من عطف الجمل وعلى متن الصراط متعلق بجر وبلا اهتبال في محل رفع صفة حق او خبر مبتدإ محذوف اي وذلك بلا اهتبال.

(**وحاصل معنى البيت**): وزن اعمال العباد بعد بعثهم ووقوعهم بين يدي

ربهم حق والجري على متن الصراط حق خال عن الكذب فيجب اعتقاد وقوع كل منهما ومن انكر ذلك كان مخالفا لاهل السنة والجماعة.

تتمة: لم يتعرض المصنف لذكر الحوض كما تعرض غيره وهو ايضا حق يجب اعتقاده لقوله تعالى (**اِنَّا اَعْطَيْنَاكَ اْلكَوْثَرَ**) ولقوله عليه السلام (**حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه ابيض من اللّبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السّماء من شرب منه لا يظمأ ابدا**) وروى مسلم عن انس رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ غفا اغفاء ثم رفع رأسه متبسما فقال ما اضحكك يا رسول الله فقال (**انزلت عليّ آنفا سورة فقرأ اِنَّا اَعْطَيْنَاكَ اْلكَوْثَرَ**) ثم قال (**أتدرون ما الكوثر**) قلنا الله ورسوله اعلم قال (**إنّه نهر وعدنيه ربّي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امّتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السّماء يمنع العبد منه فاقول يا ربّ انّه من امّتي فيقال ما تدري ما احدث بعدك**) وروى ابن ماجه[١] الكوثر نهر في الجنة حافتاه الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك واشد بياضا من الثلج وظاهر هذا ان الحوض في الجنة والذي قبله يدل على انه قبلها واجيب بانهما اثنان قال الامام السيوطي نقلا عن القرطبي[٢] ان الحوض حوضان الاول قبل الصراط وقبل الميزان على الاصح والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا انتهى والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

٥٩ وَمَرْجُوٌّ شَفَاعَةُ اَهْلِ خَيْرٍ * لِاَصْحَابِ اْلكَبَائِرِ كَاْلجِبَالِ

مرجو اسم مفعول من رجوته رجاء بالمد بمعنى الامل فانا راج وهو مرجو وهي مرجوة **والشفاعة** لغة الوسائل وعرفا سؤال الخير للغير مأخوذ من الشفع ضد الوتر من شفع من باب فتح يفتح سميت به لان الشافع يضم المشفوع له الى نفسه او

---

(١) محمد ابن ماجه القزويني توفي سنة ٢٧٣ هـ. [٨٨٦ م.]

(٢) محمد القرطبي المالكي الاندلسي توفي سنة ٦٧١ هـ. [١٢٧٣ م.]

يضم سؤاله الى سؤاله **والكبائر** جمع كبيرة والمراد بها ههنا كل معصية غير الشرك وغير الصغائر ولذا وصفها بقوله **كالجبال** واختلفوا في حدّها وضبطها والاحسن ما قيل فيها كل ما كان شنيعا بين المسلمين وفيه هتك حرمة من حرمات الله تعالى فهو كبيره وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما انها تسعة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنات والزنا والفرار من الزحف والسحر واكل مال اليتيم بغير حق وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد في الحرم وزاد ابو هريرة رضي الله عنه اكل الربا وزاد علي رضي الله عنه السرقة وشرب الخمر وقيل هو كل ما كان مفسدة مثل شئ مما ذكر او اكثر منه وقيل هو كل ما توعد عليه الشارع بخصوصه وقيل كل معصية اصرَّ عليه العبد فهي كبيرة وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة ويقرب من هذا ما روي ان رجلا سأل ابن عباس رضي الله عنهما أَسَبْعٌ الكبائر فقال هي الى السبعمائة اقرب الاّ انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقيل هي كل معصية وجب بها حد وهو قول بعض الفقهاء وقال صاحب الكفاية الحق انهما اسمان اضافيان لا يعرفان بذاتهما فكل معصية اضيفت الى ما فوقها فهي صغيرة وان اضيفت الى ما دونها فهي كبيرة انتهى لكن قوله تعالى: (**اِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** * النساء: ٣١) يدل بظاهره ان الكبائر ممتازة عن الصغائر بالذات فتأمل والكبيرة المطلقة هي الكفر اذ لا ذنب فوقه وبالجملة فالمراد بالكبائر ههنا غير الكفر اذ لا شفاعة ولا عفو في الكفر اصلا والحاصل ان شفاعة اهل الخير كالانبياء والمؤمنين لاهل الكبائر ثابتة مرجوة القبول يجب الايمان بوقوعها قال تعالى: (**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ اِلاَّ بِاِذْنِهِ** * البقرة: ٢٥٥) وقال تعالى (**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمؤْمِنَاتِ** * محمّد: ١٩) وقال تعالى: (**فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** * المدثر: ٤٨) فان اسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعة في الجملة والاّ لما كان لنفي نفعها عن الكافرين عند القصد الى تقبيح حالهم وتحقيق يأسهم معنى لان مثل هذا المقام يقتضي ان يوسموا بما يخصهم لا بما يعمهم وغيرهم وليس المراد ان تعليق

الحكم بالكافرين يدل على نفيه عما عداهم حتى يرد علينا ما يقوم حجة على من يقول بمفهوم المخالفة وقال عليه الصلاة والسلام (**شفاعتي لاهل الكبائر من امّتي**) وفي سنن ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه (**يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء**) وحديث (**يشفع نبيكم رابع اربعة جبرائيل ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء**). رواه ابو عمرو بن السماك والشفاعة العظمى التي اعطيها نبينا صلى الله عليه وسلم الشفاعة في فصل القضاء حين يسأل الناس آدم عليه السلام في ذلك فلا يجيبهم لتذكره ما وقع له من الاكل من الشجرة ثم يأتون الى نوح عليه السلام ثم الى الانبياء من بعده فكل يقول نفسي لا اريد سواها فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم وقد زاد بهم الكرب فيسألونه الشفاعة العظمى في فصل القضاء فيقول (**انا لها**) ويسجد تحت العرش وقدر السجود والاختلاف فيه مبسوط في موضعه فيشفَعُ صلى الله عليه وسلم فيُشَفَّع ويعجل الحساب ويرتاح الناس من هول الموقف بهذه الشفاعة خاصة به صلى الله عليه وسلم اتفاق وكذا الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب عند الاكثر وكذا الشفاعة في زيادة الدرجات وفي حديث الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنهما بعد ان ذكر الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وغير ذلك قال (**ثم يؤمر بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس عليه على قدر اعمالهم زمر كلمح البصر والبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم كاسرع البهائم ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيا ثم مشيا ثم يكون آخرهم رجل يتلبط على بطنه فيقول اي ربّ لما ذا ابطأت في فيقال انما ابطأ بك عملك**) ثم يؤذن في الشفاعة فيكون اول شافع روح القدس جبرائيل ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسي ثم يقوم نبيك رابعا لا يشفع بعده احد فيما يشفع فيه وهو المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى فليس من نفس الاّ وهي تنظر الى بيت في الجنة او بيت في النار وهو يوم الحسرة ثم تشفع الملائكة والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم ثم يقول الله تبارك وتعالى (**انا ارحم الراحمين**) فيخرج

من النار اكثر مما اخرج منها من جميع الخلق برحمته فاذا اراد ان لا يخرج منها احدا غيّر وجوههم والوانهم فيجئ الرجل فينظر فلا يعرف فيناديه الرجل فيقول يا فلان انا فلان فيقول لا اعرفك فعند ذلك يقولون (**رَبَّنَآ اَخْرِجْنَا مِنْهَا فَاِنْ عُدْنَا فَاِنَّا ظَالِمُونَ** * المؤمنون: ١٠٧) فيقول الله تعالى (**اخْسَؤُا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ** * المؤمنون: ١٠٨) فاذا قال ذلك اطبقت عليهم فلا يخرج منهم بشر وتمام الحديث في مستدرك الحاكم وانكر المعتزلة وقوع الشفاعة واحتجوا بمثل قوله تعالى (**وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ** * البقرة: ٤٩) وقوله تعالى (**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ** * المؤمن: ١٨) والجواب بعد تسليم دلالتها على العموم في الاشخاص والازمان والاحوال: انه يجب تخصيصها بالكفار جمعا بين الادلة ولما كان اصل العفو والشفاعة ثابتا بالادلة القطعية من الكتاب والسنة والاجماع قالت المعتزلة يجوز العفو عن الصغائر مطلقا وعن الكبائر بعد التوبة وبالشفاعة وزيادة الثواب وكلاهما فاسدان اما الاول فلان التائب ومرتكب الصغيرة المجتنب عن الكبيرة لا يستحقان العذاب عندهم فلا معنى للعفو والثاني فلان النصوص واردة في الشفاعة بمعنى العفو عن الجناية ثم اعلم ان المراد من الشفاعة لاصحاب الكبائر اي التي ماتوا عليها من غير توبة واما التائب عنها بشروطها ولو عند اليأس كما قدمنا فكمن لا ذنب له لقوله تعالى (**اِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَاُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَات** * الفرقان: ٧٠) وذكروا ان للتوبة شروطا ثلاثة اثنان عامان الاول الندم على الذنب وخوف عقابه الثاني العزم على ان لا يعود اليه ما عاش كما لا يعود اللبن الى الضرع الثالث وهو خاص الاقلاع عن الذنب في الحال بان يتركه ان كان متلبسا به او مصرا على المعاودة اليه فان كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع وهو رد الظلامة الى صاحبها او تحصيل البراءة منه ان قدر ولو الى وارثه فان كانت غير مال استغفر له ولا فائدة للتوبة والاستغفار مع التلبيس بالمعصية والاصرار عليها ففي الحديث (**المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربّه**) وقوله عليه السلام

(**التوبة ندم**) اي معظم شروطها الندم لا مجرد الندم قال العلامة ابن العماد[١] وشروطها المذكورة مأخوذة من القرآن اما الندم فمأخوذ من قوله تعالى (**وَالَّذِينَ اذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً اَوْظَلَمُوا انفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ** * آل عمران: ١٣٥) واما الاقلاع وترك العود ورد المظلمة فمستفاد من قوله و لم يصرّوا على ما فعلوا لان من لم يقلع عن الذنب فهو مصر عليه ومن اقلع وعزم على العود بعد مدة فهو مصرّ ايضا وكذا من عزم على ترك العود مطلقا لكن امسك ما غصبه مثلا و لم يرد فهو مصر وفي هذا الاخير نظر فتدبر وزاد بعضهم في الشروط وقوع التوبة في وقتها وهو ما قبل الغرغرة لما رواه الترمذي وحسنه عنه عليه السلام انه قال (**إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**) اي تبلغ روحه حلقومه قيل هذا عند الاشاعرة واما عندنا فانما يشترط عدم الغرغرة في ايمان الكافر دون توبة المؤمن العاصي عملا بالاستصحاب اذ المؤمن قد سبق منه المعرفة والكافر يريد ان ينشئ ايمانا حينئذ فلا يقبل منه فتوبة اليأس مقبولة عندنا لا ايمانه انتهى وقدمنا الكلام فيه مفصلا فارجع الى تحقيقه وزاد بعضهم شرطا آخر وهو ان تقع التوبة قبل ظهور الآيات كطلوع الشمس من مغربها ثم اعلم ان توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها واما ما سواها من انواع التوبة هل قبوله قطعي او ظني فيه خلاف بين اهل السنة فاختار امام الحرمين انه ظني واختار بعضهم انه قطعي فمن اختار الاول نظر الى نحو قوله تعالى (**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشآءُ** * النساء: ١١٦) ومن اختار الثاني نظر الى قوله تعالى (**فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**) وقوله تعالى (**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ** * الشورى: ٢٥) من غير تعليق وهو الاظهر وحاصله ان الناس على قسمين لا ثالث لهما ولا واسطة بينهما عند اهل السنة مؤمن وكافر فالكافر في النار اجماعا والمؤمن على قسمين طائع وعاص فالطائع في الجنة اجماعا والعاصي على قسمين تائب وغير

---

(١) عبد الرحمن ابن العماد مفتي الشام توفي سنة ١٠٥١ هـ. [١٦٤١ م.]

تائب فالتائب في الجنة اجماعا خلافا لامام الحرمين كما قدمنا وغير التائب من المعاصي غير الكفر كبيرة كانت او صغيرة مات مصرا عليها فهو في مشيئة الله تعالى اما ان يعاقبه بادخاله النار ثم يدخله الجنة واما ان يسامح بعد دخوله النار بمجرد فضله تعالى او بفضله بشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف او ممن يشاء الله مع خلاف في ان هذه الشفاعة هل هي مختصة به صلى الله عليه وسلم او لا كما قدمنا.

(**الإعراب**): مرجو خبر مقدم وشفاعة اهل خير مبتدأ مؤخر لاصحاب متعلق بمرجو مضاف الى الكبائر وكالجبال اما في محل جر صفة للكبائر نظرا للمعنى او في محل نصب على الحال منه نظرا للفظه.

(**وحاصل معنى البيت**): ان الشفاعة ثابتة للرسل والاخيار في حق اهل الكبائر التي هي كالجبال غير الشرك او حال كونها كالجبال خلافا لما يزعمه اهل المعتزلة والله اعلم بحقيقة الحال.

قال الناظم رحمه الله:

٦٠ وَذُو ٱلايمَانِ لاَ يَبْقَى مُقِيمًا * بِشُؤْمِ الذَّنْبِ فِي دَارِ اشْتِعَالِ

ذو بمعنى صاحب واراد بقوله **لا يبقى مقيما** اي لا يخلد في النار بسبب **شؤم ذنبه** اي ارتكابه الكبائر كما يقوله بعض المعتزلة والشؤم سوء العاقبة والمراد بها اقبح الذنوب او الذنوب القبيحة التي عاقبتها وبال ونكال واراد **بدار الاشتعال** جهنم والمعنى ان من ارتكب من اهل الايمان كبيرة وان عظمت ومات مصرا عليها لا يخرج بسببها عن ايمانه ما لم تكن موجبة للكفر وان دخل النار بسببها وعوقب عليها لا يخلد فيها قال تعالى (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** * الزلزال: ٧) ومن الخير الايمان بالله ورسوله وكتابه المترل فمن وجد منه ذلك ومات عليه يجب ان يرى ثوابه في الجنة وان كان من اهل الكبائر وذلك لا يكون الاّ بعد خلاصه من النار اذ الثواب قبل العقاب منتف بالاتفاق فثبت ان المؤمن العاصي لا يخلد في دار الاشتعال اي

جهنم وقال تعالى (**وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ** * التوبة: ٧٢) وقال تعالى (**اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً** * الكهف: ١٠٧) فان المؤمن وان عمل جميع الكبائر غير الكفر لابد ان يوجد منه عمل الصالحات في الجملة الى غير ذلك من النصوص الدالة على ان المؤمن من اهل الجنة ابتداء او مآلا وانه وان عمل جميع المعاصي غير الكفر لا يخرج بها عن الايمان ولا يخلد في النار ويرجى له الغفران وايضا الخلود في النار من اعظم العقوبات وقد جعل جزاء للكفر الذي هو اعظم الجنايات فلو جوزي به المذنب كما جوزي به الكافر كان زيادة على قدر الجناية قال الشيخ النووي[١] مذهب اهل الحق من السلف والخلف ان من مات موحّدا ادخل الجنة قطعا على كل حال كيف ما كان فان كان سالما من المعاصي كطفل او مجنون اتصل جنونه بالبلوغ وتائب توبة نصوحا ومُوَفَّقٍ مَا اَلَمَّ بمعصية قط فانهم يدخلون الجنة ولا يدخلون النار لكنهم يردونها على الخلاف في الورود واما من عمل كبيرة ومات بغير توبة فهو في المشيئة ان شاء جعله كالقسم الاول وان شاء عذبه ثم يدخله النار ولا يخلد في النار احد مات موحدا ولو عمل جميع المعاصي كما انه لا يدخل الجنة احد مات كافرا وان عمل اعمال البر ما عمل هذا مذهب اهل الحق انتهى وقدمنا نحوه وذهبت المعتزلة الى ان من دخل النار كان خالدا فيها لانه اما كافرا وصاحب كبيرة مات بلا توبة فالكافر مخلد بالاجماع وكذا صاحب الكبيرة بلا توبة لوجهين احدهما انه يستحق العذاب الذي هو مضرة خالصة دائمة فينافي استحقاق الثواب الذي هو منفعة خالصة دائمة **والجواب** عنه منع قيد الدوام والحاقه بالكفارين بل منع الاستحقاق بالمعنى الذي قصدوه وهو الاستيجاب وانما الثواب فضل منه والعذاب عدل فان شاء عفا وان شاء عذبه مدة ثم يدخله الجنة الوجه الثاني لهم النصوص الدالة على الخلود كقوله تعالى (**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا**

---

(١) الامام يحيى النووي الشافعي توفي سنة ٦٧٦ هـ. [١٢٧٧ م.] في الشام

فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا * النساء: ٩٣) وقوله تعالى (**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا** * النساء: ١٤) وقوله تعالى (**مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَاَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** * البقرة: ٨١) والجواب ان قاتل المؤمن لكونه مؤمنا لا يكون الاّ كافرا فيستحق الخلود وكذا من تعدى جميع حدود الله الشاملة للكفر وكذا من احاطت به الخطيئة وشملت من كل جانب لان هذا لا يتأتى في حق المؤمن لما قدمنا ولو سلم فالخلود قد يستعمل في المكث الطويل كقولهم سجن مخلد ولو سلم فمعارَض بالنصوص الدالة على عدم الخلود ذكره السعد رحمه الله في شرح العقائد وفي الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (**ما من عبد قال لا اله الاّ الله ثم مات على ذلك الاّ دخل الجنة**) قلت وان زني وان سرق قال (**وان زني وان سرق**) الحديث.

فائدة: اختلفت الماتريدية والاشاعرة في معنى السعادة والشقاوة قالت الماتريدية السعادة الاسلام والشقاوة الكفر والسعيد هو المسلم والشقي هو الكافر وعلى هذا فيتصور ان السعيد قد يشقى بان يرتد بعد الايمان وان الشقي قد يسعد بان يؤمن بعد الكفر وان السعادة والشقاوة قد يتغيران ويتبدلان وما ختم له به من ايمان او كفر هو الذي سبق له في العلم الازلي الذي لا تبدّل ولا تغيّر فيه ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (**إنّ احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النّار فيدخلها**) الحديث وقالت الاشاعرة هما ازليتان لا تتغيران ولا تتبدلان فالسعادة الموت على الايمان لتعلق العلم الازلي بها والشقاوة الموت على الكفر لتعلق العلم الازلي بها كذلك والسعيد من علم الله في الازل موته على الايمان وان تقدم منه كفر والشقي من علم الله في الازل موته على الكفر وان تقدم منه ايمان فعلى هذا لا يتصور في السعيد ان يشقى ولا في الشقي ان يسعد والظاهر ان الخلاف في الختام لفظي وانما يظهر الخلاف في الدوام فيجوز عندهم ان يقال انا مؤمن ان شاء الله نظرا للمآل لانه مجهول الحصول ووافقهم

الشافعي على ذلك وعند الماتريدية لا يجوز ذلك نظرا للحال فلا بد ان يكون جازما بوجود الايمان غير شاك فيه فان وضع هذه الكلمة للشك ولذا بطل به الطلاق والعتاق واليمين والبيع ونحو ذلك فكيف يتحقق الايمان مع وجود الشك ووافقهم على ذلك الامام ابو حنيفة ومالك واحمد رحمهم الله تعالى فافهم وتحقق هذا المقام فانه من مزالق الاقدام وقد وقع فيه خبط من بعض الفضلاء الكرام.

(**الإعراب**): ذو الايمان مبتدأ لا نافية ويبقى مضارع منفي بها وفاعله مستتر يعود الى ذو الايمان والجملة في محل رفع خبر المبتدإ ومقيما منصوب على الحال او التمييز او خبر يبقى على انه بمعنى دام وبشؤم جار ومجرور متعلق به والباء فيه للسببية والذنب مجرور باضافة شؤم من اضافة الصفة الى الموصوف وفي دار اشتعال متعلق بما تعلق به شؤم.

(**وحاصل معنى البيت**): ان المؤمن لا يبقى مخلدا في جهنم ان دخلها بسبب ما اقترفه في الدنيا مِنَ الكبائر وان مات مصرا عليها بعد ان مات على الايمان وانما الخلود لمن مات على الكفر لما تقدم من الادلة القاطعة بذلك كما تقدم والله اعلم واحكم.

قال الناظم رحمه الله:

٦١ دُخُولُ النَّاسِ فِي الْجَنَّاتِ فَضْلٌ * مِنَ الرَّحْمَنِ يَا اَهْلَ الاَمَالِي

يعني ان **دخول** المؤمنين **الجنة** انما هو **بفضل** الله تعالى وكرمه لان العبد لا يستحقه بعمله ولو عمل جميع الطاعات ولم يعص الله تعالى قط اذ لو كان كذلك لكان واجبا عليه تعالى اثابته وقد ثبت بالدلائل القطعية ان مولانا لا يجب عليه شئ في ملكه ويجوز عليه سبحانه ان يعذب المطيع ويثيب العاصي اذ الكل ملكه وعبيده فيتصرف في ملكه كيف يشاء ويحكم ما يريد لكنه تعالى وعد الطائع بالثواب والعاصي بالعقاب والكريم اذا وعد وفى كرما وفضلا قال تعالى (**اِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** * آل عمران: ٩) وقال تعالى (**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي اُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** *

الزخرف: ٧٢) فان قلت ظاهر الآيتين ونحوهما من النصوص يفيد بظاهره ان الاعمال سبب لدخول الجنة فيؤيد ما ذهب اليه المعتزلة من ان دخول الجنة انما هو بسبب الاعمال وانه يجب اثابة الطائع وعقاب العاصي على ما ذهبوا اليه **اجيب** بان المراد بالجنة فيهما جنة خاصة اي تلك الجنة الخاصة الرفيعة بسبب الاعمال واما نفس الدخول فبالرحمة فالمقابل بالعمل انما هو زيادة الدرجات ورفع المقامات لا نفس الدخول او ان الباء للملابسة اي اورثتموها ملابسة لاعمالكم اي لثواب اعمالكم او للعوض والمقابلة والمعطي بعوض يعطي مجانا لا للسببية لان المسبب لا يوجد بدون السبب فالعمل نفسه لا يستحق به احد الجنة ولا ينال به زيادة الدرجات وايضا ما لم يكن مقبولا والقبول انما يحصل برحمة الله لحديث البخاري (**لن يدخل احدكم الجنة بعمله**) قالوا ولا انت يا رسول الله قال (**ولا انا الاّ ان يتغمّدني الله برحمته**) وفي رواية (**لن يدخل احدا منكم الجنّة عمله**) ولو سلم كون الباء للسببية واخرج الحاكم وصححه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (**خرج من عندي جبرائيل آنفا فقال يا محمد والذي بعثك بالحق ان لله تعالى عبدا من عباده عبد الله عزّ وجلّ خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا والبحر محيط به اربعة آلاف فرسخ من كل ناحية واخرج له عينا عذبة بعرض الاصبع تبض بماء عذب فتستنفع في اسفل الجبل وشجرة رمان تخرج كل ليلة رمّانة يعبد الله يومه فاذا امسى نزل فاصاب من الوضوء واخذ تلك الرّمانة فاكلها ثم قام لصلاته فسأل ربّه عند وقت الاجل ان يقبضه ساجدا قال ففعل فنحن نمرّ عليه اذا هبطنا واذا عرجنا فنجد له في العلم انه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الرّبّ جل جلاله ادخلوا عبدي الجنّة برحمتي فيقول يا ربّ بل بعملي فيقول تعالى قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فياقيسونه فتوجد نعمة البصر قد احاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعم الجسد فضلا عليه فيقول الرّبّ ادخلوا عبدي النّار فيخرج الى النّار فينادي يا ربّ برحمتك ادخلني الجنّة فيقول ردّوه فيوقف بين يديه**

فيقول يا عبدي من خلقك ولم تك شيئا فيقول انت يا ربّ فيقول من قوّاك لعبادة خمسمائة سنة فيقول انت يا ربّ فيقول من انزلك في جبل وسطة اللّجّة واخرج لك الماء العذب من المالح واخرج لك كلّ ليلة رمّانة وانما تطرح مرة في السّنة وسألته ان يقبضك ساجدا ففعل فيقول انت يا ربّ قال فيقول تعالى ذلك برحمتي وبرحمتي ادخلك الجنّة ادخلوا عبدي الجنّة فنعم العبد كنت يا عبدي فادخله الله الجنّة ثمّ قال جبرائيل انما الأشياء برحمة الله يا محمد).

(الإعراب): دخول الناس مبتدأ في الجنات متعلق بدخول وفضل خبر المبتدإ من الرحمن متعلق بفضل يا اهل الامالي جملة ندائية تكملة للبيت والامالي ان كان بغير ياء كما في بعض النسخ فهو جمع امل وكان حقه الآمال بالمد وتَرَكه لضرورة الوزن وان كان بالياء كما في اغلب النسخ فيكون مراده الامالي المتقدمة المقولة لتوحيد فكأنه قال هنا يا اهل التوحيد او يا طالب هذه المنظومة ويكون فيه رد العجز على الصدر وهذا آخر ما قصده المصنف رحمه الله بمنظومته وافاد واحسنه واجاد ثم اخذ يطنب في مدحه ويبالغ في وصفه ويحرض على تعاطيه لما حوته اماليه بقوله رحمه الله تعالى رحمة كثيرة:

٦٢ لَقَدْ اَلْبَسْتُ لِلتَّوْحِيدِ وَشْيًا * بَدِيعَ الشَّكْلِ كَالسِّحْرِ الْحَلَالِ

لام لقد ابتدائية مؤكدة ولا معنى لجعلها ههنا موطئة للقسم كما قيل وقد حرف تحقيق **البست** يتعدى الى مفعولين والتاء ضمير المتكلم فاعله **وللتوحيد** اللام زائدة والمجرور في محل نصب المفعول الاول وان قدر المفعول الاول اي تأليفي او نظمي فاللام متعلقة به ولا زيادة حينئذ وهو اليق بالادب كما لا يخفى على اهل الادب مع انه المناسب لاول بيت قصيدته **ووشيا** المفعول الثاني على كل حال وفي بعض النسخ نظما مكان وشيا **وبديع الشكل** صفة اي بديعا شكله فالاضافة ليست محضة وفي الكلام استعارة بالكناية شبه هذا العلم كساه ثوب نظمه البديع او تأليفه على ما قدمنا بشئ مضمر في النفس وهو الانسان المستأهل للبس الزينة على سبيل

الكناية واثبت له شيئا من لوازمه وهو البأس الوشي تخييل وذكر بداعة شكله ايهام فاللباس هنا معنوي لا حسي كما في قوله تعالى (**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ** * الأعراف: ٢٦) وقوله **كالسحر الحلال** صفة ثانية لوشيا ووصف السحر بالحلال احتراس كقوله:

كسر الجرة عمدا وسقي الارض شرابا * قلت والاسلام ديني ليتني كنت ترابا

ثم شبه نظمه وما احتوى عليه من البيان وسلاسة النظم والاوزان بالسحر الحلال بجامع الغرابة واستمالة النفوس اليه اذ كل من استمالك فقد سحرك وخرج بقيد الحلال الذي احترس به السحر الحرام الذي يكفر مستحله ان اخذ قبل التوبة وان تاب بعده فاختلف فيه هل له حقيقة فذهب اهل السنة الى ان له حقيقة وهي ما استعان في تحصيله على التقرب الى الشياطين وذهب بعض المعتزلة وبعض اصحاب الشافعي الى انه لا حقيقة له ورد بقوله تعالى (**وَجَآؤُا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ** * الأعراف: ١١٦) وقوله (**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** * البقرة: ١٠٢) وبسورة الفلق وسبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الاعصم وحديثه في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها ففيه انه صلى الله عليه وسلم قال لما حلّ السحر عنه بعد نزول المعوذتين: (**إنّ الله شفاني**) والشفاء انما يكون برفع العلة وزوال المرض فدل ذلك على ان له حقيقة فهي مقطوع به باخبار الله ورسوله.

فائدة: ذكر في الاستيعاب وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (**رجلان من امتي اما احدهما فيسبق يده الى الجنّة ثم يتبعها سائر جسده واما الآخر فيضرب ضربة فيفرّق بها بين الحقّ والباطل**) فاصيب يد زيد بن صرحان يوم حروراء ثم قتل يوم الجمل مع علي رضي الله عنهما واما الآخر جندب بن كعب فرأى ساحرا يقال له ابو سبتان بالكوفة كان يلعب بين يدي الوليد بن عقبة يريهم انه يدخل في فم الحمار ويخرج من دبره وانه يقطع رأس نفسه ثم يعيدها فلما رآه جندب على تلك الحالة ضربه بسيفه فقتله فحبس الوليد جندبا فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فكتب

الى الوليد ان خل سبيله فكانوا يرونه ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

(**وحاصل معنى البيت**): اني زينت علم التوحيد بقصيدة غريبة السبك فصيحة الالفاظ محشوة بالبلاغة كأنها حلة موشوة بالذهب وفرائد الجواهر تميل القلوب اليها مع الطرب كأنها السحر الحلال ثم قال الناظم رحمه الله تعالى رحمة واسعة:

٦٣ يُسَلِّي اْلقَلْبَ كَاْلبُشْرَى بِرَوحٍ * وَيُحْيِي الرُّوحَ كَاْلمَاءِ الزُّلاَلِ

يسلّي مضارع سلاّه عن كذا بتشديد اللام من التسلية اذا شغله بغيره عنه وسلّى عن الشئ اذا تناساه واشتغل بغيره وفاعله مستتر يعود الى الوشي الذي هو عبارة عن النظم او الى النظم على ما في بعض النسخ **والقلب** مفعول يسلّي وهو الشكل الصنوبري المشدق الرأس سمى به لتقلبه قال بعض الشراح وتبعه شيخنا وليس المراد به اللطيفة القائمة به وهي البصيرة انتهى وفيه نظر بل هي المراد ههنا اذ نفس الشكل الصنوبري لحمة فلا يوصف نفسه بالتسلي بل باعتبار اللطيفة القائمة به كما لا يخفى على من له بصيرة وقوله **كالبشرى** متعلق بيسلّي يعني كتسليته بالبشرى والبشرى بضم الباء كالبشارة وهي اسم خبر سار حق لا علم به للمبشر به فهي اخص مطلقا من الخبر ويحتمل ان يراد بالبشرى نفس المسرّة الحاصلة من بشارة او غيرها والاول انسب ههنا لقوله **بروح** وسميت بشارة لكونها تظهر في بشرة الوجه والباء في بروح للمصاحبة او بمعنى مع او متعلقة بالبشرى والروح بفتح الراء وسكون الواو بمعنى الراحة ومنه فروح وريحان اي يسلّي القلب مع الراحة بحيث لا ينال القلب معها تعب ولا مشقة **ويحيي** عطف على يسلّي وهو مضارع من الحياة ضد الموت مجاز عن الانعاش اي ينعش الروح ففيه استعارة تبعية او مجاز عقلي وفاعله مستتر هو فاعل يسلّي **والروح** بضم الراء وقد اختلف فيها واحسن ما قيل فيها انها جوهر نوراني له سريان في البدن كسريان ماء الورد في الورد وهي غير النفس قال ابن عباس رضي الله عنه في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها التحرك والتنفس فاذا نام العبد

قبض الله نفسه ولم يقبض روحه كما قال تعالى (**وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا** * الزمر: ٤٢) ولا التفات لقول من قال انها الدم لان من الحيوان ما لا دم له ولا لقول من قال انها النفس الداخل الخارج لان من الحيوان ما لا يتنفس الاّ عند الموت كالسمك والاقوال فيها كثيرة بلغت نحو الالف ومنهم من توقف لقوله تعالى (**وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ اَمْرِ رَبِّي وَمَآ اُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ اِلاَّ قَلِيلاً** * الإسراء: ٨٥) وروى مالك رضي الله عنه انها صورة كصورة الجسد وقدمنا بقية الكلام فيها فارجع اليه واختلف في تقديم خلقها على الجسد وتأخيرها عنه على قولين مشهورين الاول تقديم خلق الروح على الجسد واستدل له بحديث اسناده ضعيف وهو (**انّ الله خلق ارواح العباد قبل العباد بالفي عام فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف**) والثاني ذهب اليه جماعة واستدلوا له بما في الحديث المشهور: (**ثمّ يرسل الملك فينفخ فيه الرّوح**) واجيب عنه بالفرق بين نفخ الروح وخلقه وقيل الخلف لفظي اذ من قال بتقديم خلقها اراد خلقها في عالم الذر وذلك لا نزاع فيه اذ المخاطب بالست بربّكم انما هو الارواح واين كانت الاجساد حينئذ ومن قال بتأخيرها اراد نفخها في الجسد وذاك لا نزاع فيه لحديث الصحيحين (**إنّ احدكم يجمع خلقه في بطن امّه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثمّ يكون مضغة مثل ذلك ثمّ يرسل الملك فينفخ فيه الرّوح**) الحديث قال ابن القيم الملك وحده يرسل اليه ولم يقل ثم يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها في بدنه لان الله تعالى ارسل اليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمن الطويل انتهى فافهم واختلف ايضا في مقرها حال الحياة فجزم الغزالي انه القلب قال السيوطي وقد ظفرت بحديث يشهد له اخرجه ابن عساكر[١] في تأريخه وانظر ما قاله الغزالي فانه لا يتأتى على قول الجمهور من المتكلمين من انها جسم لطيف شفاف لذاته سار في البدن كماء الورد واستظهر بعض المتكلمين انها

---

(١) ابن عساكر علي مؤلف تأريخ مدينة دمشق توفي سنة ٥٧١ هـ. [١١٧٦ م.]

بقرب القلب واما مقرها بعد الوفاة فارواح الانبياء عليهم السلام في الجنة لقوله تعالى (**أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** * الواقعة: ١١-١٢) وارواح السعداء من المؤمنين قيل انها في افنيه القبور قال بعض العلماء وهو الاصح قال ابن عبد البر[١] وهي مع ذلك مأذون لها في التصرف وتأوي الى محلها في عليين او سجين وقوله **كالماء الزلال** الماء هو الجوهر السيال المتلون لون انائه والعذب منه به حياة كل نام بامر الله ولذا بالغ في وصف نظمه بتشبيهه به بجامع احياء النفوس.

(**وحاصل معنى البيت**): ان هذا النظم تفرح به القلوب وترتاح له وتطرب كما تفرح بالبشرى السارة المصحوبة بالراحة ويحيى به الارواح الانسانية من اماتة الجهل والعقائد الظلمانية كما يحيي الماء العذب الارض بعد موتها وتنتعش به النفس عند ظلمائها وفيه من البديع الجناس التام بين روح وروح.

قال الناظم رحمه الله:

٦٤ فَخُوضُوا فِيهِ حِفْظًا وَاعْتِقَادًا * تَنَالُوا حُسْنَ اَصْنَافِ الْمَنَالِ

خوضوا فعل والفاء فيه فصيحة من الخوض واصله الدخول في الماء ثم استعمل في الدخول في كل حديث محظور او مهم قال تعالى (**حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ** * النساء: ١٤٠) والمراد هنا الاعتناء في تعاطي هذه القصيدة المشتملة على ما يجب الاعتناء به مما يخلص العقائد من الكدورات والشكوك **وفيه** متعلق بخوضوا والضمير راجع الى الكتاب **وحفظا** نصب على التمييز وكذا **اعتقادا** فهو كالقيد للاول اذ لا فائدة لمجرد الحفظ بدون الاعتقاد ولا للعلم بدون العمل **وتنالوا** بمعنى تصيبوا او تعطوا مضارع نال وهو مجزوم بحذف النون على انه جواب الامر والواو فاعله **وحسن** مفعوله مضاف الى اصناف واصناف الى المنال **والمنال** العطاء واراد ما فيه تخلق وارشاد **والاصناف** جمع صنف وهو اخص من النوع والنوع اخص من الجنس

(١) ابن عبد البر يوسف المالكي القرطبي توفي سنة ٤٦٣ هـ. [١٠٧١ م.]

فالحيوان جنس والانسان نوع والزنجي صنف.

(وحاصل معنى البيت): انكم اذا علمتم ما اودعت في هذا النظم من الفوائد التي وصفتها وما احتوى عليه من المقاصد التي يجب الاعتناء بها فاقبلوا عليه اقبال رغبة واشرعوا في تعاطيه حفظا لمبانيه مع المداومة على قراءتها وفهما لمعانيه مع الجزم بحقيتها جزما لا يقبل التغيير تنالوا احسن اصناف العطاء واجمل اصناف الرضاء من الله الكريم في الدنيا بالبركات والخلاص من ظملة الشبهات وفي الآخرة بالفوز باعلى الدرجات والسلامة من البليات.

قال الناظم رحمه الله تعالى رحمة واسعة:

٦٥ وَكُونُوا عَوْنَ هَذَا ٱلْعَبْدِ دَهْرًا * بِذِكْرِ الْخَيْرِ فِي حَالِ ابْتِهَالِ

كونوا امر من كان الناقصة والواو اسمها **وعون** خبرها والمراد به المعين وعون مضاف واسم الاشارة في محل جر مضاف اليه **والعبد** بدل منه واراد بالعبد نفسه **ودهرا** مفعول فيه وتقدم معناه وما فيه والتنوين فيه عوض عن الضمير والمراد دهركم **وبذكر الخير** متعلق بعون **وفي حال ابتهال** في محل النصب حال من ضمير كونوا اي حال كونكم مبتهلين اي حال تضرعكم.

(وحاصل معنى البيت): اني التمس ممن وفقه الله تعالى الى تعاطي تأليفي هذا والى فعل الخير ان يكونوا ناصري هذا العبد ومساعديه مدى دهرهم بالترحم والدعاء له بالمغفرة وسؤال الخير من الله تعالى حال ابتهالهم وتضرعهم الى الله تعالى فانه قد اسدى اليكم معروفا وما جزاء الاحسان الاّ الاحسان وقال عليه السلام **(من اسدى اليكم معروفا فكافؤه فان لم تقدروا فادعوا له)** او كما قال ولانّ الاموات تنتفع بدعاء الاحياء.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٦٦ لَعَلَّ اللهَ يَعْفُوهُ بِفَضْلٍ * وَيَرْزُقُهُ السَّعَادَةَ فِي الْمَآلِ

لعل للترجي من اخوات ان ولا يترجى بها الاّ ما هو مشكوك الوقوع نحو لعل

الحبيب يقدم ولا يقال لعل الميت يعود بخلاف ليت الشباب يعود وفي لعل عشر لغات مذكورة في محلها **والله** اسمها وجملة **يعفوه** في محل رفع خبرها والمراد بالعفو الغفران اي عدم المؤاخذة به من غير سبق عقوبة عليه اذ العفو قد يكون بعد نوع عقوبة بخلاف الغفران فانه لا يكون معه عقوبة البتة لانه ستر من الاصل وعدي يعفو الى المفعول بنفسه اما لتضمنه يسامحه او هو من باب الحذف والايصال والاصل يعفو عنه ولو قال لعل الله يعفو عنه فضلا لكان ايضا حسنا مع استقامة الوزن وقيل عفا يتعدى بنفسه **والمآل** بالمد المرجع من آل اذا رجع والمراد ههنا مآله الى الدار الآخرة.

(**وحاصل معنى البيت**): اني اطلب منكم الدعاء لي بالخير وسؤال العفو والمغفرة لعل الله تعالى يتقبل منكم فيعفو عن ذنوبي ويتجاوز عن سيّئاتي فيكون ذلك سببا لنجاتي ووصولي الى السعادة الابدية اذ الدعاء ينفع الاحياء والاموات عند اهل السنة كما تقدم.

فائدة: سعيد الآخرة من كتب في الازل سعيدا وشقيها من كتب في الازل شقيا على ما قدمنا قال شارح شافعي ثم المكتوب في الازل من سعادة وشقاوة لا يتبدل بخلاف المكتوب في غيره كاللوح المحفوظ وكالصحف التي تكتب الملائكة فيها عند نفخ الروح في الانسان رزقه واجله وشقيا او سعيدا فلا مانع من تبدل ذلك قال ووقع في عقائد الحنفية ان السعيد قد يشقى وعكسه والتغيير على السعادة والشقاوة دون الاسعاد والاشقاء اذ هما من صفات الله تعالى ولا تغير على الله تعالى ولا على صفاته بل الحق كما قال المولى سعد الدين انه لا خلاف في المعنى لانه ان اريد بالسعادة والشقاوة مجرد حصول المعنى اي الايمان في السعادة والكفر في الشقاوة فهو حاصل في الحال وان حصول النجاة وترتب الثمرات فلا قطع بحصوله في الحال وحينئذ يجمع بين الاقوال وادلة الطرفين بحمل ما دل على التبدل على انه بالنسبة الى الملائكة والى ما في الصحف وما دل على عدم التبدل على انه بالنسبة الى علم مولانا عزّ وجلّ وقدمنا نحوه والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله:

٦٧ وَاِنِّي الدَّهْرَ اَدْعُو كُنْهَ وُسْعِي * لِمَنْ بِالْخَيْرِ يَوْمًا قَدْ دَعَا لِي

وفي نسخة: واني الدهر ادعو كل وقت، اراد **بالدهر** مدة عمره **وكنه** الشئ غايته وقيل يطلق ويراد به حقيقة الشئ **والوسع** بضم الواو الطاقة.

(**الإعراب**): اني الياء اسم ان والدهر منصوب على الظرفية لادعو قدم عليه وادعو مضارع دعا وفاعله مستتر ضمير المتكلم وفيه التفات بالنسبة الى البيت التي قبله وكنه منصوب بنزع الخافض او على الظرفية توسعا وهو مضاف الى وسعي لمن جار ومجرور متعلق بادعو وبالخير متعلق بدعا ويوما ظرف له.

(**وحاصل معنى البيت**): اني ادعو الله تعالى طول عمري ومدة حياتي بغاية طاقتي لمن دعا لي يوما من الايام بخير في حياتي او بعد وفاتي ونسأل الله تعالى ان يغفر لنا وله ولوالدينا ولمشايخنا ولاخواننا المسلمين اجمعين ويسكننا واياهم في الجنان انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير.

تمت ولله الحمد والمنة

قصيدة يقول العبد - في الكلام. للشيخ الامام سراج الدين علي بن عثمان الاوشي الفرغاني الحنفي توفي سنة ٥٧٥ هـــ. [١١٨٠ م.] وهي سبع وستون بيتا اولها:

يقول العبد في بدء الأمالي * لتوحيد بنظم كاللآلي

وآخرها: وإنّي الدّهر ادعو الله وسعي * لمن بالخير يوما قد دعا لي

وهي مقبولة متداولة (فرغ من نظمها سنة ٥٦٩ تسع وستين وخمسمائة كما نقله التميمي في طبقات الحنفية). شرحها جماعة منهم محمد بن ابي بكر الرازي المتوفى سنة .... قال فيه جمعته من السواد الاعظم والفقه الاكبر ومن الطحاوي والكسائي ومن الدر الأزهر وموجز التأليف وغير ذلك فسميته هداية من الاعتقاد «لكثرة نفعه بين العباد تم كتابته سنة ٧٥١». والشّيخ الامام عزّ الدين محمد ابن ابي بكر ابن جماعة (المتوفى سنة ٨١٩ تسع عشرة وثمانمائة) اوله الحمد لله الذي تاهت في تيه كبريائه بصائر قلوب العرفاء الخ قال فاعلم ان القصيدة اللامية المشتملة على قواعد عقائد اهل الدين في المسائل الدينية كبحر لجي وهي وان صغر حجمها كثرت فوائدها فاردت ان ارفع استارها بان ارتّب (عليها) ما علقت من فوائد الكتب المبسوطة فشرحتها شرحا كاشفا للمشكلات مبطلا لمعتقد اهل البدع والضلالات سميته مطلع المثال في العقائد الاسلامية ومنبع الكمال في المسائل الكلامية في شرح القصيدة الفريدة اللامية.

علي بن عثمان بن محمد التيمي الاوشي سراج الدين الفرغاني الفقيه الحنفي توفي بالطاعون الواقع سنة ٥٧٥ خمس وسبعين وخمسمائة. من تصانيفه ثواقب الاخبار. غرر الاخبار ودرر الاشعار في الحديث. فتاوى السراجية. قصيدة الأمالي. مشارق الانوار شرح نصاب الأخبار. نصاب الأخبار لتذكرة الاخيار في مختصر غرر الأخبار له. يواقيت الأخبار.

دُعَاءُ التَّوْحِيدِ

يَا اَللهُ يَا اَللهُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا عَفُوُّ يَا كَرِيمُ فَاعْفُ عَنِي وَارْحَمْنِي يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَاَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اللّهمّ اغْفِرْ لِي وَلآبَائِي وَأُمَّهَاتِي وَلآبَاءِ وَاُمَّهَاتِ زَوْجَتِي وَلأَجْدَادِي وَجَدَّاتِي وَلأَبْنَائِي وَبَنَاتِي وَلإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَلأَعْمَامِي وَعَمَّاتِي وَلأَخْوَالِي وَخَالاَتِي وَلأُسْتَاذِي عَبْدِ اْلحَكِيمِ اْلآرْوَاسِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اَلاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَاْلاَمْوَاتِ «رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاْلحَمْدُ للهِ رَبِّ اْلعَالَمِينَ

دُعَاءُ اْلاسْتِغْفَارِ

اَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ اِلَهَ إِلاَّ هُوَ اْلحَيَّ الْقَيُّومَ وأَتوُبُ إِلَيْهِ

إن ناشر كتب - **دار الحقيقة للنشر والطباعة** - هو المرحوم حسين حلمي ايشيق عليه الرحمة والرضوان المتولد عام ١٣٢٩ هـ * ١٩١١ م] بمنطقة -**أيوب سلطان إستانبول**- وأعداد الكتب التي نشرها ثلاث وستون مصنفا من العربية وأربع وعشرون مصنفا من الفارسية وثلاث مصنفات أوردية وأربع عشرة من التركية ومقدار الكتب التي أمر بترجمتها من هذه الكتب إلى لغات فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإلى لغات أخر بلغت مائة وتسعة وأربعين كتابا وجميع هذه الكتب طبعت في -**دار الحقيقة للنشر والطباعة**- وكان المرحوم عالما طاهرا تقيا صالحا وتابعا لمشيئة الله وقد تتلمذ للعلاّمة الحبر البحر الفهامة الولي الكامل المكمل ذي المعارف والخوارق والكرامات عالي النسب السيد عبد الحكيم الارواسي عليه رحمة الباري وأخذ منه وظهر كعالم إسلامي فاضل وكامل مكمل وقد لبى نداء ربه المتعال وتوفي ليلة ٢٥ على ٢٠٠١/١٠/٢٦ (الثامن على التاسع من شهر شعبان المعظم سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية) ودفن في محل ولادته بمقبرة أيوب سلطان تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته آمين.

بدء الأمالي

لسراج الدين عليّ بن عثمان

الاوشي الفرغاني المتوفى سنة[١]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١) علي الاوشي الفرغاني توفي سنة ٥٧٥ هـ. [١١٨٠ م.]

اسماء الكتب العربية التي نشرها مكتبة الحقيقة

اسماء الكتب	عدد صفحاتها
٢٢ – الحبل المتين في اتباع السلف الصالحين ويليه العقود الدرية ويليهما هداية الموفقين	١٣٦
٢٣ – خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام (من الجزء الثاني) ويليه ارشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى ويليهما نبذة من الفتاوى الحديثية	٢٨٨
٢٤ – التوسل بالنبي وبالصالحين ويليه التوسل للشيخ محمد عبد القيوم القادري	٣٣٦
٢٥ – الدرر السنية في الرد على الوهابية ويليه نور اليقين في مبحث التلقين	٢٢٤
٢٦ – سبيل النجاة عن بدعة اهل الزيغ والضلال ويليه كف الرعاع عن المحرمات ويليهما الاعلام بقواطع الاسلام	٢٨٨
٢٧ – الانصاف ويليه عقد الجيد ويليهما مقياس القياس والمسائل المنتخبة	٢٤٠
٢٨ – المستند المعتمد بناء نجاة الابد	١٦٠
٢٩ – الاستاذ المودودي ويليه كشف الشبهة عن الجماعة التبليغية	١٤٤
٣٠ – كتاب الايمان (من رد المحتار)	٦٥٦
٣١ – الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الاول)	٣٥٢
٣٢ – الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثاني)	٣٣٦
٣٣ – الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثالث)	٣٨٤
٣٤ – الادلة القواطع على الزام العربية في التوابع ويليه فتاوى علماء الهند على منع الخطبة بغير العربية ويليهما الحظر والاباحة من الدر المختار	١٢٠
٣٥ – البريقة شرح الطريقة (الجزء الاول)	٦٠٨
٣٦ – البريقة شرح الطريقة ويليه منهل الواردين في مسائل الحيض (الجزء الثاني)	٣٣٦
٣٧ – البهجة السنية في آداب الطريقة ويليه ارغام المريد	٢٥٦
٣٨ – السعادة الابدية في ما جاء به النقشبندية ويليه الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية و يليهما الرد على النصارى والرد على الوهابية	١٧٦
٣٩ – مفتاح الفلاح ويليه خطبة عيد الفطر ويليهما لزوم اتباع مذاهب الائمة	١٩٢
٤٠ – مفاتيح الجنان شرح شرعة الاسلام	٦٨٨
٤١ – الانوار المحمدية من المواهب اللدنية (الجزء الاول)	٤٤٨
٤٢ – حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ويليه مسئلة التوسل	٢٨٨
٤٣ – اثبات النبوة ويليه الدولة المكية بالمادة الغيبية	٢٢٤

اسماء الكتب	عدد صفحاتها
٤٤ – النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد ولد آدم ويليه نبذة من الفتاوى الحديثية ويليهما كتاب جواهر البحار	٣٢٠
٤٥ – تسهيل المنافع وبهامشه الطب النبوي ويليه شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ويليهما فوائد عثمانية ويليها خزينة المعارف	٦٢٤
٤٦ – الدولة العثمانية من كتاب الفتوحات الاسلامية ويليه المسلمون المعاصرون	٢٥٦
٤٧ – كتاب الصلاة ويليه مواقيت الصلاة ويليهما اهمية الحجاب الشرعي	١٦٠
٤٨ – الصرف والنحو العربي وعوامل والكافية لابن الحاجب	١٧٦
٤٩ – الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة ويليه تطهير الجنان واللسان	٤٨٠
٥٠ – الحقائق الاسلامية في الرد على المزاعم الوهابية	١١٢
٥١ – نور الاسلام تأليف الشيخ عبد الكريم محمد المدرس البغدادي	١٩٢
٥٢ – الصراط المستقيم في رد النصارى ويليه السيف الصقيل ويليهما القول الثبت ويليها خلاصة الكلام للنبهاني	١٢٨
٥٣ – الرد الجميل في رد النصارى ويليه ايها الولد للغزالي	٢٢٤
٥٤ – طريق النجاة و يليه المكتوبات المنتخبة لمحمد معصوم الفاروقي	١٧٦
٥٥ – القول الفصل شرح الفقه الاكبر للامام الاعظم ابي حنيفة	٤٤٨
٥٦ – جالية الاكدار والسيف البتار (لمولانا خالد البغدادي)	٩٦
٥٧ – اعترافات الجاسوس الانگليزي	١٩٢
٥٨ – غاية التحقيق ونهاية التدقيق للشيخ السندى	١٢٤
٥٩ – المعلومات النافعة لأحمد جودت باشا	٥٢٨
٦٠ – مصباح الانام وجلاء الظلام فى رد شبه البدعى النجدى ويليه رسالة فيما يتعلق بادلة جواز التوسل بالنبى وزيارته صلى الله عليه وسلم	٢٢٤
٦١ – ابتغاء الوصول لحبّ الله بمدح الرسول ويليه البنيان المرصوص	٢٢٤
٦٢ – الإسلام وسائر الأديان	٣٣٦
٦٣ – مختصر تذكرة القرطبي للأستاذ عبدالوهاب الشعراني ويليه قرة العيون للسمرقندي	٣٦٨

اسماء الكتب الفارسية التي نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب العربية مع الاردوية والفارسية مع الاردوية والاردية